تاريخ الأدب السرياني

من نشأته إلى العصر الحاضر

تأليف

دكتور مراد كامل
أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

دكتور محمد حمدي البكري
أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

دكتورة زاكية محمد رشدي
أستاذة بكلية الآداب جامعة القاهرة

١٩٨٧

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
القاهرة – تليفون ٩٠٤٦٩٦

تاريخ الأدب السرياني

تاريخ الأدب السرياني

من نشأته إلى العصر الحاضر

تأليف

دكتور مراد كامل
أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

دكتور محمد حمدي البكري
أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

دكتورة زاكية محمد رشدي
أستاذة بكلية الآداب جامعة القاهرة

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
القاهرة ــ تليفون ٩٠٤٦٩٦

مقدمة

لمست الحاجة لكتاب عربي يتناول تاريخ الأدب السرياني . وفى سنة ١٩٤٩ قدمت مع زميلي الأستاذ الدكتور حمدى البكرى الجزء الأول من كتاب تاريخ الأدب السرياني للمكتبة العربية . وقد تناول الكتاب الحديث عن اللغات السامية وتقسيمها وموقع الآراميين من هذا التقسيم ، وانتشارهم فى الأرض وتكوينهم الإمارات والدويلات العديدة ، وما تبع ذلك من وجود لهجات عدة كان أهمها اللهجة السريانية ، وموطنها ما بين النهرين فى الإقليم الذى كانت عاصمته مدينة الرها أو أورفه والتى كان يسميها الفرنجة (Edessa) . وبين كيف أن المسيحية اتخذت السريانية لغة أدبية لها ، فكانت لغة الكنيسة فى الشرق تتبعها أينما حلت فذهبت بها إلى فارس وحملها المبشرون من النساطرة معهم إلى بلاد التركستان والهند حتى بلاد الصين . وبها درس الطب والعلوم الطبيعية فى مدرسة جنديسابور وغيرها من مدارس السريان فى البلاد الفارسية قبل الإسلام .

وتناول الكتاب أيضاً الحديث عن الخطوط المختلفة التى كتب بها السريان ، وفنون الأدب العديدة التى ألفوا فيها ، ثم بين ما للأدب السريانى من أثر فى الأدب العربى وذلك عن طريق ترجمة العلوم والفلسفة اليونانية ونقلها إلى اللغة العربية . وتناول الحديث عن المؤلفين والأدباء مستعرضاً أبحاثهم ومؤلفاتهم

وترجماتهم منذ نشأة الأدب حتى الفتح الإسلامى أى حوالى منتصف القرن السابع الميلادى .

ولكن الأدب السريانى لم يتوقف عند هذه الفترة بل استمر فى تطوره بين ازدهار مرة وذبول مرة أخرى حتى شارف على النهاية فى القرن الثالث عشر . وهو الوقت الذى انقرض فيه استعمال اللغة السريانية لغة حيّة . ولم تبق إلا فى بعض نواحى العراق الشمالية فى عدد من البلدان فيما بين بحيرة أورميا وبحيرة فان حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة ويسمونهم بالآشوريين . وفى شمال الموصل حيث يعيشون على فلاحة الأرض ، وفى طور عابدين وهى نواح جبلية فى البلاد الفارسية حيث يقيم بعض اليعاقبة ، وفى ثلاث مدن فى سورية منعزلة بعضها عن بعض وهى معلولة وجبعدين وبخعة . ولم تكن هذه اللغات لغات تأليف غير أن المبشرين الأمريكيين اجتهدوا فى القرن الماضى فى استخدام هذه اللهجة فى الكتابة فترجموا إليها الإنجيل وألفوا فيها بعض الكتب .

بدأ الشرقيون فى دراسة الأدب السريانى وكان ذلك منذ النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى ، ثم بذلت الجهود فى إحياء النحو السريانى بعد ذلك بقليل فى القرن السابع عشر . وقد قامت هذه النهضة على أكتاف الموارنة من السريان وكان على رأسهم عائلة السمعانى .

ولما كان كتاب تاريخ الأدب السريانى هذا قد توقف كما ذكرت عند منتصف القرن السابع الميلادى أى مع الفتح العربى لبلاد السريان ودخول الإسلام تلك البلاد فقد آلت الزميلة الدكتورة زاكية محمد رشدى على نفسها ، أن تتم هذا البحث مبتدئة من حيث توقف الكتاب حتى يصبح هذا العمل متكاملا باللغة العربية عن تاريخ الأدب السريانى من نشأته حتى العصر الحاضر . ويعتبر هذا ، الجزء الثانى من تاريخ الأدب السريانى وقد ظهر سنة ١٩٧٢ .

وفى هذا الجزء فصلت بين اليعاقبة والنساطرة جرياً على ما اتبع فى الجزء الاول من الكتاب وتناولت الحديث عن الأدب والأدباء متبعة الترتيب الزمنى — كل قرن على حدة — حتى وصلت إلى القرن الثالث عشر ثم أدمجت القول عن القرن الرابع عشر حتى العصر الحاضر ذاكرة نبذة عن الملكانيين والموارنة الذين أشارت إلى بعض كتابهم من واقع الكتب التى تحت يدها حيث لم يسبقها إلى ذلك أحد .

ولما نفدت الطبعة الأولى من الجزأين ، وألحت حاجة الدارسين إلى الحصول عليه ، رأينا أن نعيد طبعهما بعد تصويبات وإضافات لازمة .

مراد كامل

الجزء الأول

تمهيد

لا بد لمن يدرس أدب السريان أن يلم إلمامة قصيرة بهذه اللغة التى صدر عنها ذلك الأدب ، وإلى أى أسرة من اللغات تنتمى ، ومن أى مجموعة نبتت هذه الأسرة . فإذا بلغ من ذلك ما يريد ، كان عليه أن يدرس شيئاً عن هذه الأسرة ، وما تفرع عنها من فروع غير سريانية .

واللغة السريانية التى تتناول آدابها بالبحث فى هذا الكتاب هى إحدى اللهجات الآرامية . والآرامية لغة من مجموعة اللغات التى اتفق العلماء على أن يطلقوا عليها إسم اللغات السامية .

أما موقع اللغة الآرامية من اللغات السامية الأخرى فنستطيع استجلاءه باستعراض التقسيم الجغرافى الذى اصطلح عليه للغات السامية . فاللغات السامية قسمان : شمالى وجنوبى . أما الشمالى فينقسم إلى شعبتين : شرقية — وتشتمل على اللغة الأكدية بقسميها البابلية والآشورية .. وغربيـة — وتشتمل على اللغة الاجريتية (وهى لغة نقوش راس شمرا) ، والفينيقية والعبرية والآرامية . وأما القسم الجنوبى فيضم اللغة العربية ، ولغة نقوش بلاد العرب الجنوبية ، واللغات السامية الموجودة فى بلاد الحبشة .

والآراميون هم ثالث فرع نبت فى شجرة الأمم السامية . وكان أول ذكر

لهم فى نصوص أسفينية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهم يذكرون فيها على أنهم منتشرون فى الصحراء الواقعة غربى ما بين النهرين ، وأنهم كانوا فى أول أمرهم قبائل رُحّلا يتنقلون فى البادية - كالعبريين وبقية الأمم السامية - بين نجد فى الجنوب ، وحدود الشام فى الشمال ، ونهر الفرات فى الشرق ، وخليج العقبة فى الغرب ، وأن ظروف الصحراء كانت تضطرهم إلى الالتجاء إلى الحضر فى بعض الأحيان فيدخلونه مُغيرين ، وقد استطاعوا فى إحدى إغاراتهم أن يكوّنوا إمارة بين بابل والخليج الفارسى عرفت باسم كلد ، ومنها اشتق إسم الكلدانيين . وبعد سقوط دولة الميتّنى حوالى سنة ١٣٠٠ ق. م دخل الآراميون ما بين النهرين ، وعرفوا باسم آرام النهرين ، وكان تغلغلهم فى هذه الأرجاء قد سبق سقوط دولة الميتّنى . وترجع هجرة قبيلة ابراهيم الخليل — من أور فى بلاد الكلدانيين إلى حران — إلى واحدة من هذه الهجرات .

وكذلك أغار الآراميون على الشام وتوغلوا فيها فى الوقت الذى كان الصراع فيه قائما بين الدويلات الكنعانية ، وتمكنوا من الوصول إلى شمال الشام وكونوا دويلات عدة آرامية صغيرة بين حلب وجبال طوروس ، ومنها إمارة سمأل بين أنطاكية ومرعش ، ومكانها الآن بلدة زنجرلى . وفى أواخر القرن العاشر قبل الميلاد استولى الآراميون على دمشق وأسسوا فيها مملكة كان لها دور مهم فى تاريخ ذلك الحين وبخاصة فى محاربة الفينيقيين والاسرائيليين والتغلب عليهم ، وكذلك لعبت دوراً مهما فى شئون التجارة . فقد كان البدو من أهلها ينقلون التجارة بين المراكز المختلفة مثل دمشق وحماة وحلب إلى بلاد نهر الفرات ، وكانت تدمر مركزاً من هذه المراكز . وقد وصل هؤلاء البدو إلى واحات بلاد العرب الشمالية وتركوا بعض النقوش فى تيماء .

ولما استولى البابليون على مملكة دمشق فى القرن الثامن قبل الميلاد نقلوا إلى

بلادهم عدداً كبيراً من مهرة الآراميين للاستعانة بهم ، وقد عبر القدماء عن ذلك بعبارة « السبى البابلى » . وقد استقر الآراميون فى مملكة بابل ونشروا لغتهم حتى غلبت على اللغة البابلية والآشورية ، وتخلد النقوش الأسفينية من عهد سرجون (فيما بين سنتى ٧٢٢ ، ٧٠٥ ق. م) عدداً من الأسماء الآرامية كان أصحابها يحترفون التجارة فى مملكة أشور . وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق. م. أصبحت بلاد أشور آرامية . وكان من الشائع فى بابل أن تكتب العقود باللغتين البابلية والآرامية .

وفى نهاية القرن السادس قبل الميلاد تم للفرس الاستيلاء على الشرق وسقطت فى أيديهم مدينة بابل سنة ٥٣٨ ق. م. فى عهد الأسرة الأكمينية التى يطلق عليها العرب إسم أسرة الكيانيين ، وكانت اللغة الآرامية شائعة فى الشرق كله حتى بين طبقة الحاكمين من الفرس ، فاستعملوها لغة للتفاهم بين أجزاء الامبراطورية ، فأصبحت بذلك لغة المكاتبات الرسمية .

وقد وقعت مدينة البتراء تحت تأثير الآراميين ، وكانت عاصمة بلاد النبط ـ والنبط عرب اتخذوا الآرامية لغة للكتابة وربما كانوا قد تكلموا بها أيضاً .

ويقوم النزاع بين الفرس والروم ، وتكون بلاد الآراميين مسرحاً له ، فهى حيناً فى أيدى الفرس ، وحيناً فى أيدى الروم ، وتخرب الحرب بلادهم ، ويتأثرون بحضارة الفرس والروم وثقافتهم ، ويصبحون بذلك ورثة الحضارات الآشورية والبابلية والفينيقية والفارسية واليونانية ، وكانوا يتأثرون خطا هذه الحضارات ويضفون عليها نوعا من التطور ، أما لغتهم فإنها كانت تفرض نفسها على سائر اللغات وأبادت اللهجات الأكدية والكنعانية ، وكانت قوتها كامنة فى بساطة أبجديتها ، وسهولة نحوها وصرفها ، ولذلك فقد كانت الآرامية لغة الأقوام

العمليين النشيطين الرحل الذين اشتغلوا بالتجارة والذين كانوا موظفين أكفاء أعانوا الفرس على إدارة امبراطوريتهم .

ولم تكن الآرامية لغة الامبراطورية الفارسية الرسمية فحسب ، وإنما كانت لغة دولية — إن صح هذا التعبير — نعلم ذلك من الكتاب المقدس . فقد جاء فى سفر الملوك الثانى (١٨ : ٢٦) وأشعيا (٣٦ : ١١) أنه فى سنة ٧١٠ ق.م. لما حاصر سنحاريب بيت المقدس فى عهد حزقيا كان الشعب يتكلم الآراميةوكانت أرستقراطية اليهود تعرف الآرامية ، وكان موظفو سنحاريب يعرفونها أيضا .

وقد تبع انتشار الآرامية واتصال أصحابها بغيرهم من الأقوام أن تولدت لهجات عدة يمكن أن نميزها تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والدين والحضارة وقد اختلفت الآراء فى تقسيم اللهجات الآرامية ، فيقسمها « نولدكه » إلى شرقية وغربية ، واللهجات الشرقية عنده هى لهجات التلمود البابلى والسريانية والمندعية، وما عداها فهو غربى . ومع ذلك فالواقع أن الخلاف بين اللهجات الآرامية لم يتخذ شكلا واضحا إلا فى عصر متأخر وهو العصر الذى يبدأ تقريبـــاً بظهور المسيحية ، وعلى ذلك وجب استبعاد اللهجات الآرامية القديمة لتقاربها ، وهى لهجة زنجيرلى ، والآرامية التى استعملها الفرس فى دواوينهم والتى يسميها العلماء الآن بالآرامية الدولية ، وآرامية أوراق البردى التى وجدت فى جزيرة الفنتين بأسوان ، وآرامية الكتاب المقـدس . ونستطيع بعد ذلك أن نقسم اللهجات الآرامية إلى شرقية وغربية . أما الشعبة الشرقية فتضم لهجة الرها الآرامية وكان موطنها ما بين النهرين وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية ، ولهجة آرامية يهودية بابلية هى لهجة التلمود البابلى كان موطنها شمالى العراق ، ولهجة الصابئين الآرامية وهى اللهجة المندعية وموطنها جنوبى العراق .

أما الشعبة الغربية فتضم دويلتين لسانها آرامى وهما تدمر والنبط . وقـد

وصلت إلينا لغتهما عن طريق النقوش فقط . وثلاث لهجات أدبية وهى اليهودية الغربية المقدسية والجليلية ، والسامرية ، والملكيه أو الآرامية الفلسطينية المسيحية.

وأقدم ما وصل إلينا من الكتابات الآرامية مستخرج من حفائر زنجيرلى وهى عاصمة مملكة سمأل ، وهى الآن قرية فى سوريا الشمالية قريبة من عنتاب شمالى حلب . وترجع هذه الكتابات إلى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد وهى الملك بنمو ملك سمأل وابنه برركوب . وكانت مملكتهما خاضعة للأشوريين فى القرن الثامن قبل الميلاد .

وهناك كتابات وجدت فى نيراب من أعمال حلب ، وهى من كتابات القبور كتبت فى القرن السابع قبل الميلاد لكاهنى القمر شنزرن وأجبر .

وقد وجدت فى تيماء بنجد فى شمالى جزيرة العرب صورة لكاهن مع نقشين أحدهما كبير والآخر صغير . وثلث النقش الكبير معدوم ، وقد جاء فيما بقى سالماً أن آلهة تيماء أعطوا كاهن «صلم» مكاناً ومالا فى بيت صلم للأبد ، وأن الصورة صورة الكاهن . وترجع هاتان الكتابتان إلى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد .

أما الكتابات الآرامية الدولية فقد وصلت إلينا من العصر الفارسى نصوص آرامية كثيرة من جهات مختلفة من الامبراطورية الفارسية ومنها ترجمة آرامية الكتابة « بهستون » المشهورة التى أمر بكتابتها دارا الأول سنة ٥١٠ ق . م . على جبل عال فى جانب الدرب الذى بين بابل وهمذان فى موضع اسمه « بهستون » وهى كتابة بالخط الأسفينى فى ثلاث لغات : الفارسية القديمة ، والبابلية المتأخرة والعيلامية . وقد أرخ دارا فى هذه الكتابة حروبه وأعماله وتأسيس مملكته ، ثم أراد نشرها فى جميع أرجاء الامبراطورية فأمر بترجمتها إلى الآراميه وإرسالها إلى جميع الجهات ، واكتشفت واحدة منها فى أسوان .

أما آرامية الفنتين فقد وصل إلينا منها عدد من الكتابات على أوراق البردى

أكتشفت فى الفنتين بأسوان ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ وأغلب هذه الكتابات لليهود والآرامين ، وكان اليهود يكتبون بالآرامية ، وقد وجدت أكثر من ثمانين قطعة من هذه الأوراق تشتمل على مكاتبات وعقود زواج وبيع وقوائم وتواريخ وقصص من بينها قصة أحيقار .

أما آرامية الكتاب المقدس فقد كتب بها بعض أجزاء من أسفار عزرا ودانيال ، وهى تدل على مدى انتشار الآرامية بين اليهود فى عصر الفرس حتى أصبحت عندهم لغة دينية مقدسة . وقد أطلق على آرامية الكتاب المقدس اسم الكلدانية .

هذه أمثلة من أقدم الكتابات الآرامية ، وبانتهاء العصر الذى نقشت فيه ينتهى الطور الأول للغة الآرامية ، وهى الآرامية القديمة ، وقد انتهى هذا الطور باستيلاء الاسكندر الأكبر على بلاد الشرق ، وانتشار نفوذ اليونان ولغتهم فيه ، ولذلك لم نعثر للغة الآرامية على كتابات فى هـــذه الفترة لأنها كانت لغة العوام فقط .

وبعد انحلال الدولة اليونانية كانت اللهجات الآرامية قد أخذت تتميز بعضها عن بعض ، ويأخذ كل منها شكلا خاصا . وفى هذا الطور يمكن تقسيم اللغة الآرامية إلى شعبتين : غربية وشرقية ، وكل شعبة منهما تضم عدداً من اللهجات كما قدمنا .

فالشعبة الغربية تشمل على :

اللهجة التدمرية : كانت تدمر — وهى واحة فى صحراء الشام بين دمشق ونهر الفرات — محطا كبيراً للقوافل — فاكتسبت لذلك مركزاً تجاريا ممتازاً وبخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد وسنة ٢٧٣ م . حين خربها أوريليوس ، وقد عثرنا على عدد من النقوش التدمرية تصور لنا حضارة الأقوام

الذين استوطنوا هذه الجهة ، وقد وجدت أكثر هذه النقوش فى تدمر ووجد الباقى فى الطيب — بالقرب من تدمر — وفى أفريقية وروما والمجر ورومانيا وانجلترا . وكان أهالى تدمر بدواً من أشراف الآراميين . والغالب أن النقوش التى وجدت فى إفريقية وفى البلاد الأوربية هى من كتابة التجار والجنود التدمريين وأكثرهـــا من كتابات القبور والتشريف وهى مكتوبة بلغتين : إما اللاتينية والتدمرية وهى الأكثر ؛ وإما اليونانية والتدمرية ولم تكن الكتابة اللاتينية فى أغلب الأحيان ترجمة للكتابة التدمرية ، ولكنها كانت تشمل فى أكثر الأحيان على اسم الصانع الذى قام بعمل النقش .

ونستدل من عدد من هذه النقوش أنه شيد فى مدينة تدمر فى القرن الأول للميلاد معبد عظيم لبعل السماء ، يكفى للتدليل على مقدار إتساعه أن نعلم إنه لما خربت تدمر ونقص عدد سكانها بعد انكسار جيش الملكة الزباء ترك أفاضل الناس بيوتهم وسكنوا المعبد نفسه واتخذوا لأنفسهم فيه بيوتاً وجعلوا بينها أزقة، وسدوا جميع مداخله إلا واحداً اتقاء لغارات البدو . ونعرف من هذه الكتابات أيضا أن أهل تدمر كانت لهم قلاع بعيدة عن المدينة نفسها فى جانب نهر الفرات لحماية التجارة والقوافل :

اللهجة النبطية : والنبط قبائل من العرب وكان ملوكهم من بنى الحارث وأكثر أسماء الأعلام الواردة فى نقوشهم عربية مثل حارثة ومالك ومليكة وجذيمة وكلبة ووائل ووائلة ومغير وقصى وعدى وعميرة ويعمر وكعب ومعن وسعد ومسعود ووهب الله وتيم الله ، الخ .. وقد عرفت مملكة النبط منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وازدهرت فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد ؛ وكانت عاصمة دولتهم فى وادى موسى بالقرب من معان ، ولكننا لانعرف بالضبط الاسم الذى كان يطلقه النبط عليها لأنه لم يرد فى كتاباتهم ، وكان اليونان

والرومان يطلقون عليها اسم (Petra) أى الصخر أو السلع . والراجح أنهم أخذوه عن التوراة فقد جاء فيها ذكر مكان اسمه السلع أو السلاع فى بلاد إدوم (إدونيم) جنوب القدس . وقد جاء فى القاموس : وَسَلْعٌ جبل فى المدينة وجبل لهذيل وحصن بوادى موسى من عمل الشوبك . والسِّلْع والسَّلْع فى الجبل الشق . وربما سميت عاصمتهم كذلك لقيامها على جبل شق إلى نصفين . وكانت قصبتهم الجنوبية الحِجْر وتعرف الآن باسم مدائن صالح ، وهى على سكة حديد الحجاز بين معان والمدينة .

وكان نبط البتراء وبُصرى (أى حوران) هم الصلة بين بلاد العرب والغرب وكان منهم أحد أباطرة الرومان وهو فيليب العربى (٢٤٤—٢٤٩ م .) وكانت للنبط مملكة قوية يخشاها اليهود وبقية أمم الشام حتى أهل روما ، وكان ملك النبط يملك على دمشق فترة من الزمن ، ولكنه لم يتخذها قصبة له لبعدها عن عور المملكة ولما كان أهل روما يخشون أن يزداد فيها نفوذ أحد غيرهم ، وخافوا أن يبسط النبط سلطانهم على المشرق كله أرسل امبراطور روما جيشاً لمحاربتهم أمَّر عليه كورنيليوس بَلْما فخرب مملكة النبط سنة ١٠٦ م . وصارت بلاد حوران التى كانت جزءاً من مملكة النبط تابعة لروما ، ومع ذلك فقد استمر العرب فى البادية والحضر يكتبون بالخط النبطى ، وبقى مستعملا فى كتابة اللغة العربية وقد أخذ النبط الحروف الآرامية المفردة واستعملوها متشابكة وعنهم أخذ العرب الأبجدية فى الخط الكوفى .

وقد وجدت نقوش نبطية كثيرة فى البتراء وبصرى وتيماء والحجر ، وفى شرق الأردن ودمشق وصيدا وبعض جهات من جبل الدروز مثل سيع وهى الآن اسم خربة عظيمة قريبة من مدينة القنوات ومركز السويدات ، وكذلك وجدت نقوش فى إيطاليا . وقد وجدت أغلب هذه النقوش فى المقابر ، ومنها

ما نقش بالدقة فوق أبواب المقابر المبنية ، ومنها ما خربش على الرجام . أما المنقوشة فقد وجد أكثرها فى مدائن صالح وبعضها فى وادى موسى وفى بلاد حوران . وأما الكتابات المخربشة فقد وجدت كلها فى بلاد حوران وخطها قبيح .

وتلحق بالكتابات النبطية الكتابات التى وجدت فى أودية طور سينا وبخاصة فى وادى المكتب ، وهى آخر كتابات نقشت بخط نبطى وبلغة نبطية .

وتضم الشعبة الغربية كذلك ثلاث لغات أدبية كما ذكرنا من قبل وهى :

اليهودية الغربية المقدسية والجليلية : كانت العامة فى فلسطين قد نسيت العبرية فى زمان المسيح واتخذت لها لهجة آرامية غربية ، وكان المسيح يحدث تلاميذه ويخاطب العامة بهذه اللهجة مع أننا نعرف من الإنجيل أنه كان يعرف العبرية . ولم يكن الكتاب المقدس قد ترجم إلى هذه اللهجة فى أول الأمر فكان الأحبار يقرأون التوراة فى الصلاة بالعبرية فإذا أتموا قراءة فصل قاموا بترجمته إلى الآرامية على السامعين حتى أصبحت هذه الترجمة قسما من الصلاة عند اليهود ثم قاموا بكتابة هذه التراجم مع بعض الشروح ، وانتهوا من جمعها وتصحيحها فى القرن الرابع الميلادى وتعرف عندهم باسم ترجوم . وكذلك كتب بها المدراشيم والتلمود الفلسطينى أو المقدسى ، وتحتوى هذه الكتب على شرائع اليهود ، ونبذ عن أحبارهم المشهورين .

اللهجة السامرية : وقد استعمل السامريون — وهم طائفة قديمة من اليهود - لهجة آرامية غربية ترجموا إليها التوراة وألفوا فيها طقوسا وأشعارا وأدعية خاصة بالصلاة وقد تنازع السامريون مع اليهود وباهى كل منهم صاحبه بأنه على دين بنى إسرائيل الصحيح ، ولم يقبل السامريون من الكتاب المقدس إلا أسفار موسى الخمسة وكانت عندهم بالخط العبرى القديم ، ولم يقبلوا الخط

المربع الذى استحدثه اليهود بعد الجلاء ، فلما دخلت الآرامية فلسطين ترلجم السامريون إليها أسفار موسى الخمسة .

وكانوا يسمون لهجتهم بالسامرية وهى قريبة من اللهجة اليهودية الفلسطينية ولكنها مضطربة وليس لها نحو كامل ، وقد ضاعت بعد الفتح العربى وتعلمت العامة اللغة العربية ولكنهم استمروا فى كتابة كتبهم الدينية بلهجتهم هذه بعد أن أصبحت لهجة صناعية مختلطة بكلمات حتى من السريانية والعبرية . ومنذ ذلك الحين ضعف السامريون وتناقص عددهم تدريجيا وهم اليوم قليلون جدا فى فلسطين : فى نابلس ونواحيها .

اللهجة الآرامية الفلسطينية المسيحية أو الملكية: قلنا إن السيد المسيح كان يخاطب تلاميذه باللهجة الآرامية الغربية . وقد أثبت البحث كذلك أن إنجيل متى قد كتب أولا باللهجة الآرامية الغربية ثم نقل بعد ذلك إلى اللغة اليونانية ولكن الترجمة كانت — مع ذلك — تشتمل على كلمات آرامية بحروف يونانية، ولكن هذه النسخ من الأناجيل لم تصل إلينا ؛ ولم يصل إلينا غير النسخة اليونانية وعنها تُرجم ثانية إلى الآرامية والسريانية . وأما كتابات بولس الرسول فقد كتبت باليونانية مباشرة . وقد أخذ نصارى فلسطين وسوريا هذه الترجمة السريانية للعهد الجديد فاستعملوها فى كنائسهم مع بعدها عن لغة العامة . ثم حدث بعد ذلك أن انقسم النصارى إلى نساطرة ويعاقبة وملكية ، وكان الملكية يخالفون أكثر النصارى الآراميين ، ولهذا السبب عدلوا عن كتابة لهجتهم بالخط السريانى واستبدلوا به خطا هو إلى حد ما مزيج من الخطوط السريانية جميعها . وكان من أهل فلسطين ملكية فترجموا الكتاب المقدس إلى لهجتهم وكانت ترجمتهم حرفية دقيقة لم يراعوا فيها المعانى ولا ترتيب الكلمات فى الجملة على قواعد اللغة الآرامية . ولم يبق لنا من كتبهم إلا القليل ، وكان إملاؤهم غير واضح وغير مشكل بحيث يمكن الاختلاف فى نطق كلماته، وهذا هو السبب فى أن هذه اللهجة

لم تلق عناية كافية . وقد ظل أصحابها يتكلمون بها فى فلسطين حتى انقرضت أيام الفتح العربى .

وتختلف لهجات الشعبة الشرقية عن الغربية اختلافا واضحا إذ أنها تستعمل النون فى صيغة المضارع الغائب بدل الياء فى اللهجات الغربية . كما نلاحظ أيضاً أن النصوص التى وصلت إلينـــا من اللهجات الآرامية الغربية قليلة نسبيا وموضوعاتها متقاربة ، وهى فى الواقع ظروف لا تسمح بتحقيق قيمة هذه اللهجات بالدقة فى الوقت الذى احتفظت فيه اللهجات الشرقية بمادة أوسع ، فالسريانية مثلا لها أدب غزير متشعب . وتضم هذه الشعبة :

اللهجة الآرامية اليهودية البابلية: وكان يستعملها يهود العراق الساكنون فى بابل وما حولها فى كتب الدين بين القرنين الثانى والسابع الميلادى أى إلى أيام الفتح الإسلامى . وقد بقى لنا منها التلمود البابلى ، وشرح الكتاب المقدس الذى ألف فى مدارس اليهود فى بابل فيما بين القرنين الرابع والسادس الميلادى ويعرف باسم الجارا . وقد تأثرت كغيرها من اللهجات الآرامية اليهودية باللغة العبرية .

اللهجة المندعية : واسمها مشتق من الكلمة الآرامية (م دّ ع ا) ومعناها المعرفة، ويسمى أصحابها بالصابئين أو المندعيين، وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة نهر الأردن ، ثم هاجرت منها إلى العراق ، وكان أهل حران منهم يسمون أنفسهم ناصوريين ، وهم فرقة دينية من العارفين بالله ، خلطوا فى تعاليمهم بين مذاهب اليهود والنصارى ووثنية البابليين واثنينية الفرس ، وأدخلوا عليها أخيراً بعض تعاليم الإسلام . وهم يدعون أنهم على مذهب يحي بن زكريا « يوحنا المعمدان » ، ولذلك كانوا يغتسلون فى نهر الأردن كما كان يحي يغتسل فيه ، فلما هاجروا إلى العراق أخذوا يسمون كل نهر وكل ماء نهر الأردن . وقد ذكر القاموس فى مادة صبأ : « والصابئون يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام ، وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار » . وقال شارح القاموس

فى الحاشية : « وفى التهذيب هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون، وقيل هم عبدة الملائكة ، وقيل هم عبدة الكواكب كما فى البيضاوى » .

وهم يزعمون أيضا أنهم أهل المعرفة من النصارى، وأن عندهم معرفة خاصة عن الأشياء الدينية والروحانية ، ولكنهم فى الواقع لم يكونوا نصارى بل كانوا يعترضون على النصارى واليهود ، فحاربتهم الكنيسة ، كما حاربهم اليهود . والعماد أو الغطاس مهم جدا فى دينهم، وهم يعظمون يوحنا ويدعون أنه المسيح الحقيقى، وأن عيسى ادعى النبوة ، وعندهم كتاب يوحنا .

وكتبهم الباقية كلها دينية وعددها قليل وأهمها كتاب الكنز الكبير . وفيه أجزاء أخذت من اليهودية والنصرانية والإسلام، ومن قول أهل المعرفة؛ ويظهر من هذا أنهم بدأوا بجمع رواياتهم وطقوسهم الدينية بعد فتح المسلمين للعراق لكى يعدوا أنفسهم من أهل الكتاب . وقد ضاعت كل كتبهم التى ترجع إلى ما قبل الإسلام . أما العصر الذى ألف فيه ما تبقى من كتبهم فغير معروف على التحديد .

واللغة المندعية منزلة خاصة بين اللغات الآرامية فهى اللهجة الوحيدة التى لم تتأثر بأى مؤثر خارجى ، ولذلك فإنها تعد آرامية خالصة بينما تأثرت اللهجات الأخرى بمؤثرات خارجية شتى .

ولا يزال للمندعيين بقية باقية حتى اليوم ويعرفون باسم الصُّبَّا ويسكنون بطائح البصرة، ويقيم بعضهم فى بغداد ويعمل أكثرهم فى نقش الفضة بالصور والرسوم ، وهم متمسكون بدينهم ويتكلمون العربية والفارسية .

لهجة الرها (السريانية) : وهى اللهجة الآرامية التى كان موطنها ما بين النهرين فى الإقليم الذى كانت عاصمته مدينة الرُّها أو أرْفه كما كان العرب يسمونها

وهى التى يعرفها الفرنجة باسم I dessa (إدسا) وكانت تحكمها فى العهد السابق لظهور المسيحية أسرة عربية ، يدل على ذلك أسماء ملوكها : أبجر ومعن ووائل ، فلما ظهرت المسيحية وانتشرت فى هذا الإقليم ، واتخذت لغته لغة أدبية لها ، كره أصحابه أن يطلق عليهم إسم الآراميين ، وأن يطلق على لغتهم إسم اللغة الآرامية ، ورأوا فى هذه التسمية مرادفا للوثنية والإلحاد ، فعدلوا عنه إلى الاسم الذى أطلقه عليهم اليونان وهو « السريان » وسموا لغتهم « السريانية » .

وليس من شك فى أن السريانية قد استفادت كثيراً من اتخاذ المسيحية لها لغة أدبية فانتشرت فيما بين النهرين ، ثم اتجهت فى طريقها ناحية الشرق ، وكان تسربها إلى الغرب ضئيلا جدا : ذلك أن اللغة اليونانية كانت منتشرة فى المغرب وكانت أنطاكية (فى شمال سوريا) معقلا لها . ولم تتمكن اللغة السريانية من دخول فلسطين لأن النزاعات الدينية والسياسية التى كانت قائمة بين سكانها وبلاد ما بين النهرين قد حفزت الفلسطينيين المسيحيين إلى النهوض بلهجتهم وجعلها لغة أدبية . ودخلت السريانية مصر ولكن فى الأديرة وبين رجال الدين وبخاصة فى الاسكندرية . وكانت هناك صلات بين كنيسة الرها والكنيسة المسيحية فى جنوب فرنسا ، وهاجر إلى فرنسا كثير من السريان فى عهد القيصرية الأولى حوالى سنة ٨٠٠ للميلاد .

أما فى الشرق فلم يكن هناك ما يمنع من انتشار اللغة السريانية فقد كانت لغة الكنيسة المسيحية فى الشرق تتبعها أينما حلت ، وكانت لغة المسيحية فى فارس وحملها المبشرون من النساطرة معهم إلى بلاد التركستان والهند حتى بلاد الصين . وكانت اللغة السريانية لغة المسيحيين فى المملكة الساسانية كما ذكرنا ، وبها درس الطب والعلوم الطبيعية فى مدرسة جنديسابور وغيرها من مدارس السريان فى البلاد الفارسية .

وقد دون السريان كتبهم بعدة أنواع من الخطوط ، وكان أقدمها مدونا بالخط الاسطرنجيلي ، ويفسر بعضهم معناه بخط الانجيل ، ويفسره الآخرون بالخط المستدير ؛ فلما انقسم السريان إلى نساطرة ويعاقبة وملكية ابتدع كل فريق منهم لنفسه خطا ، ومع ذلك فقد ظل الخط القديم مستعملا وصارت المؤلفات تكتب بالخطوط الاربعة : الأسطرنجيلي ، واليعقوبي وكان يطلق عليه إسم السرطا (أى الذى يكتب بسرعة) والنسطورى والملكى ، والخط الأخير مستخرج من الخطوط الثلاثة السابقة .

وقد ألف السريان فى لغتهم هذه فى جميع فنون الأدب التى كانت معروفة فى أيامهم ولكنهم لم يكونوا منشئين أو مبتدعين ، لم ينبغوا فى العلوم ولا فى الفنون بل ولم ينبغوا فى الحرب ، وكان ينقصهم فطنة العرب وذكاؤهم ، فلم تنجب صوامع الرها وقنسرين ونصيبين وغيرها أحداً كالفارابى أو ابن سينا أو ابن رشد ، ولكنهم مع ذلك أجادوا التلمذة لليونان فهضموا ما تلقنوه عنهم ، ثم نشروه فى لغتهم كما هو أو مع زيادة طفيفة ، وإليهم يعود الفضل فى نقل تراث اليونان إلى العرب ، فالعلم مدين لهم بهذه التراجم الدقيقة لعدد عظيم من أمهات المؤلفات اليونانية القيمة ، والتى لولاها لضاعت هذه المؤلفات ؛ يضاف إلى ذلك عدد من السجلات التاريخية المتواضعة التى خلفها يوحنا الأفسسى وديونسيوس التلمحرى ويوشع العمودى وميخائيل السريانى وابن العبرى ؛ وهى سجلات تستحق كثيراً من الثناء إذ بدونها ما استطعنا أن نصل إلى كل ما وصلنا إليه من معلومات عن تاريخ الكنيسة وعن كثير من الحوادث السياسية التى وقعت أثناء حياة المؤلفين .

والمعروف أن الأدب السريانى قد أثر تأثيراً كبيراً فى الأدب العربى ، وذلك أن العرب حينما ابتدأوا يهتمون بالعلوم والفلسفة اليونانية وحاولوا نقلها إلى

لغتهم كانت الترجمات السريانية هى الواسطة فى هذا النقل ، وأكثر المترجمين المشهورين مثل حنين بن اسحاق ، وابنة اسحاق بن حنين ، وحبيش بن الأعصم ، ويحيى بن البطريق ، ويحيى بن عدى ، وابن زرعة كانوا ينقلون عن السريانية .

ومع ذلك فقد يكون من عدم الانصاف أن نصف السريان عامة بأنهم لم يكونوا منشئين أو مبتدعين ، فنحن نعلم أن أهل حران ومنبج قد نبغوا فى الفلك وغيره من العلوم الطبيعية وألفوا فيها كتباً ، فقد وصل إلى أيدينا من هذه الفنون كتاب قوانين البلدان لابن ديصان ، والراجح أن غيره من السريان قد ألف فى فنون أخرى ، ولكن الجهل الذى كان يسيطر على الجيل الأول من المسيحية دفعه إلى بغض هذه الفنون الأدبية وزهده فيها ، وحبب إليه أن يقنع بالكتب الدينية ولذلك فقد عمد هذا الجيل إلى إتلاف الكتب غير الدينية ، ومن هنا لم يصل إلينا إلا الكتب الدينية والكتب التى لا تتعارض مع المسيحية .

أما عن أسلوب الكتابة السريانية فقد كان المؤلفون متأثرين بأسلوب الكتاب المقدس وكثرت فى كتاباتهم الاصطلاحات والاستعارات المستقاة من الكتاب المقدس ، وطبعت بالطابع الدينى للسبب الذى أشرنا إليه من قبل من جهة ، ولأن الكثرة المطلقة من الكتاب كانت من رجال الدين من جهة أخرى .

وقد اختلط اليونان بالسريان اختلاطا كبيرا ولذلك فإن من المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت — تبعاً لذلك — ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة . فقد حاكى السريان الأبنية اليونانية فى بعض كتاباتهم وقلدوهم فى طريقة استعمال الكلمات بل إنهم نقلوا إلى لغتهم كثيراً من الكلمات اليونانية ، كما أسسوا علم النحو فى لغتهم على غرار النحو اليونانى واتخذوا من الصوائت اليونانية حركات يستعملونها فى كتاباتهم .

وظلت السريانية مزدهرة حتى فتح العرب بلاد السريان ، ومنذ ذلك الحين

أخذت اللغة السريانية تضمحل وتحل محلها اللغة العربية ، واختلفت لغة العامة من السريان عن لغة الكتابة فظهرت الحاجة إلى وضع علم النحو وابتداع طرائق لضبط الكلمات . وتأليف معاجم للسريانية والعربية ، وبدأ الشعر العربي يؤثر في الشعر السرياني فظهرت فيه القوافي ، ولم تكن معروفة فيه قبل ذلك . ولكن سرعان ما اضمحل الشعر السرياني وأصبح أشبه بكلمات تستخرج من قاموس لتصف إلى جوار بعضها . وأخيراً دالت اللغة السريانية كلغة للتخاطب ؛ وبعد أن كان أكثر الأطباء المسيحيين الذين جاءوا من جنديسابور في مطلع العصر العباسي لا يحسنون العربية ، أصبح الأطباء وكل من له عناية بالتراث اليوناني أو له رغبة في معرفة علوم الأوائل محتاجا إلى تراجم عربية ، ولم يبق للسريانية أثر إلا عند بعض المثقفين الذين ثابروا على استعمال هذه اللغة في تآليفهم وخاصة في الكنيسة .

ثم صحت اللغة صحوة الموت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد على يد عدد من الكتاب المشهورين كابن الصليبي وميخائيل الكبير وابن العبرى ، وتبدلت الحالة في هذه الفترة ، فبعد أن كانت الكتب تترجم من السريانية إلى العربية في صدر الإسلام ، أصبحت الكتب تترجم من العربية إلى السريانية في هذه الفترة ، وإذا بابن العبرى ومعاصريه يترجمون كتب ابن سينا والفخر الرازى وأضرابهما من فلاسفة المسلمين من العربية إلى السريانية .

وبنهاية القرن الثالث عشر انقرض استعمال اللغة السريانية تقريبا ولم يبق منها اليوم إلا بعض بقايا في بعض نواحي العراق الشمالية ، في عدد من البلدان فيما بين بحيرة أورميا وبحيرة فان حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة ويسمونهم بالأشوريين . وفي شمال الموصل حيث يوجد بعض آلاف من اليهود يعيشون على فلاحة الأرض . وفي طورعابدين وهي نواح جبلية في البلاد الفارسية حيث يقيم بعض اليعاقبة . وفي ثلاث من مدن سوريا منعزلة بعضها عن بعض :

الأولى مسيحية وهى معلولة . والثانيتان سكانهما من المسلمين وهما جبعدين وبخعة .
ولكن لهجات هذه البلاد تختلف كثيراً عن اللهجات القديمة إذ أنها جاورت جهات تأثرت بلهجات تركية وعربية وفارسية وأردية ، ومن أهم هذه اللهجات لهجة « الفلليحى » وهى لهجة يتكلم بها قرب الموصل ، ولهجة طور عابدين ولهجة بحيرة أورميا وكلها لغات يتكلمها غير المثقفين وليست لغات تأليف غير أن المبشرين الأمريكيين قد اجتهدوا فى القرن الماضى فى استخدام هذه اللهجة فى الكتابة فترجموا إليها بعض الكتب وخاصة الانجيل وألفوا فيها بعض الكتب — كما يفعلون منذ قرن فى اللهجات الحامية الموجودة فى جنوب السودان — ولكن هذه الحركة قد فشلت .

وقد يكون من الأمور الطبيعية أن نتساءل بعد ذلك : متى بدأت العناية بدراسة الأدب السريانى ؟

الأمر الذى لا شك فيه أن الأدب السريانى لم يدرس دراسة منتظمة إلا منذ القرن الثامن عشر حين بدأ يوسف سمعان السمعانى المارونى المتوفى سنة ١٧٦٨ يكشف عن أهمية هذا الأدب بما نشره فى كتابه « المكتبة الشرقية » (طبع فى روما فيما بين سنتى ١٧١٩ و١٧٢٨) من تراث الأدب السريانى عن مخطوطات نقلها من دير السريان بوادى النطرون .

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن الشرقيين بدأوا فى دراسة الأدب السريانى منذ النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى ، نلمح ذلك فى كتابات موسى الماردينى اليعقوبى ، وفى الجهود التى بذلت فى إحياء النحو السريانى بعد ذلك بقليل فى القرن السابع عشر .

وقد قامت هذه النهضة بوجه عام على أكتاف الموارنة من السريان ، وكان

على رأسهم عائلة السمعانى التى كان لها شرف تخريج علماء أوربا الذين أغنوا الأدب بما أخرجوه من المخطوطات السريانية ، ولما تكن هذه المخطوطات قد كثرت بعد ، وقد أوقف السمعانى على مكتبة الفاتيكان مجموعة نفيسة من المخطوطات السريانية التى نقلها على عدة دفعات من دير السريان بوادى النطرون . وقد قام علماء الغرب بعد ذلك بنشر نفائس الكتب فى هذه اللغة .

ولم يكن قد طبع فى ذلك الحين من فهارس المخطوطات الشرقية المحفوظة بالمكتبات العامة سوى فهرس مخطوطات الفاتيكان الذى أعده يوسف سمعان السمعانى واصطفان عواد السمعانى وفهرس مكتبة لورانتين فى فلورنسا الذى وضعه اصطفان عواد السمعانى . ولم تكن هذه المكتبات تشتمل — فى ذلك الحين — إلا على عدد قليل جداً من المخطوطات السريانية ، ولكن هذه المكتبات أخذت — فى القرنين الأخيرين — تبذل جهوداً متواصلة لاقتناء المخطوطات السريانية حتى تجمع لدى كل منها مئات من هذه المخطوطات . وكان حظ المتحف البريطانى منها عظيما جدا ، فقد استطاع أن يحصل على مجموعة ضخمة من هذه المخطوطات كانت نواتها مجموعة من مخطوطات دير السريان بوادى النطرون كما عملت هذه المكتبات على أن تضع فى متناول الباحثين فهارس وصفية تحليلية كاملة قام بإعدادها ونشرها عدداً من أعلام المستشرقين . وقد وضعت عدة مؤلفات فى تاريخ الأدب السريانى .

أولها : كتاب جوستاف بيكل (طبع فى مدينة مونستر بألمانيا سنة ١٨٧١) ولكنه مختصرا جدا .

وثانيها : مقالة كتبها وليم رايت فى الجزء الثانى والعشرين من دائرة المعارف البريطانية تحت مادة « الأدب السريانى » ص ٢٢٤ — ٨٥٦ . وقد أعيد طبع هذه الرسالة بعد وفاة المؤلف فى كتاب مستقل تحت عنوان « مختصر لتاريخ

الأدب السرياني » (نشرت فى لندن سنة ١٨٩٤) بعد أن أدخل عليها بعض الزيادات لكى تستوعب المطبوعات التى ظهرت بعد نشر المقالة ، والملاحظات التى سجلها المؤلف على نسخته الخاصة .

والكتاب كما قصد مؤلفه مختصر إلى حد كبير ، ولكن المؤلف راعى الدقة فى كل ما فيه ، وهو غير مقسم إلى فصول لأنه وضع أولا ليكون مقالة فى دائرة معارف ، وقد تكلم فيه باختصار عن سير المؤلفين من السريان مرتبين ترتيبا زمنيا وسجل لكل واحد منهم أسماء المؤلفات التى عرفها له . وقدم لذلك كله بكلمة عن التراجم السريانية المختلفة للكتاب المقدس .

وثالثها : كتاب روبنز دوفال « الأدب السريانى » ضمن سلسلة عنوانها الآداب المسيحية القديمة » طبع فى باريس فى يناير سنة ١٨٩٩ ثم طبع ثانية سنة ١٩٠١ وثالثة سنة ١٩٠٧ . وقد وجد المؤلف عناية خاصة عند دراسته للأدب السريانى إلى أثر هذا الأدب بالنسبة للآداب المسيحية عامة فتحدث بإسهاب عن تراجم الكتاب المقدس وسير الشهداء إلى غير ذلك .

والكتاب مقسم إلى قسمين : يشتمل القسم الأول على أعمال السريان الأدبية ، ويتكون ، من سبعة عشر فصلا تحدث فيها عن كل ما تناوله السريان فى كتاباتهم من الفنون الأدبية . ويشتمل القسم الثانى على نبذ مختصرة عن سير المؤلفين من السريان مرتبة ترتيبا زمنيا اتبع فيه منهج رايت ، ويتكون من ثلاثة فصول : تكلم فى الفصل الأول عن المؤلفين حتى مطلع القرن الخامس ، وتكلم فى الفصل الثانى عن كتاب القرنين الخامس والسادس ومطلع القرن السابع حتى الفتح العربى . وتكلم فى الفصل الأخير عن الكتاب الذين ظهروا إبان الحكم العربى حتى القرن الثالث عشر واختتمه بالحديث عن ابن العبرى .

ورابعها : كتاب بوركيت : وهو محاضرات عن كنيسة المتكلمين بالسريانية

(لندن ١٩٠٤) ويشتمل على ملخص لناحيه من نواحي الأدب السرياني .

وخامسها : كتاب نولدكه عن « الأدب الآرامى » . والقسم الأول منه عن الأدب السرياني (ص ١٠٣ — ١٢٣) نشر فى برلين وليبزج سنة ١٩٠٦ وطبع ثانية سنة ١٩٢٥ وهو قسم مختصر ضمنه تاريخ الأدب السريانى فى عصوره المختلفة . ولم ينهج بوركيت ولا نولدكه فيما كتباه منهجاً خاصا .

وسادسها : بحث لبروكلمان عن « الأدب السريانى » ضمن كتاب عنوانه « الآداب الشرقية المسيحية » نشر فى ليبزج سنة ١٩٠٧ (ص ١ — ٧٤) ثم طبع ثانية سنة ١٩١٩ وقد جاء البحث مختصراً لأنه جزء من كتاب يتناول الآداب المسيحية الشرقية باختصار ، وقد راعى فيه المؤلف الترتيب الزمنى أيضاً .

وسابعها : مقالة شابو عن اللغة السريانية وآدابها فى الجزء الرابع عشر من دائرة المعارف الكاثوليكية (ص ٤٠٨ — ٤١٣) وقد حذا فيه حذو من سبقه من تلخيص الأدب السريانى .

وثامنها : كتاب بومشتارك عن « تاريخ الأدب السريانى » نشر فى بون سنة ١٩٢٢ وهو عبارة عن سجل حرص مؤلفه على أن يجمع فيه كل ما استطاع أن يصل إليه علمه من الكتب المطبوعة والمخطوطة . ولكنه مركز إلى حد يتعسر معه على غير المتخصصين الاستعانة به . وقد راعى المؤلف فى تقسيمه الترتيب الزمنى كما فرق بين كتاب اليعاقبة والنساطرة فى عرضه لتاريخ الأدب .

وقد نهج المؤلفون فى تاريخ الأدب السريانى على عرضه من الناحية التاريخية البحتة مفترضين أن الذين يهتمون بتاريخ الأدب على علم بالأدب السريانى . ولما كان من شأن دراسة تاريخ الأدب السريانى أن يكشف للباحث عن النواحى البارزة من هذا الأدب ، فقد رأينا أن نضمن كتابنا هذا ترجمة أو عرضا أو تلخيصا لما نؤرخ له حتى نعين القــارىء على تفهم تاريخ هذا الأدب . ولما كان الفتح

الاسلامى للبلاد التى تـكلم أهلها السريانية وما تبع ذلك من تغلغل اللغة العربية بين أهلها ، قد فرق بين فترتين متميزتين فى الأدب السريانى ، فقد رأينا أن نراعى ذلك فى دراستنا هذه . فنتناول فى الفترة الأولى تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى وهو موضوع الجزء الأول من هذا الـكتاب . ونتناول فى الفترة الثانية تاريخ الأدب السريانى من الفتح الإسلامى إلى العصر الحاضر ،وهو الجزء الثانى من هذا الـكتاب .

الباب الأول

كانت مملكة الرها واقعة فى الجزء الشمالى الغربى من إقليم ما بين النهرين وكانت لغتها هى اللهجة الآرامية الشرقية التى أطلق عليها اليونان اسم «السريانية» وكانت الرها مملكة مستقلة فى القرون الأخيرة قبيل الميلاد والقرون الأولى بعد الميلاد . والراجح أن أصل ملوكها من العرب كما تدل عليهم أسماؤهم : معن ووائل وأبجر ، إذ يظن أن بعض رؤساء العرب دخلوا مدينة الرها — كما دخل غيرهم حمص وتدمر — وصاروا ملوكاً على الشعب الآرامى فنسوا لغتهم على مرور الزمن وتعلموا لغة الشعب الآرامية ، فلما دخلت المسيحية الرها فى أوائل القرن الثانى للمسيح ، وتبع ذلك بناء الكنائس فيها ، واتخاذ المسيحيين لغتها لغة لهم ، وترجموا إليها الكتاب المقدس ، أصبح للغة السريانيه مركز ممتاز ، وصارت الرها منذ ذلك الحين مركز الحياة الثقافية المسيحية باللغة السريانية .

وإذا فنحن نستطيع أن نميز فى هذا القسم بين طورين مختلفين من الأدب .

الطور الأول . ويتضمن الأدب السريانى الذى وضع قبل أن تصبح الرها مركز الحياة الثقافية المسيحية .

الطور الثانى : ويتضمن الأدب السريانى الذى أثر عن العصر المسيحى الذى سبق ظهور الإسلام .

الأدب السريانى قبل إنتشار المسيحية

ليس ثمة شك فى أن بعض الأقوام من اليهود والوثنيين كانوا يقيمون فى المناطق التى كانت — فيما بعد — موطن المسيحية السريانية . وليس من شك أيضا أنه كانت لهؤلاء الأقوام كتابات باللهجة المحلية فقد حلت اللغة السريانية محل العبرية عند اليهود الساكنين فى تلك المناطق ، كما كانت لغة الدين والأدب والعلم فى حران معقل الوثنية فيما بين النهرين ، ومهما يكن من أمر هذه الكتابات فقد عزلتها المسيحية عن العالم وحالت بينها وبين الخروج من معقلها لأنها لم تكن تساير العقيدة المسيحية ، وبقيت كذلك فى عزلتها حتى العصور الإسلامية المتأخرة حين قضى المغول عليها نهائيا سنة ١٢٣١ م . وبذلك حرم العالم من ثمار حضارة هؤلاء الأقوام .

وقد بقيت لنا آثار متفرقة قليلة من هذه الكتابات هى : كتابات قبور ، وبعض كتابات مطولة اشتملت عليها دار المحفوظات الملكية فى الرها ، وخطاب « مارا بن سرابيون » إلى إبنه سرابيون وقصة أحيقار وزير سنحاريب ، وبعض مقطوعات منسوبة إلى متنبىء وثنى يدعى بابا الحرانى . وسنتناول هذه الآثار فى شىء من الإيجاز .

كتابات القبور : أقدم الكتابات السريانية التى بقيت لنا هى كتابات قبور نقشت على أحجار ، ولم نعثر حتى الآن إلا على عدد قليل منها ، ومع أنها جميعاً غير مؤرخة إلا أن جمهرة المشتغلين بالدراسات السامية قد اتفقت على أنها ترجع إلى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد .

ويرجع الباحثون أقدم هذه النقوش إلى النصف الأول من القرن الأول.
وقد كتب عليه (ص د ن م ل ك ث ا) أى الملكة صدان . ومع أنه لا يبدأ بكلمة « هذا قبر . . . » كما هو مألوف فى نقوش المقابر المكتوبة باللغات السامية إلا أن الراجح أنه نقش مقابر . وقد عثر عليه سنة ١٨٦٣ وهو محفوظ الآن بمتحف اللوفر بباريس .

والنقش الثانى غير مؤرخ أيضاً كالنقش السابق ، إلا أن الباحثين يرجعونه إلى القرن الثانى ، وهو أطول من النقش السابق ، وقد كتب عليه (ا م ش م ش ا ت ت ه د ش ر د و ب ر م ع ن و) وهو كالنقش السابق لا يبدأ بعبارة « هذا قبر . . . » إلا أن الراجح أنه نقش مقابر أيضاً . وهو منقوش على برج مربع قائم فى خربة بجهة سميت فيما بعد بدير يعقوب واقعة فى الناحية الجنوبية الشرقية من الرها . وكان Von Helmuth Moltke هو أول من لفت الأنظار إلى وجود هذا النقش سنه ١٨٣٩ .

إن الغالب على الآثار التى تقوم فى هذه الخربة وثنية الأصل ولكن لا يعرف الغرض الذى أقيمت من أجله . ولعلها كانت مقابر لعائلة كبيرة ، ولعل البناء الذى كتب عليه النقش برج مقبرة : والذى حملنا على ترجيح أن هذه الآثار وثنية اسم « أمة شمس » فهو اسم وثنى ، وعلى الرغم من أننا نعلم أن المسيحيين قد سموا أبناءهم ببعض الأسماء الوثنية . إلا أن البناء ليست به معالم تدل على أن المسيحية قد ظهرت فى الرها عند بنائه . ومع أن إنتشار المسيحية فى الرها فى النصف الأخير من القرن الثانى أمر مرجح إلا أن الأدلة المادية على وجودها متأخرة نوعاً ما . فقد وجد على نقود أبجر المعاصر للامبراطور كومودوس (١٨٠ — ١٩٢ م) وهو أبجر سويروس ، صليب عوضاً عن الشارة القديمة وهى الهلال والنجمة .

وأول إشارة إلى وجود كنيسة فى الرها كان سنه ٢٠١ م . عندما ذكر أن

مياه نهر ديصان طغت على كنيسة المدينة ، وأول مرة ذكر فيها اسم أسقف لمدينة الرها كان فى سنة ٣١٣ م . ولا تشتمل هذه الخربة على دليل يمكننا من تأريخ هذا النقش . ولكن القرائن التاريخية توحى بأنه نقش فى النصف الأخير من القرن الثانى ، وليس فى معالم الخربة ما يتعارض مع هذا الرأى .

والنقش الثالث غير مؤرخ أيضاً وهو أطول من نقش دير يعقوب السابق . وتدل المقارنة بين خطوط النقشين على أن هذا النقش أحدث من نقش دير يعقوب ، وكان G. Badger أول من أشار إليه ، وهو موجود فى قلعة الرها الواقعة فى الناحية الجنوبية الغربية من المدينة وفيها تقوم جدران شاهقة ، وقد نقشت فى أعلى الجدران الخارجية نقوش متفرقة يتعذر الوصول إليها ، ولا يستطيع الإنسان بواسطة المنظار المكبر إلا أن يحكم أنها كتابات عربية ولكنه لا يستطيع أن يقرأ منها شيئاً ، وفى داخل القلعة كتابة كوفية يتعذر الوصول إليها أيضاً ، ويقوم بالقرب من الطرف الغربى على بعد قليل من الجدار عمودان يعرفان عند العامة بكرسى نمرود ، وقد كتب هذا النقش على العمود الجنوبى منهما عند منتصفه ، ويستطيع الإنسان أن يقرأه بالعين المجردة وفيه كلمات وحروف ناقصة فى عدد من المواضع ، وبخاصة اسم صانع النقش أو الذى أمر بإقامته . وفيما يلى اقتراح لما يتضمنه النص : « أنا فلان ابن فلان صنعت (أو أقمت أو أمرت بإقامة) هذا العمود والصورة القائمة أعلاه لشلمث الملكة ابنة معن » .

ويدل هذا النقش على أن هذا العمود قد خصص لأميرة ، أو لعله أقيم للملكة هى ابنة رجل يدعى معن ، ونستنتج من ذلك أن هذا العمود والنقش المكتوب عليه يرجعان إلى عصر استقلال إقليم الرها فى عهد أسرة أبجر ومعن المالكة ، لأننا لا نعتقد أن أحداً لم يجد ما يدعوه إلى إقامة نصب لأميرة من البيت الحاكم بعد ضم الرها إلى أملاك الدولة الرومانية . ونستطيع أن نحدد

العصر الذى أقيم فيه هذا النقش إذا رجعنا إلى ما ورد فى تاريخ الرها عن سنة ٢٠٦ ، أن أبجر بنى قلعة بمدينته ، والراجح أن المقصود بهذه القلعة قلعة الرها . أما أبجر المذكور فهو أبجر الثامن ابن معن وربما كانت إقامة العمودين بعد بناء القلعة أى بعد سنة ٢٠٦ م . إما فى عصر أبجر وإما فى عصر ابنه معن التاسع آخر أمراء الرها أى بين سنتى ٢٠٦ و ٢١٦م وتكون شلمث هى ابنة معن التاسع . ولكن خلو النقش — من جهة أخرى — من وصف معن بصفة «ملك» ربما دل على أن معناً هذا شخص آخر غير معن التاسع الملك ، ويكون العمودان قد أقيما قبل بناء القلعة بزمن طويل وبخاصة إذا لاحظنا أن النقش والعمودين ليس بهما أى أثر للمسيحية .

ومهما يكن من أمر هذه النقوش التى تحدثنا عنها وأمثالها من نقوش المقابر ، فإنها لا تشمل عادة إلا على نصوص قصيرة لا تضيف كثيراً إلى تاريخ الأدب ، ولكنها فى الواقع دليل على أن اللغة السريانية كانت تكتب بحروف سريانية فى إقليم الرها قبل دخول المسيحية إليه بزمن غير قليل .

كتابات ملوك الرها وإن تعوزنا الأدلة على أن هذه اللغة المحلية التى كانت مستعملة فى الرها وما جاورها من البلدان قبل ظهور النصرانية هى اللغة السريانية ، فإن كل ما بقى لنا من كتابات عن هذه الفترة — على قلتها — مكتوب باللغة السريانية . وكانت الرها عاصمة الجزء الشمالى من بلاد ما بين النهرين ، وكان يحكم هذا الإقليم — بين سنتى ١٣٢ قبل الميلاد ، ٢١٦ ميلادية — أسرة من أصل عربى ؛ ولكنها اصطبغت إلى حد بعيد بالحضارة الآرامية التى تحيط بها ، وخضعت لما يسير عليه الآراميون من عادات ، وكانت العادة قد جرت فى دول آسيا الصغرى على تسجيل أهم الحوادث التى تقع وحفظها فى دار المحفوظات ، ولم يشذ ملوك الرها عن هذه العادة ، فقد كانوا يدونون ما يقع أثناء حكمهم من

حوادث ويحفظونه فى سجلات بدار المحفوظات بالديوان الملكى .

وكان من بين ما سجل وحفظ فى دار المحفوظات خبر فيضان نهر ديصان الذى اجتاح مدينة الرها فى شهر تشرين الثانى سنة ٢٠١ م . فى عهد أبجر التاسع والذى كان من جرائه أن تصدعت كثير من مبانى الرها الجميلة ومن بينها « كنيسة المسيحين » ، وقد اضطر الملك إلى ترميم كثير من المبانى وتشييد مبان جديدة ، فلما تمت أعمال الاصلاح ، أمر الملك كاتبيه « ماريب برشمش » و (قيوما برجرطط) بتسجيل هذه الكارثة فسجلت سنة ٢٠٦م . وحفظت بدار المحفوظات فى مجموع الأوراق الرسمية التى نقلت فيما بعد إلى سجلات أساقفة مدينة الرها التى أنشئت حوالى سنة ٣١٣ م . فلما كان منتصف القرن السادس الميلادى كان هذا النص أحد المواد التى جمعت لتكون مختصر تاريخ مدينة الرها .

ولهذا النص أهمية خاصة عند المؤرخين المتأخرين لأنه يدل على أن المسيحية قد دخلت إلى الرها فى عهد أبجر التاسع ، وله كذلك أهميته فى تاريخ الأدب . فهو أقدم النصوص المؤرخة ، وهو إلى جانب ذلك نص لغوى مطول باللغة السريانية فى شمال ما بين النهرين .

وقد نشر السمعانى كتاب مختصر تاريخ الرها بالسريانية فى كتابه المكتبة الشرقية (ج ١ ص ٣٩٠) وفيها قصة الفيضان . أما بروكلمان فقد نشر قصة هذا الفيضان بالسريانية فى كتابه قواعد اللغة السريانية (طبع فى برلين سنة ١٩٠٥ ص ٢١ من المختارات) . وإليك ترجمة هذا النص :

« فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة أيام ملك سويرس وفى عهد أبجر الملك ابن معن الملك فى شهر تشرين الثانى (أى نوفمبر) اشتد نبع المياه المتدفق من القصر الكبير الذى يملكه أبجر الملك الكبير ، اشتد وارتفع كعادته الأولى وملأ كل

الجوانب وفاض عليها ، وأخذت الحدائق والأروقة والقصور الملكية تمتلىء بالمياه . فلما رأى ذلك مولانا أبجر الملك صعد إلى الهضبة التى تعلو عن قصره حيث يقيم عمال المملكة ويسكنون . وبينما كان الحكماء يفكرون : ماذا يصنعون بهذه المياه الغزيرة التى تراكمت ، حدث أن هطل مطر غزير قوى بالليل ، وفاض ديصان فى غير موعده ، وجاءت المياه الغربية فوجدت القناطر مقفلة بحديد كبير مصفح وبمصاريع حديدية مثبتة ، فلما لم تجد المياه لها مدخلا تكون بحر كبير خارج أسوار المدينة . وابتدأت المياه تتسرب من بين حوائط سور المدينة . وبينما كان أبجر الملك قائما بالبرج الكبير المسمى برج الفرس رأى المياه على ضوء مشاعل النار ، وأمر فرفعت الأبواب والقناطر الثمانية للسور الغربى للمدينة من حيث ينبع النهر . وفى تلك اللحظة اندفعت المياه إلى سور المدينة الغربى ودخلته إلى المدينة وهدمت القصر الجميل (قصر) مولانا الملك واجتاحت كل ما وجدته أمامها من مبانى المدينة الرقيقة الجميلة وكل ما كان قريباً للنهر من شماله وجنوبه . وأتلفت كذلك هيكل كنيسة المسيحيين . وهلك فى هذا الحادث أكثر من ألفين من الناس كان كثير منهم نائمين بالليل فطغت عليهم المياه فجأة وماتوا خنقاً ، وعندئذ امتلأت المدينة بأصوات العويل . فلما رأى أبجر الملك تلك الخسارة التى وقعت ، أمر أن يبعد جميع عمال المدينة أكواخهم من عند النهر ، وأن لا يبنى أحد له كوخاً عند النهر . ووضعت الأكواخ بحكمة المهندسين والعلماء كما يسمح عرض النهر ، كما زادوا على مساحته القديمة ، ومع أن المياه كانت كثيرة وقوية إلا أن عرض النهر كان صغيراً فإنه يتلقى مياه خمسة وعشرين فرعاً بجملتها من جميع النواحى .

وأمر أبجر الملك أن جميع الذين يقيمون فى الأروقة ويعملون أمام النهر لا يبيتون فى أكواخهم من شهر تشرين الأول (أكتوبر) حتى نيسان (ابريل) إلا رجال الشرطة الذين يحرسون المدينة فإن خمسة منهم يبيتون بالسور فوق

المكان الذى دخلت منه المياه إلى المدينة طيلة وقت الشتاء لكى يحسوا ويسمعوا فى الليل صوت المياه الغريبة التى قد تأخذ فى الدخول إلى المدينة .. وكل من يسمع الصوت ويهمل فى الخروج ، فإن المياه تنتقم منه لأنه أهمل أمر الملك . ووضع هذا الأمر هكذا من ذلك الوقت الذى صدر فيه إلى أبد الآبدين . وعندئذ أمر أبجر الملك فبنى له بناء لمقر ملكه فى الشتاء هو « بيت تبارا » وكان يسكن هناك طوال فصل الشتاء ، وكان ينزل فى الصيف إلى القصر الجديد الذى بنى له على رأس النبع . وكذلك بنى أشرافه مبانى لإقامتهم إلى جوار قصر الملك فى السوق الكبير المسمى « بيت سحرايا » ولكى يستقر السلام الأول فى المدينة أمر أبجر الملك فرفعت أعباء الضرائب عن الذين فى داخل المدينة ، وعن الذين يسكنون القرى والدساكر ورفعت الضرائب عنهم خمس سنوات حتى تغنى المدينة بالرجال وتزدان بمبانيها » .

خطاب مارا بن سرابيون : أثرت ثقافة اليونان على السريان تأثيراً ظاهراً فى سوريا الداخلة وهى سوريا الغربية ، ولكنها لم تكن لغة التخاطب وإنما كان تعليمها قاصراً على طبقة المثقفين من الاغنياء ويؤيد ذلك ما رواه صاحب سيرة ربولا أسقف الرها (٤١٢ — ٤٣٥ م) « أنه (أى ربولا) تعلم اليونانية كسائر أبناء الأغنياء فى مدينتهم قنسرين — وقد ظلت اللغة اليونانية إلى جانب السريانية لغة أدبية فى تلك الجهات عدة قرون بعد المسيح . وكان بعض الكتاب من السريان يؤلفون باللغة اليونانية ثم تنقل كتبهم إلى اللغة السريانية لكى يفهمها سائر الناس . ومن الذين كتبوا باليونانية لوقيان السميساطى (نسبة إلى مدينة سميساط) فى القرن الثانى . وأسابيوس القيصرى (من مدينة قيصرية) المتوفى سنة ٣٤٠ م . وتيطوس البصرى المتوفى سنة ٣٧١ م . وسويرس الأنطاكى .

وكان من تأثير اليونانية على السريانية أن استعمل السريان فى كتاباتهم

المصطلحات اليونانية، نجد ذلك واضحا فى الخطاب الذى أرسله مارا بن سرابيون إلى ابنه سرابيون .

ولم تكشف لنا النصوص السريانية التى بين أيدينا عن مؤلف هذا الخطاب ، وكل ما نعرف عنه ، استقيناه من خطابه الذى لا يمكننا تأريخه بالضبط ، فهو خطاب خاص من جهة ، وليست لدينا معلومات عن الحوادث التأريخية التى ورد ذكرها فى الخطاب من جهة أخرى، ومع ذلك فقد ذهب المستشرق الإنجليزى « كيورتون » ناشر الرسالة إلى أنه ليس من الحقائق الواردة فى هذا الخطاب ما يحول دون القول بأنه كتب فيما بين نهاية القرن الأول ونهاية القرن الثانى. وإليك ترجمة الخطاب :

« سلام مارا بن سرابيون إلى سرابيون ابنى . عندما كتب إلى أستاذك ومربيك ، وأطلعنى أنك على صغر سنك مثابر على الدرس ، حمدت الله أنك وأنت حدث صغير بغير مرشد خارجى قد بدأت بداية طيبة ، فكان ذلك عندى مطيبا لخاطرى أن أعلم عنك أيها الغلام الصغير هذا العقل الكبير ، والنجابة العظيمة ، التى يصعب أن تبقى عند الكثيرين ، لهذا كتبت إليك هذه الرقعة عما استفدته من العالم ، فقد تتبعت حياة الناس ، وقطعت فى العلم شوطا فوجدت أن التعاليم اليونانية كلها قد تحطمت عند نشأة الحياة . فاحترس إذا يا بنى مما يصلح للأشراف ، وفكر فى الكتاب، وأبحث عن الحكمة ، فكر كذلك فى تثبيت ما بدأت به ، وتذكر أوامرى بانتباه ، وكن كالرجل الهادىء الذى يحب النظام ، فالنظام وإن بدا لك شديد المرارة يصبح عندك عذبا حينما تتبعه زمنا قصيراً ، وهذا هو نفس ما حدث لى .

أما الإنسان فإنه عندما يرتحل عن أهله ، ويتمكن من الاحتفاظ بعادته ، ويعمل كل ما يجب عليه بدقة ، فإنه بذلك يكون الرجل المختار الذى تحل عليه بركة الله ، ولن يوجد من يشبهه فى نبله . فإن أمثال هؤلاء الناس الذين يدعون

إلى الظلام يريدون أن يتخلصوا من نضال الزمن . والذين يتمسكون بالحكمة يتعلقون بالأمل فى العدل ، والذين يقومون على الحق يظهرون مستوى فضائلهم ، والذين يهتمون بالفلسفة يفكرون فى الهرب من بؤس هذا العالم . أما أنت يا بنى فتدبر هذا كله بحكمة ، كرجل كريم يريد أن يحيا حياة نقية ، وإياك أن تغريك الثروة التى يتعطش إليها الكثيرون . واجعل همك اشتياق الثروة غير الحقيقية . فإن الناس لا يتوقفون عندما يحصلون على أمانيهم ، حتى ولو ثبتوا على صلاحهم . وجميع هذه الأشياء التى تظهر لك فى العالم كأنها حلم يتلاشى بعد فترة ، فإنها مد الزمن وجزره .

وأنت لا تفكر فى الخيلاء - التى تملأ حياة الناس على أنها شىء من الأشياء التى تفرحنا ، فإنها تعجل لنا الألم وبخاصة ولادة الأبناء المحبوبين . وواضح فى كلا الحالين أن فى ذلك إذلالا لنا . وحب الخير كريه إلينا ، ولكننا مدفوعون إليه بالعادة . ونحن نتعب فى إصلاح المذنب ونحزن من جراء رذائله .

وقد سمعت عن أصدقائنا ، أنهم لما غادروا « سميساط » حزنوا ، وقالوا كأنهم يلومون الزمن : « لقد أبعدنا من بين قومنا ، ولا سبيل إلى العودة إلى مدنيتنا لرؤية أهلنا واستقبال آلهتنا بالتسبيح . كان الأجدر بذلك اليوم أن نسميه يوم الحسرة ، فقد استولى عليهم جميعا على السواء هم واحد ثقيل ، كانوا يبكون وهم يتذكرون آباءهم ، ويتأوهون حنينا إلى أمهاتهم ، لقد حزنوا على إخوانهم ، وتألموا لفراق خطيباتهم .

ولما سمعنا بنبأ أصحابهم الأولين الذين ذهبوا إلى سلوقيا ، استرقنا إليهم الطريق ، وأضفنا إلى همومهم همومنا ، فاشتد همنا معاً عندئذ . وازداد بكاؤنا حقا على ضياعنا ، وجمعت الظلمة الحالكة حسرتنا ، ومنذ حين ونحن نضيق بالهموم ، حتى لم يستطع أحد منا أن يدفع همومه التى تراكمت عليه . وأخذ

يتدافع فينا حب الحياة وألم الموت . وأخذ سوء الحظ يقودنا على غير هدى ، فرأينا إخواتنا وأبناءنا أسرى ، وتذكرنا رفقاءنا الذين ماتوا ودفنوا في غير أرضهم . كما اهتم كل امرىء منا بنفسه ، حتى لا تتراكم عليه كارثة فوق أخرى ، أو تدرك فيه المصيبة سابقتها .

ولكن ماذا يجنى قوم محبوسون اعتادوا على ما هم فيه ! ؟

أما أنت أيها الحبيب، فلا يحزنك أن تدفع بك وحدتك من مكان إلى مكان. فلهذا ولد الناس لكى يتقبلوا صروف الزمن ، ولتعلم أن كل أرض عند الحكماء سواء ، وإن الصالحين يجدون بكل مدينة كثيراً من الآباء والأمهات . فلتأخذ لك من نفسك موعظة : فما أكثر الناس الذين لا يعرفونك ولكنهم يحبونك كأبنائهم، وما أكثر النساء اللائى يستقبلنك كأنك حبيبهن ، فما تجحت إلا لأنك غريب ، ولا اشتدت محبة كثير من الناس لك إلا لأنك صغير .

ماذا نقول الآن عن الخطيئة التى حلت بالأرض وبالعالم الزكى الذى تؤدى إليه ، ونحن نرتجف من حركاته كما يهتز الغاب على أيدى الريح . وإنى لأتعجب من كثيرين ممن يطرحون أبناءهم ، ودهشت لغيرهم ممن يربون غير أولادهم . وفى العالم قوم يقتنمون الثروة ، وآخرون أدهشنى أن ليس لهم من يرثهم . هكذا . فتبدر وانظر إن إن الضالين يسيرون فى طريق الخيبة هذا .

قال لنا حكيم الناس : على أى المقتنيات يعتمد الإنسان ، أو عن أى الأشياء يتحدث ، على أنها هى الأكثر تحملا ؟ على كثرة الثروة ؟ فإنها عرضة للنهب . أو على الحصون ؟ فإنها مستباحة . أو على المدن ؟ فإنها عرضة للتخريب . أو على العظمة ؟ فإنها عرضة للإذلال . أو على الكبرياء ؟ فإنها محطمة . أو على الجمال ؟ فإنه ذابل . أو على القوانين ؟ فإنها زائلة . أو على الفقر ؟ فإنه محتقر أو على البنين؟ فإنهم يموتون . أو على الأصدقاء؟ فإنهم كاذبون؟ أو على الشرف؟

فإن الضغينة تسبقه . ومن هنا فليفرح بملكه رجل كدارا ، وبثرائه رجل كبلوقراطس وبشجاعته رجل كأخيل، وبامرأته رجل كأجاممنون ، أو بنسله رجل مثل كبريانوس أو بمهارته رجل كأرشميدس ، أو بحكمته رجل مثل سقراط ، أو بعلمه رجل كفيثاغورس ، أو بذكائه رجل كبولوميدس ؛ لحياة الناس يابنى زائلة عن العالم ، أما مجدهم وفضائلهم فباقية إلى الأبد .

أما أنت أيها الإبن الصغير فاختر لك شيئا لا يبلى ، فإن الذين يتخلقون بتلك الصفات متواضعون ومحبوبون ، هم جديرون بلقب « الطيب » . وإن لقيك شر فلا تلم الناس ، ولا تغضب على الله . ولا تأسف على زمانك . فإنك إن أقمت على هذا التعقل فلن يكون جزاؤك الذى تلقاه من الله قليلا . ذلك الجزاء الذى لا يعتمد على ثروة ولا هو قريب من الفقر . فدبر حياتك بغير خوف لكى تفرح حينما تريد ، فإن الخوف والاعتذار الطبيعى ليس من شيمة الحكماء ، وإنما هما شأن الذين يسيرون بغير قانون . فإن الإنسان لا يجرد من حكمته أبداً كما يجرد من أملاكه ، لجد وراء المعرفة أكثر من سعيك إلى الثراء . فكلما ازدادت الثروة كذلك تكثر الرذيلة ، فلقد رأيت أنه أينما تكثر الحسنات ، كذلك تقابلها السيئات ، وحيث تتزاحم المسرات فثم أيضا تتجمع المساءات ؛ وحيث تكثر الثروة فهناك أيضا مرارة السنوات الكثيرة . فإذا فهمت ذلك ووعيته بدقة ما تخلى الله عن عونك ، ولا أنفك الناس عن محبتك . يكفيك ما استطعت اقتناءه ، فإن أمكنك أن تعمل بغير مقتنيات فإنك حينئذ تلقب « بالطيب » ، لأن أحداً لن يحقد عليك . وتذكر أيضا : أنه لن ينغص حياتك شيء إلا ما تقتنيه ، فلن يسمى أحد بعد موته « رب أملاك » ، وان القوم الضعفاء يذلون من أجل الشغف بهذه الأملاك ، وهم لا يعلمون أن الإنســـان إنما يقيم فى أملاكه كعابر سبيل وهم — خوفاً من عدم بقاء هذه الأملاك — يتركون ما لهم ويطلبون ما ليس لهم .

وأى شيء آخر يجب أن تقول عندما يساق الحكماء بالقوة على أيدى الظالمين، وتحبس حكمتهم بتهمة باطلة ، ويظلم ذكاؤهم بغير دفاع . فماذا جنى الأثينيون من قتل سقراط ؟ لقد أصابهم الموت والوباء عقابا لهم . أو ماذا جنى أهل ساموس من إحراق فيثاغورس ؟ لقد غطت الرمال ديارهم كلها فى ساعة واحدة . أو ماذا جنى اليهود من قتل ملكهم الحكيم ؟ لقد ضاع ملكهم منذ ذلك الزمن نفسه . لقد عوض الله حكمة هؤلاء الثلاثة : فإن الأثينيون ماتوا حينما جاعوا ، وغطى البحر أهل ساموس فلم يستطيعوا له دفعاً ، وحل الخراب باليهود وطردوا من مملكتهم ، وتشتتوا فى كل مكان . لم يمت سقراط ، بل بقى فى شخص أفلاطون ، ولم يمت فيثاغورس أيضاً من أجل تمثال هارا . وكذلك لم يمت الملك الحكيم، من أجل الشرائع الجديدة التى وضعها .

أما أنا يا بنى فقد جربت على أى بؤس فظيع يقوم الناس ، وتعجبت من أن الشرور التى تحيط بهم لم تتغلب عليهم ، بل ولم تكفهم الحروب ولا الأمراض ، ولا الموت ، ولا الفقر ؛ ولكنهم كالحيوانات الشرسة يفتك بعضهم ببعض فى عداوة ، ويتسابق كل منهم فى إلحاق أكبر قسط من الشر بصاحبه ، لقد جاوزوا حدود الحق ، وتخطوا جميع النواميس الجميلة لأنهم يتعلقون بشهوة أنفسهم . طالما كان الإنسان راغبا فيما يروقه ، فكيف يستطيع أن يفعل بحق ما يجب عليه ؟ والناس لا يعرفون الاعتدال ، وقلما يمدون أيديهم إلى الحق والفضيلة ، ولكنهم يعيشون عيشة الصم العمى . أما الحمقى فيفرحون ، وأما الصالحون فيجزعون . والذى عنده منكر والذى ليس له يبذل ، جهده ليملك ، فالمساكين يسألون ، والأغنياء يخفون ؛ وكل واحد يضحك من صاحبه . فالمخمورون مخبولون ، والذين أفاقوا نادمون . فمنهم من يبكى ، ومنهم من يغنى ، وآخرون يضحكون ، وغير هؤلاء قد اضطربت عقولهم يفرحون بالسيئات ، ويهجرون الرجل الذى

يقول الحق ، إن الإنسان ليتعجب من ذلك ، فحينما يتحطم العالم باحتقار لايكون للناس وسيلة واحدة للحياة ، ومع ذلك فإنهم بهذا يعتنون . يتطلع المرء منهم متى سيتلق تهنئة النصر فى المعركة ، ولا ينظر الشجعان من أجل كم من الرغبات الحقيرة يذل المرء فى هذا العالم . ولكنى أرجو أن يصيب الندم قليلا هؤلاء الذين ينتصرون بقوتهم ، ويخورون أمام شرههم . لقد جربت الناس ، وهكذا جربتهم ! انهم يتطلعون إلى شىء واحد هو كثرة الثراء ، ومن أجل هذا لا يستقر لهم رأى ، ولكنه يختلف باختلاف عقولهم . فإن الناس يتحطمون بسرعة عندما يلتهمهم الألم ولا يتطلعون إلى ما فى العالم من ثراء واسع ، فإن اختلاف الرأى ينتهى بنا جميعاً — على السواء — إلى كل تعب ، لأن هم الناس تكبير بطونهم ، وهى الرذيلة التى بها يتم الفساد .

ولقد كتبت لك هذا الذى جال بخاطرى ، ولا يكفى أن تقرأه ، ولكن يجب أن يتقدم العمل عليه . وإنى أعلم أيضا أنك عندما تتعود طريقة الحياة هذه فإنها ستسرك كثيراً ، وتكون منزهاً عن الاحتقار الدنىء ؛ فإننا من أجل الأبناء نتحمل الغنى . فتخلص إذاً من الحزن الذى يحبه الناس فإنه أمر لا يفيد شيئاً ، وادفع عنك الخبل الذى ينتج فائدة ، لأنه لا حيلة لنا ولاسبيل إلى تلافى السيئات وتحمل الأحزان التى يلقانا بها الزمن دائما بيديه . والأفضل أن تنظر إلى هذه الأشياء ، وليس إلى تلك المليئة بالفرح وحسن الأحدوثة . فادفع نفسك إلى الحكمة معين كل الخيرات ، والكنز الذى لاينفد ، وعندها فاسند رأسك واسترح ، لأنها ستكون لك حقا ، الأب ، والأم ، والرفيق الطيب فى حياتك . ولتألف المثابرة والصبر ، فإنها هى التى تستطيع أن تواجه يأس الضعفاء من الناس ، فتشد من أزرهم لكى يتحملوا الجوع ، ويصبروا على العطش ويرفهوا كل حزن ، ويتحدثوا عن التعب والموت . فتدبر ذلك كله لتقضى حياة هادئة ، وتكون قرة عين لى ، وتدعى زينة والديه فإنه فى الزمان الأول ، حينما كانت مدينتنا فى أوج

عظمتها تستطيع أن تعلم أن قوماً كثيرين قد وصموا بألفاظ جارحة . أما نحن فقد جعلنا الزمن نعتقد أننا قد تقبلنا من عظمته على التساوى حبا مناسبا وجمالا ، ولكن الزمن قد رفض أن يتم هذه الأشياء المنقوشة فى عقولنا .

ونحن هنا أيضا فى الأسر نحمد الله أننا تقبلنا حب الكثيرين فقد روضنا أنفسنا على أن تقوم على الحكمة والسرور . فإذا ساقنا أحد بالقوة فهو إنما يقدم الشهادة على نفسه أنه بعيد عن كل الطيبات ، وليتقبل الخزى والعار من هدف تجس للعار . أما نحن فقد أظهرنا صدقنا أننا لا نقصد شراً بمملكة . فإذا سمح الروم لنا بالعودة إلى ديارنا بالعدل والصدق فليفعلوا ذلك كقوم رحماء ، وستنعتهم بالطيبين الصالحين ، وسيكون الإقليم الذى يقيمون فيه فى أمن : فليظهروا عظمتهم بتركنا أحراراً . فلتطع المملكة التى منحنا الزمن إياها على أن لا نساق كما يسوق الظالمون العبيد ، فإن قدر أن يقع شىء ، فلن يصيبنا ما هو أكثر من الموت الهادىء المقدر لنا .

أما أنت يا بنى ، فإن أردت أن تعلم هذه الأشياء بعناية فاحكم الشهوة أولا ، وقدر جرم ما أنت قائم به ، واحذر أن تغضب ، واستمع للنهى بدلا من الغضب . فإنى الآن أفكر فى ذلك ، لعلى حينما أعود إلى نفسى أن أترك لها كتابا ، وأنجز بعقل حكيم ذلك الطريق الذى أساق إليه ، فأنجو بغير حزن من خراب الدنيا الفظيع ، فإنى أصل لكى أفنى ، ولا يهمنى أى موت . فإذا حزن أحد على ، أو حل نفسه أية مشقة ، فإنى أنصح له ألا يفعل ، فإنه سيجدنا أمامه هناك فى طريق العالم » .

وقد اشتمل المخطوط على عبارة أثرت عن مارا يظهر أن أحد نساخ هذه الرسالة قد أعجب بها فدونها فى نهاية الرسالة وهى :

« وقد سأله أحد أصدقائه حينما كان أسيراً معه : بحياتك ألا قلت لى .

ما الذى يضحككك ؟ فقال له مارا : إنى أضحك على الزمن الذى يرد إلى سوءا يستعره منى من قبل » .

وأسلوب هذه الرسالة متين وعباراتها مقتضبة بحيث يحمل اللفظ القليل المعنى الكثير ، ويظهر منها أن مارا كان من مدينة سميصات ، وأنه كان وثنياً من أصحاب الفلسفة الرواقية ومن أتباع زينون ، ويبدو أن الرومان قد اتهموه بالاشتراك فى حركة سياسية لا نعلم من أمرها إلا أن الروم قد أخمدوها ، ونفوا عدداً من زعماء القائمين بها إلى سلوقيا . ويشير المؤلف فيها إلى مالقيته سميصات من تخريب ، وإلى أنه هو نفسه قد زج به فى السجن مع غيره مكبلا بالأغلال . وأن الفاتحين عاملوهم معاملة جائرة لعدم وفائهم للحكومة الرومانية ، ثم يصف بؤس أصدقائه ورفقائه من أبناء مدينته ، وما شعروا به من يأس عندما التقوا معاً فى الطريق إلى سلوقيا ، ثم يشير إلى تخريب بيت المقدس .

وإلى جانب ذكر سقراط ، وإحراق فيثاغورس ، يذكر المؤلف تشتت اليهود نتيجة لانتقام إلهى منهم لأنهم قتلوا « الملك الحكيم » على حد تعبيره ، وقد أضفت هذه الفقرة على الرسالة مسحة مسيحية ، وأكسبتها أهمية خاصة ، إذ يظهر أنه خيل للأجيال المسيحية الأولى من جراء ذكر اسم « الملك الحكيم » (أى المسيح) ، ومن تمشى روح الرسالة مع الروح المسيحية أن المؤلف مسيحى ومن أجل هذا قدر للرسالة البقاء .

وقد وجه مارا من سجنه هذا الخطاب الجميل إلى ابنه الذى كان يدرس بعيداً عنه فى بلد آخر رداً على خطاب تلقاه من أستاذه يذكر له فيه أن ابنه [illegible] على الدرس . وقد نصح الأب ابنه أن يضبط عواطفه ، وحبب إليه البحث عن الحكمة وزرعها ، وقد نظر المؤلف إلى العالم فى هذا الخطاب نظرة أصحاب الفلسفة الرواقية من أتباع زينون (٢٩٢ — ٢٦٠ ق . م) .

قصة أحيقار : هى قطعة من التراث الأدبى للأجيال الغابرة ، لقيت رواجاً قلما ظفرت به قصة أخرى ، فقد عرفت فى كثير من الآداب القديمة ، كما ترجمت إلى عدد كبير من اللغات القديمة والحديثة ، وهى إحدى القصص التى كانت شهرزاد ترويها للملك شهريار والتى عرفناها فى كتاب « الف ليلة وليلة » .

وأقدم ما عثر عليه من نصوص هذه القصة ترجمة آرامية قديمة ، كتبت على إحدى عشرة ورقة من أوراق البردى كشف عنها فى جزيرة الفنتين بالقرب من أسوان ، مع غيرها من الوثائق التى خلفتها جالية يهودية كانت تسكن هذه الجزيرة ، وترجع إلى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد . أما تاريخ تأليفها فلا يزال موضع بحث ، وكل ما نستطيع أن نقوله إنها ألفت قبل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد .

ويقال إنها عرفت عند اليونان بعد ذلك بقليل فيروى أكليمنص الاسكندرى وهو من كتاب القرن الثانى بعد الميلاد أن ديمقريطس (فى القرن الخامس قبل الميلاد) قد ألف كتاباً فى المواعظ الأخلاقية البابلية تناول فيه ما فى قصة أحيقار من حكمة ، وكذلك أشار إليها سترابون (فصل ١٦) وتيوفراستوس (فيما بين سنتى ٣٧٤ ، ٢٨١ ق . م .) .

والذى يبدو محققاً أن هناك تداخلا بين قصة أحيقار وبين بعض أسفار العهد القديم ، وهى كتب الحكمة بوجه عام ، فقد لاحظ الباحثون المتقدمون الشبه العام بين أخلاقيات أحيقار وبين أسفار الأمثال والجامعة وابن سيراخ ، فليس من شك أن هناك مادة مشتركة بين ابن سيراخ وأحيقار ، نضرب لذلك مثلا التشبيهات الخاصة بثقل الأحمق عن الرصاص ، وثقل الغضب عن الحجر والرمل ، وثقل الدين عن الرمل والملح ، ومرارة الفقر عن العلقم ، يرجح الباحثون أن قصة أحيقار هى الأصل وأنها أقدم من سفر ابن سيراخ .

وهناك تداخل مشابه فى التفكير والتعبير بين أحيقار وبين سفر الأمثال وذلك فى أمثال أحيقار الأخلاقية، وهذا التشابه واضح جدا فى الكلمات الختامية لتعاليم أحيقار حيث يشتمل النص على جمل على شكل نبوءة أجور فى الاصحاح الثلاثين من سفر الأمثال، حيث رتبت الحوادث والأشخاص والأشياء فى مجموعات عددية. والملاحظ فى هذه المجموعات أنها فى الصورة الأرمينية لقصة أحيقار مأخوذة — فيما يقال — من مجموعة مستقلة عنوانها «أسئلة أبناء الملك وإجابات أحيقار»، وفيها يذكر اسما ابنى الملك وهما هودَىْ وَبلْيَـان، ومن هنا نستطيع أن نفهم اسمى ايثيئيل وأكال الغامضين فى هذا الإصحاح واللذين يوجه إليهما أجور وحيه. وليس أجور نفسه إلا صورة مزدوجة من أحيقار.

ونستطيع أن نقول إن عدداً من المزامير ذات صيغة خاصة تتناسب مع حالة أحيقار فى محنته، وهناك مزمور أو اثنان متداخلان فى اللغة التى كتبت بها القصة التى وصلت إلينا بشكل عجيب، وهو المزمور الحادى والأربعين بعد المائة. وهناك كذلك تعابير كثيرة متشابهة تصف الحيلة الأشورية فى كل من أحيقار وسفر دانيال، وفيها كذلك تشابه لغوى.

وكذلك أشار إلى القسم الأول من هذه القصة مؤلف سفر طوبيا، وهو من الأسفار المحذوفة، ألف حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد والاسفار المحذوفة هى التى تعتبرها الكنائس التقليدية الأسفار القانونية الثانوية، وأما البروتستانت فيلقبونها بالاتوكريفا ومن المؤكد أيضا أنها كانت شائعه فى الشرق فى فجر المسيحية، فقد أشار إليها إكليمنص الاسكندرى أو المصدر الذى أخذ عنه — كما ذكرنا — وكذلك كشف فى مدينة ترير Trier الواقعة على الرين عن قطعة من الفسيفساء عليها صورة أحيقار واسمه، صنعت بناء على طلب تاجر سورى اسمه Monnus (أى معن):

وهنالك أيضا تشابه كبير بين قصة أحيقار وبين بعض أجزاء العهد الجديد ، وأول ما لوحظ منها المثل الذى ضربه المسيح عن العبد الشرير الذى أخذ يأكل ويشرب مع السكارى ، ويضرب الجوارى والغلمان ، فإذا عاد سيده فجأة ، قطعه وجعل نصيبه مع المرائين » (متى ص ٢٤ : ٤٩ — ٥١) يقابله شخصية نادان تماماً فى قصة أحيقار وكذلك قصة نهاية يهوذا الأسخريوطى : أنه خنق نفسه كما فى انجيل متى أو أنه سقط على وجهه وانشق من الوسط وانسكبت أحشاؤه كلها . فإن خلف يهوذا يظهر شبح نادان الشرير الذى كانت نهايته أنه انتفخ حتى انفجر ، كما فى أعمال الرسل ص ١ : ١٨ وكذلك مثل الشجرة غير المثمرة المغروسة على الماء تقابل المثل الذى قاله المسيح عن شجرة التين غير المثمرة التى كان سيدها مصرا على قطعها (لوقا : ١٣ ، ٦ — ٩) ، وهناك أيضا مثل من أمثال أحيقار منقول فى رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢) ، وهو مثل أحيقار فى توبيخ نادان : « يابنى ، لقد فعلت كالخنزير الذى دخل الحمام مع الأكابر ، فلما خرج من الحمام نظر جورة حمأ فنزل تمرغ فيها ، فإننا نجد تفسيره فى مثل بطرس « قد أصابهم ما فى المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه ، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأ » ، وربما كانت هنالك نظائر أخرى لقصه أحيقار فى كتاب العهد الجديد ، ولكنا نكتفى بهذا القدر من الأمثلة .

وقد عرف السريان هذه القصه وترجموها إلى لغتهم فى عصر متقدم ، يدل على قدمها تلك المسحه الوثنيه الظاهرة فيها ، والتى لا أثر لها فى النص الآرامى . وهذا النص السريانى هو أصل جميع التراجم التى ظهرت للقصه بعد ذلك .

وقد عرفها العرب كذلك قبل الإسلام وبعده ، أشار إليها الشاعر المسيحى الجاهلى عدى بن زيد فى قصيدة له ذكرها البحترى فى حماسته فى الباب التاسع والأربعين فيما قيل فى غلبه الزمان وإفنائه الأمم :

فبت أعدى كم أسافت وغيرت   وقوع المنون من مسود وسائد
صرعن قباذا رب فارس كلها   وحشت بأيديها بوارق آمد
عصفن على الحيقار وسطجنودة   وبيتن فى لذاته رب مارد

وقد ذكر الجواليقى نفس البيت مع شيء من التحريف فى كتابه المعرب (طبعة ليبزج سنة ١٨٦٧ ص ٥٤) فقال . والحيقار ملك من ملوك فارس ، قال عدى بن زيد يذكر من باد .

وغصن على الحيقار وسطجنوده   وبيتن فى خاداشه رب مارد

كما أورده صاحب لسان العرب (ج ٥ ص ٣٢٥).

ويذهب المستشرق الانجليزى رندل هريس فى كتابه قصة أحيقار (طبع لندن سنة ١٨٩٨ ص ٧٥ من المقدمة) إلى أن القرآن قد أشار إلى أحيقار فى سورة لقمان ، ويرى أن لقمان هو نفس أحيقار ، وحجته على ذلك إن القرآن يتحدث عن كثير من القصص اليهودية والمسيحية ، فليس من المستغرب أن يشير إلى قصة أحيقار ، وإن كلا من أحيقار ولقمان يوصف بالحكمة ، وأن كلا منهما كان يلقن إبنه حكماً يبدؤها بقوله « يا بنى » ، وأن بعض حكم أحيقار تشبه بعض الحكم التى جاءت فى القرآن على لسان لقمان ، فنجد فى القرآن مثلا قوله تعالى : « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » : (سورة لقمان آية ١٩) بينما نجد فى قصة أحيقار « يا بنى احن رأسك ورقق من صوتك وكن بشوشاً ، وامش فى الطريق المستقيم ولا تك أحمق ، ولا ترفع صوتك بالضحك ، فإنه لو كان البيت يبنى بالصوت المرتفع لبنى الحمار بيتين فى يوم واحد » ثم يقول : وقد بحث المفسرون والنقاد عن شخصية لقمان ، أهو نبى قد هبط عليه الوحى أم هو مجرد حكيم ؟ وانتهى المسعودى وغيره من علماء المسلمين إلى أنه لم يهبط عليه الوحى ، وإنما بلغ من الحكمة والبلاغة مبلغاً عظيماً.

وقد عرف العرب قصة أحيقار بعد الإسلام فى مجموعة قصص « الف ليلة وليلة » كما أسلفنا .

والقصة كما وصلت إلينا عن السريانية تنقسم إلى قسمين أساسيين : فيقص المؤلف علينا فى القسم الأول أن أحيقار كان وزيراً حكيماً للملك أشور ونينوى سنحاريب بن سرحدون ، وكان ذا مال كثير ومعرفة ورأى وتدبير ، وإنه كان وثنيا يعتقد بتعدد الآلهة ، وكان همه الأكبر وشغله الشاغل أن يرزق بغلام يخلفه من بعده فيرث ثروته وحكمته فتزوج ستين إمرأة ، ولكنه لم ينجب ، ولهذا كان كثير الحزن والهم ، فاستشار السحرة والمنجمين ، فأشاروا عليه بأن يذبح للآلهة حتى يرزقوه ولداً ، ولكن ذلك لم يفده شيئاً ، فهجر الوثنية إلى عبادة إله واحد ، ولكن إيمانه الجديد لم يساعده على تحقيق أمنيته ، فلم يرزق وريثاً يخلفه ، ويلقنه درر الحكمة عقاباً له على عقيدته الأولى . ثم إنه تضرع إلى الله تائباً ، فسمع صوتاً يقول له : خذ نادان ابن أختك واجعله لك ولداً ، وعلمه علمك وأدبك . عند ذلك أخذ نادان وكان بعد رضيعاً ، فاعتنى به وسلمه إلى ثمانى مرضعات ، فلما كبر وشب كالأرز العالى علمه الأدب والكتابة والعلم والفلسفة . ويمر الزمن ويرى سنحاريب الملك أن أحيقار قد كبر فيطلب إليه أن يعين من يخلفه من بعده ، فيجيبه بأنه قد اتخذ من ابن اخته نادان ولداً ، فيأمره الملك باحضاره ، فاذا حضر أعجب به وسر منه ووافق على أن يجعل منه خلفاً لأحيقار . وعند ذلك يأخذ أحيقار فى بذل النصح لنادان وإطلاعه على نتيجة التجارب التى اكتسبها من الحياة ، وكان مما قاله له :

يابنى : إذا سمعت كلمة فدعها تمت فى قلبك ، ولا تكشفها لغيرك لئلا تصبح جمرة تحرق لسانك ، وتترك الألم فى جسدك ، وتكسبك الخزى والعار عند الله والناس .

يابنى : لا ترفع عينيك إلى امرأة متبرجة ولا تشتهيها بقلبك ، فإنك إن أعطيتها كل ما فى يديك ، فلن تجد عندها ما يفيد ، وتأثم بالخطيئة .

يابنى : نقل الحجارة مع رجل حكيم خير من شرب الخمر مع رجل لئيم .

يابنى : إذا أكل الغنى الحية ، قالوا أكلها تطبباً ، وإذا أكلها الفقير قالوا أكلها جوعاً .

يابنى : لا تحل بين ابنك وضرب السياط ، لأن الضرب للصبى كالزبل للبستان .

يابنى : إذا أرسلت الحكيم فى حاجة فلا توصه كثيراً ، لأنه يقضى حاجتك كما تريد ولا ترسل الأحمق بل امض أنت واقض حاجتك .

يا بنى : كرعة فى يدك خير من وزة فى قدر غيرك ، ونعجة قريبك خير من ثور بعيد وعصفور حقير فى يدك خير من ألف فى الهواء .

ثم إن أحيقار تنازل لابن أخته عن وظيفته وثروته وكل ماله من العبيد والجوارى ولم يحتفظ لنفسه إلا بجزء صغير منها . ولكن نادان خيب آمال مربيه ، فأضاع الثروة وجعل عرضه هدفاً للأقاويل السيئة ، فعاقبه أحيقار على ذلك بأن استرد الميراث منه ومنحه إلى أخيه الأصغر « نبوزار ادان » . فحقد نادان على خاله ، وأخذ يفكر فى الإيقاع به .

ويختتم القسم الأول بمحاولة نادان الانتقام من أحيقار ، فيسلك إلى ذلك طريقاً دنيئاً : فيدس على خاله خطابين ، وجه أحدهما إلى ملك الفرس ، ووجه الثانى إلى فرعون مصر ، وصور أحيقار فى كليهما بصورة الخائن لوطنه وملكه ، فقد طلب إلى الملكين الحضور لكى يسلم إليهما المملكة بغير حرب . ويقع الخطابان فى يد الملك وفق الخطة المرسومة . ثم زوّر فى نفس الوقت خطاباً ثالثاً موجها إلى أحيقار على لسان الملك ، يطلب إليه فيه أن يجمع كل العسكر

الذى عنده ويحضر معهم يوم الخميس فى بقعة نسرين ، وأن يجعل الجند تظهر مهاجمته أمام رسل فرعون مصر لكى يعلموا مبلغ قوته . وهنا يقع الحكيم فى الحبائل التى نصبت له ، فيطيع ما توهم أنه أمر الملك . وتقوى الريبة فى نفس الملك ، فإذا هو يلمس خيانة أحيقار فيصدر أمره بالقبض عليه وقطع رأسه .

ويشاء القدر أن يكون أحيقار — فى مناسبة سابقة — قد أنقذ الرجل نفسه الذى وكل إليه أن يقطع رأس أحيقار ويقذف بها مائة ذراع بعيداً عن جسده ، فيدبر هو وامرأة أحيقار أمر خلاصه ، ويقتل مكانه أحد المحكوم عليهم بالاعدام ، ويختبىء أحيقار فى سرداب فى حديقة بيته لا يعلم به أحد .

فإذا كان القسم الثانى تغير اتجاه القصة ، وظهر فيها طابع القصص الهندى حيث توصف شخصيات الوزراء بالحكمة وسرعة الخاطر والقدرة على حل العقد والألغاز . فنحن نرى نادان يخلف أحيقار ، ولكنه ضعيف بادى الضعف ، فينتهز فرعون مصر فرصة ضعفه لإحراج ملك أشور فيبعث إليه يخيره بين اثنتين : أن يرسل من يبنى له قصراً فى الهواء ويرد على أسئلته ، فتدفع مصر له الجزية ثلاث سنوات ، أو أن يعجز عن ذلك فيدفع الجزية لمصر . ويجمع ملوك أشور العلماء والحكماء والفلاسفة والعرافين والمنجمين فيعرض عليهم الأمر فيقرون بعجزهم ، ثم يعرضه على نادان فإذا هو أشد منهم عجزاً . وعندئذ يحزن الملك على أحيقار ، ويأسف على قتله إياه ، ويطول حزنه عليه ، فإذا رأى السياف ذلك تقدم بين يدى الملك وأخبره أن أحيقار على قيد الحياة ، فيسر الملك لذلك أيما سرور ، ويخرج أحيقار من مخبئه فيمثل بين يدى الملك ، فيعرض عليه الملك رسالة ملك مصر ، وكان المتوقع هنا أن تتقدم العدالة لكى تنتقم من نادان على مؤامرته ، ولكن الحلم والقيام بالواجب يؤخرانها حينا حتى يذهب أحيقار إلى مصر ليجيب على أسئلة فرعون . فيعد أحيقار نسرين وغلامين وشريطين طويلين من القطن طول كل منهما ألفا ذراع ، ويربط النسرين بالشريطين .

ويدرب الغلامين على الركوب على ظهر النسرين ثم يطلقهما فيطيران فى الجو على طول الشريط فإذا وصلا إلى الجو صاح الغلامان قدموا لنا الحجر والملاط . ويلتقى أحيقار ملك مصر فيسأله الملك أن يشبهه هو وأكابر مملكته ، ويدوم الحال على ذلك أياما ، حتى إذا كان ذات يوم طلب إليه الملك أن يبنى له بيتا بين السماء والأرض فيطلب إليه أحيقار أن يعد الحجر والملاط ، ثم يطلق أحيقار النسرين وعليهما الغلامان ، فإذا استقرا بين السماء والأرض صرخ الغلامان : أرسلوا الحجارة أرسلوا الملاط فنحن على استعداد للعمل ، وأخذ أحيقـــار وأتباعه يصرخون فى الفعلة وجند الملك لكى يقدموا للبنائين ما يريدان ، ويرى الملك استحالة نقل شىء إليهما ويعترف لأحيقار بالنصر .

وفى اليوم التالى يقول فرعون لأحيقار إن حصان سيدك إذا صهل فى نينوى سمعته خيلنا هنا فطرحت . فلما سمع أحيقار ذلك أحضر سنوراً وأخذ يجلده جلدا شديدا ، فأخبر الناس الملك . فأحضره وقال له لم تضرب هذا الحيوان الأخرس ؟ فقال له إن سيدى الملك كان قد أهدانى ديكا يعرف ساعات النهار والليل وقد تركته فى نينوى فقام عليه هذا السنور فى هذه الليلة فقطع رأسه ، ولذلك فانى أجلده . فقال له فرعون إن بين مصر ونينوى ثمانية وستين فرسخا فكيف يستطيع السنور الذهاب إلى نينوى والعودة منها ، فقال له أحيقار إذا كان بين مصر ونينوى هذا المقدار فكيف تسمع خيلك صوت حصان سيدى ؟!

وتستمر هذه الألغاز فيطلب منه أن يفتل له حبلا من رمل البحر ، وأن يخيط له حجر رحى قد انكسرت ، ويجيب أحيقار على أسئلته جوابا مقنعا ، فيعجب به فرعون ويكافئه . فإذا عاد أحيقار إلى وطنه غنيا بالهدايا بعد أن طبقت شهرته الآفاق ، ومثل بين يدى سنحريب على أنه منقذ بلاده . عندئذ يجىء دور الانتقام فيلتمس أحيقار من الملك أن يسلم إليه نادان فاذا دفع إليه ربط يديه

فى سلسلة من حديد وألقاه فى مكان مظلم فى بيته وجعل غذاءه الخبز والماء ، وأخذ يؤنبه بحكمه ، وكان مما قاله له :

يابنى : قيل بالأمثال من لا يسمع من أذنيه أسمعوه من قفاه .

يابنى : اعلم أنه لو طال ذنب الكلب والخنزير عشرة أذرع لم يقم مقام الفرس ولو كان مثل الحرير .

يابنى : أنت صرت لى مثل قملة الحنطة ، لا تصلح لشىء ، وإنما تفسد الحنطة وتنخرها .

يابنى : قد ثبت قولهم ، إذا ولدت ولدا فادعه ابنك ، وإذا ربيت ولدا فادعه عبدك . فلما سمع نادان هذا الكلام من خاله وكان يشعر أنه سيعاقبه بأقسى أنواع العقاب ، أراد أن يريح نفسه ويريح خاله ، فيعمل على تبسيط الحوادث فاذا هو ينتفخ ثم ينفجر ميتا . وبذلك تنتهى القصة .

بابا الحرانى : ليس لدينا شىء موثوق به عن بابا هذا ، وكل ما نعرفه عنه مستمد مما ذكره مؤلفو كتب الجدل من المسيحيين ، وكان أكثرهم يطلق عليه اسم نبى حران وصاحب كتابات فى عصر ما قبل المسيحية ، وسماه ابن الصليبى فى كتابه فى الرد على العرب « الفيلسوف الحرانى » ، وكل ما نقل عنه مستمد من كتابين منسوبين إليه يشتملان على وحى وتنبؤات تحت عنوان «الكتاب الأول» و « الكتاب الثانى » وقد نشر اغناطيوس افرايم الرحمانى سنة ١٩٠٤ مقتطفات منهما فى كتابه « دراسات سريانية » Studia Syriaca نقلا عن مخطوطة فى دير الشرفة ننشر هنا ترجمتها العربية :

« لم أكن أحب أن أقول هذه الأشياء . ولكنى مضطر — رغم أننى — إلى كتابة ما سوف يقع ، وإنى لحزين وباك لوقوعه : تجىء النار — التى هى

أقدم من العالم — إلى هذه الأرض ، وترى فى جسم الأرض والناس وهم لا يشعرون ، ثم تعود فتصعد إلى مكانها المرتفع عند ذلك المجد المختفى عن الجميع . وعندما تكون هناك فى مكانها يجىء مضيوها من أبناء حران ، فيقول أبناء مدينة سين (أى القمر) تبا لبابا تلك هى الحكمة من أبناء السماء ، فلما انتثر عزيز الكل تطيروا به وخرج منها سكانها » .

ومن نفس الكتاب : « يرى على الأرض إدراك النار الذى لا يموت ، والقرابين الأبدية والنور الذى لا ينطفىء ، وهو ساكن بالسماء ، ويحكم بالسماء وبالأرض وهى به حية ، والكل به مستعين . وكان أبناء حران مخادعين . كل ما كان ، فهو كائن . وهو أقدم الكل وبه حلت الحكمة وفيه أقامت . وخارج النور لا يقوم شىء . أيتها الأرض لا تغمسى فى الخطيئة . ولكن اعلمى أن النار التى رأيت قائمة إلى الأبد عندما تطلب القمة ، وتفعل السنون بالأرض فى وقت قليل وتافه . تجىء السيئة على ظلمهم ، ولا تقوم رجلهم حتى يرون النار التى رأيت ويسجدون لها بحق » .

ومن نفس الكتاب أيضا : « يقولون كلمة بكنز . تعالوا نقع على الأرض ، ونسجد لله خالقها ، ويكون بالأرض معبد كبير وقدس ، ويقرب كل الشعب قربانا لله بمحبة خالصة » .

ومن الكتاب الثانى : « ينظرون إلى الشعاع الذى ظهر من حيث لا يظنون ، ويظهر فى مكانهم ، ويظهر مع كل معادل له بنور عظيم لا يدرك . ويشعر كل سكان المعمورة بجلال الشعاع الذى اختفى وظهر . ورأيت كأن الروح تخاطبنى أن ولداً من نور ونار ولد من الأرض للفائدة والضرر ، وللقيام والسقوط . واحسرتاه ! بعد زمن سيتصدع بيت الآلهة الذى كان مجدا وعاليا كما كان « كابيتول » روما ، ولن يتركوا به حجرا على حجر لاترتعدى إن علمت أن نور

الشماع مبطل أشياء كثيرة . ينزل شعاع الرب واضحا على الأرض . ويبقون بغير آيات حتى يظهر الضياء ، ويأتى أبناء فارس يقدمون الهدايا للشماع : ما أقدس تدبير الألوهية ، وما أعجب المعجزة التى تظهر بالأرض ، إنها أعلى من الكلمة ، وهى فوق إدراك العقل ، ولا تدرك ولا تحصى أبدا . ثم تقيم الأرض فى السلام قليلا ، وينهض ملكوت الشرق ، وتزول وتخرب مدينة اليهود . ويقع عابور (أى العبريون) فى السبى وتخدم بابل من أجل ولد المعجزة الذى ذكرت قصته . ثم ينهض ملوك الغرب ويأتون حتى إقليمنا ، ويذبحون داخل عزوز ، ويقربون القرابين فى داخله . ويريدون إبطال الدين ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا هكذا لأن الآخرين الذين بعدهم يملكون وهم يشرفون » .

ثم قال : « بعد زمن طويل سيجىء اسم كبير من الشمال ويقيم داخل عزوز ويبجل زملاءه ، وكل من لا يتبع كلامه يتحكم فيه الخراب » .

ثم قال : « محتقر رسله أعنى جماعته » وقال : « من الكل وحل بالكل تلك هى المعجزة التى حدثت » .

وقد نقل ابن الصليبى بعض فقرات من الكتاب الثانى فى الفصل التاسع عشر من كتابه فى الرد على العرب (وتقع فى نهاية العمود الثانى من صفحة ٥٤ من مخطوط المتحف السامى بجامعة هارفارد رقم ٤٠١٩ وفى الجزء الأخير من صفحة ١٧٣ من مخطوط الفاتيكان رقم ٩٦) وقد وردت هذه الفقرات ضمن القسم الذى أوردناه .

ويلاحظ أنه ينحو فى كتابته نحو أسلوب وحى الكهان بجمله القصيرة التى يشير كل منها إلى معنى مستقل ، وألفاظه تحمل بين ثناياها أكثر من تأويل واحد . ومما يسترعى النظر أن المسيحية قد أبقت على هذا الكتاب ، ولعل الذى دفعها إلا الإبقاء عليه اشتماله على تنبؤات عن المسيح لكى تقنع به وثنى حران

بالدخول فى المسيحية ، على اعتباره كلام نبى لهم . إلا أن أسلوب هذين الكتابين وما اشتملا عليه من عبارات ومعانى مسيحية يدفعنا إلى الشك فى صحة نسبة هذا الكتاب ، ويجعلنا نرجح أن المسيحية قد دستهما على المؤلف وعلى العصر الذى وضعا فيه . ومع أن النشاط الأدبى لأصحاب وثنية حران المعروفين بالصابئة كان عظيما وظل مستمرا حتى أواخر القرن العاشر الميلادى وبخاصة فى النزاع الذى كان قائما بينهم وبين السريان المسيحيين فى التوسط بين الحضارة القديمة والحضارة الإسلامية ، فإن المسيحية قد جنت على هذا التراث الأدبى فحرمت العالم منه . ولو أنه وصل إلينا لاستطعنا أن نوازن بينه وبين الكتاب المنسوب إلى بابا لنتبين مقدار صحته .

الباب الثانى

الأدب السريانى المسيحى

قبل الاسلام

انتشار المسيحية : تؤكد جميع المصادر التى بين أيدينا أن الأدب المسيحى السريانى قام على ضفتى الدجلة فى منطقة حذيب (Adiabone) الواقعة بين نهرى الزاب الكبير والصغير شرقى الدجلة، وفى منطقة الرها الواقعة فى الشمال الغربى لإقليم ما بين النهرين ، وهو الإقليم الذى يحيط بنهير ديصان أحد فروع نهر البلخ . وهما المنطقتان اللتان كانت تسيطر عليهما الدولة الرومانية ، وكانتا بمثابة دول الحدود وأقاليم المهجرات اليهودية ، التى كان للإرساليات المسيحية نشاط ملحوظ فيها .

ومع أن السريانية كانت لغة هذه البلاد ، ومع أن أهمية الأدب السريانى لم تظهر إلا منذ دخلت المسيحية فى أرضهـــا واتخذت السريانية لغة أدبية ، فإن معرفتنا بتاريخ انتشار المسيحية فيها قاصرة جداً .

أما القصص السريانى فيزعم أن المسيحية حينما اتجهت شرقاً ظهرت أولا فى الرها أيام المسيح ، وأن أبجر الخامس كتب الى إلى المسيح وآمن به، ومع ذلك فسنرى أن ملوك المدينة ظلوا على وثنيتهم حتى آخر حكمهم وأن مقر الكنيسة

السريانية لم يبدأ فى الرها وإنما بدأ فى حذيب حيث وضعت أقدم التراجم السريانية للعهدين القديم والجديد .

يخبرنا يوسيفوس المؤرخ فى البـــاب العشرين من كتاب « الآثار » أن « . . . » ملك حذيب كان وثنيا ، وكان يخشى ابنه « يزد » فأقصاه بعيداً عن مملكته عند صديقه « عبد نرجل » الذى كان يملك على الإقليم الواقع حول مصب الدجلة حيث تقع مدينة البصرة الآن ، وهنالك زوجه « عبد نرجل » من إبنته « سومكا . . » ، كما اعتنق اليهودية على يد تاجر يهودى اسمه « حنانيا » . وتمضى الأيام ويطلب « مونوباز » عودة ابنه فيعود « يزد » إلى مملكة أبيه ، مصطحباً معه « حنانيا » التاجر اليهودى ، فإذا هو يجد أمه الملكة « هيلانة » قد اعتنقت اليهودية أيضا على يد يهودى آخر . ثم يدور الفلك دورة أخرى ويموت «مونوباز» ويخلفه «يزد» على العرش سنة ٣٦م . وتصبح اليهودية دين الدولة . وترى « هيلانة » أن الدين الجديد لم يظهر له أى تأثير فى الدولة ، فتحج إلى بيت المقدس ، وتقيم به ، وتطول إقامتها فيه ، وينتهز الملك « يزد » هذه الفرصة فيرسل خمسة من أولاده إلى بيت المقدس لتلقى العلم هناك ، ويصبح لهذه العائلة عدد من القصور فى بيت المقدس كما يذكر فى كتاب المشنة ، وتبنى « هيلانة » مقبرة بديعة فى بيت المقدس يطلق عليها اسم مقبرة الملوك ويسميها يوسيفوس المؤرخ (الأهرام) ، دفنت فيها « هيلانة » وإبنها « يزد » ، ولا تزال آثارها قائمة فى بيت المقدس حتى اليوم . ومن هنا نتبين الصلة التى كانت قائمة بين فلسطين ومملكة حذيب .

* * *

ويذكر يوسيفوس أيضاً أن « مونوباز الثانى » و « كنداى » ملكى حذيب قد اشتركا مع اليهود فى محاربة الرومان ، وأن « مبرساف » وهو آخر من نسمع عنه من ملوكهم كان من ألد أعداء الإمبراطور تراجان إبان حروبه فى الشرق

ولكنه هزم سنة ١١٦ م . وأصبحت حذيب جزءاً من الإقليم الآشورى التابع للإمبراطورية الرومانية .

هذه الصلة التى توطدت بين مملكة حذيب وبين فلسطين كانت سبباً فى انتقال المسيحية إلى هذا الاقليم فى النصف الثانى من القرن الأول . فإن « مشيحازخا » صاحب تاريخ أربل يخبرنا أن « أدى » كان مرسلا إلى قرى حذيب الجبلية ليبشر بالمسيحية هناك وأنه كان من بين الذين عمدهم «أدى» رجل اسمه « فقيدا » وأنه أرسله إلى أربل عاصمة حذيب فصار أول أسقف للمسيحيين هناك . وكثر فى مملكة حذيب المعتنقون للمسيحية ، وكانت كثرة الأساقفة فى أربل من اليهود المتنصرين أو من مسيحيين من أصل يهودى فقد كانت أسماؤهم مستمدة من كتاب العهد القديم مثل شمشون وإسحاق وإبراهام ونوح وهابيل .

ويحدد صاحب تاريخ أربل بداية بعثة « أدى » للسنوات الأخيرة من القرن الاول ويذكر أن « أدى » و «مارى» كانا أول مبعوثين إلى كرخا (كركوك) وهى مدينة فى شمال العراق وعدد من الاماكن الأخرى .

والراجح أن المسيحية قد تخطت بعد ذلك حدود هذا الاقليم ناحية الشرق فنحن نعلم من النصوص المانوية المكتشفة حديثاً فى مصر أن مانى ذهب إلى الهند حوالى سنة ٢٤٠ م . قبل أن يبشر بمذهبه فى وطنه ، وليس ثمة شك فى أنه ذهب إلى هناك فى إثر القديس توما رسول الهند ، وقد توقع مانى أن يجد فى الهند جالية مسيحية ، وصح ما توقعه فعلا ، فنحن نسمع أنه « كون هناك نخبة طيبة » أى أنه أنشأ هناك طائفة من أتباعه .

وإذا فقد دخلت المسيحية حذيب فى النصف الثانى من القرن الأول ومنها انتقلت إلى الهند فيما بعد: وبذلك يسقط الرأى القائل أن المسيحية قد دخلت إلى

الرها قبل دخولها إلى أى إقليم آخر من أقاليم المشرق. ولكننا مع ذلك نحب أن نناقش هذا الرأى .

* * *

يعتمد الذين يذهبون هذا المذهب على عدد من الوثائق لا تعدو أن تكون كلها من الأساطير . وأقدم هذه الأساطير « قصة أبجر » ، وملخص هذه القصة، أن أبجر الخامس ملك الرها الملقب بالأسود (المتوفى حوالى سنة ٥٠ م) لما سمع بخبر العجائب التى يفعلها المسيح ، أرسل إليه رسالة يرجوه فيها أن يشخص إليه ليبرئه من علته ، ويعرض عليه فى تلك الرسالة أن يقيم معه فى مملكته بعيدا عن اليهود الذين يريدون به السوء . وتقول الأسطورة أنه أرسل مع الرسول رساماً لينقل إليه صورة المسيح إذا اعتذر عن القدوم إليه . فلما وصلت الرسالة إلى المسيح اعتذر عن الذهاب إلى الرها ، وكتب إلى أبجر: طوبى لمن آمن بى قبلما يرانى ، فقد كتب عنى أن الذين يرونى لا يؤمنون بى ، والذين لا يرونى يؤمنون ويخلصون . أما طلبك أن أجىء إليك، فيجب أن أتمم هنا كل ما أرسلت لأجله، وبعد انتهاء عملى ، وصعودى إلى من أرسلنى ، أبعث إليك واحدا من تلاميذى ليبرئك ويمنحك ومن معك الحياة الأبدية » .

تقول الأسطورة إنه بعد قيامة المسيح أرسل أحد تلاميذه إلى الرها وفاء بالوعد الذى قطعه المسيح على نفسه فى هذه الرسالة. وقد قبل أوسابيوس المؤرخ هذه القصة فى تاريخه الذى وضعه فى بداية القرن الرابع على أنها مأخوذة من أصل سريانى محفوظ فى دار المحفوظات الرهاوية . وتذكر هذه الأسطورة أن الرسول هو « تداى » أحد الإثنى عشر (وهى صيغة النداء من تداوس : متى ١٠ : ٣) ، ويستعاض عنه فى أسطورة أخرى هى « قصة أدى » بأدى نفسه ، ويقال ان الذى أرسله هو توما رسول الشرق ، الذى نقلت رفاته بعد وفاته إلى

الرها ودفنت هناك فى تابوت من الفضة سنة ٢٣٢ م . وقد اشتملت قصة أدى على عدد كبير من الأسماء ، كما أظهر المؤلف أنه مولع بإخراج صورة لأحوال البلاط الملكى فى الرها فى ذلك الحين . ولكن البحث أظهر أن أكثر أصحاب الأسماء المذكورة فى هذه القصة لم يعملوا فى بلاط أبجر ملك الرها ، وإنما عملوا — فيما تنطق به الوثائق التاريخية — فى بلاط ملوك البرتيين فى ذلك الحين ، وهم ارتبان الثالث (١٢ — ٢٨ م) وجوتارس الثانى (٣٨ — ٥٠ م) . وفاردان (٣٩ — ٤٧ م) وبذلك تكون القصة قد ألفت فى الأصل فى بلاد يحكمها ملوك البرتيين وهذه البلاد هى حذيب .

* * *

والظاهر أن تلك المنطقة لما أصبحت إقليما مسيحيا إلى حد كبير ، حول الناس الحقائق التاريخية التى كانت معروفة عن اعتناق الملك «يزد» لليهودية والتى ذكرناها من قبل إلى قصة مسيحية . ولا يزال عندنا بقايا من قصة حذيب المسيحية هذه ، وفيها يستبدل إسم الملك « يزد » باسم « نرسى » ، وهو يسمى فى رسالة أدى الرهاوية « نرسى ملك الأشوريين » .

أما فى الرها فقد استبدل الملك يزد أو نرسى) بعاشرة الملك «أبجر الخامس أوكاما » ملك الرها . واستبدل إسم « حنان » التاجر اليهودى الذى لعب دورا هاما فى اعتناق « يزد » لليهودية بحنان (طبولارا) أمين المحفوظات الملكية الذى كان أبجر قد أرسله إلى فلسطين والذى لعب دورا هاما فى تحول الملك أبجر إلى النصرانية فيما تقول القصة . أما « هيلانة » أم « يزد » فقد جعلت زوجة أبجر فى النص الأرمنى للقصة .

وتذكر القصة فى ناحية أخرى أن « أدى » كان معلم « فالوط » الذى كان أسقفاً على الرها فى النصف الأخير من القرن الثانى . وإذا فإن « أدى » رسول

حذيب' والأراضى المجاورة للدجلة ـ الذى حدد صاحب تاريخ أربل بعثته بأواخر القرن الاول ـ كان عليه أن يتقدم على تاريخه أكثر من ستين سنة لكى يجعل منه تلميذا للسيح فى عهد الملك أبجر الخامس . كما كان عليه أيضا أن يتأخر عن تاريخه بنحو من ستين عاما لكى يصبح معلم الأسقف « فالوط » . وبذلك يكون «أدى» قد اتصل بالرها مرتين : واحدة فى الربع الثانى من القرن الأول والثانية فى النصف الأخير من القرن الثانى . والعجيب بعد ذلك أن اسمه يرد فى تاريخ الرها : ولم يعرف شىء عن نشاطه فى الرها على الاطلاق .

وهناك من يقول إن المسيحية دخلت الرها فى الربع الثالث من القرن الثانى ويربط أصحاب هذا الرأى بين «أدّى» وبين دخول الانجيل المختلط (الدياطسرون) إلى الرها ، و«أدى» عند أصحاب هذا الرأى معاصر لطاطيان مؤلف (الدياطسرون) بل إنهم يغالون فيقولون إن الرجل الذى كان يسمى « طاطيان » فى الغرب ، ربما كان هو بعينه الذى سمى « أدّى » فى الشرق . والغريب أيضا أن تاريخ الرها لم يذكر إسم واحد من الرجلين ؛ ومعنى هذا أن الرها لم تعرفهما .

وإذاً فلا يمكن اعتبار قصة أبجر ، أو قصة أدّى وثيقة تاريخية لدخول المسيحية فى الرها فالقصتان وإن اشتملتا على بعض الحقائق التاريخية ، فإن هذه الحقائق قد وقعت فى زمن متأخر عن العصر الذى يراد نسبة القصتين إليه ، ولكنهما حملتا على الرها لتصوير نظرة متأخرة لما كان يطمع الرهاويون أن تكون عليه نشأة المسيحية فى مدينتهم .

* * *

وتريد الأساطير أيضا أن تجعل المسيحية الديانة الرسمية فى الرها باعتناق الملك أبجر التاسع (١٧٩ - ٢١٤م) لهذا الدين . ويقولون فى ذلك إنه كانت لابن ديصان معه اتصالات حملته على اعتناق المسيحية . ومع ذلك فإن أبجر التاسع قد ذكر

عدة مرات فى القصة المشهورة عن الفيضان الكبير الذى أصاب الرها سنة ٢٠١م. كما يذكر عنه تفصيلات أخرى فى تاريخ الرها فى حوادث سنتى ٢٠٥ و٢٠٦ م. ولكن لم يرد فى ذلك التاريخ أية إشارة ولو ضمنية لاعتناق هذا الملك للمسيحية .

ونستطيع بعد ذلك أن نقرر ما لدينا من الحقائق عن هذا الموضوع على النحو التالى :

١ — تروى المصادر أن ابن ديصان (الذى ولد فى الرها سنة ١٥٤م. والذى سنتحدث عنه فيما بعد) قد اعتنق المسيحية فى الرها فى النصف الأخير من القرن الثانى ، ومعنى هذا أنه كانت فى الرها طائفة مسيحية فى ذلك الحين .

٢ — ترجع أقدم إشارة إلى بناء كنيسة فى الرها إلى ما جاء فى تاريخ الرها من أن الفيضان الكبير الذى أصاب المدينة سنة ٢٠١ م قد خرب هيكل كنيسة المسيحيين .

وتكون المسيحية إذاً قد دخلت الرها حوالى منتصف القرن الثانى أى بعد دخولها فى حذيب بنحو قرن من الزمان .

ترجمة الكتاب المقدس

الترجمة البسيطة

ترجمة العهد القديم :

ليست لدينا معلومات وثيقة عن الترجمة السريانية للعهد القديم ، ولا عن أصلها ، بل إن تيودور المفزوستى نفسه (المتوفى سنة ٤٢٨ م .) لم يكن يعرف من ترجمها ولا أين ترجمت . ولكننا نستطيع أن نتبين معالم هذا الموضوع من ثنايا ما ورد فى كتب التاريخ ، فقد رأينا كيف دخلت الديانة اليهودية إلى مملكة حذيب وأنها كانت ذات أثر كبيرفيها بعد اعتناق ملوكها لهذا الدين . هذا الأثر يكفى لكى نفترض أن هؤلاء اليهود وبخاصة أعضاء الأسرة المالكة وأشراف الدولة كانوا فى حاجة إلى نسخة من الكتاب المقدس فى لغة يستطيعون فهمها ، وكانت اللغة المستعملة فى حذيب هى السريانية . والأمر الذى لا شك فيه أن يهود بيت المقدس كانت عندهم ترجمة باللهجة الآرامية لأسفار موسى الخمسة على الأقل ، والراجح أيضا أن نسخة من هذه الترجمة قد وجدت طريقها إلى حذيب أيام هؤلاء الملوك اليهود ، وأنها ترجمت إلى لهجة حذيب وكتبت بالأبجدية السريانية . فالمعروف أنه كان فى حذيب جماعة من اليهود الذين هاجروا إليها من فلسطين واستقروا فيها سنوات ، وكانوا من غير شك قادرين على القيام بمهمة الترجمة فى غير مشقة .

ومهما يكن من أمر هذه الترجمة ، فقد وصلنا - إلى جانب النص الذى تمثله أغلب المخطوطات التى يرجع تاريخ كتابة بعضها إلى القرن السادس - نص آخر يشتمل على سفرى التكوين والخروج فى مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى يرجع تاريخه إلى سنة ٤٦٤ م . وهو أقدم مخطوط مؤرخ للكتاب المقدس عرف حتى اليوم، وهو يتفق مع النص العبرى بوجه عام . والراجح أن « فرهاذ » و« أفريم » وهما من كتاب القرن الرابع قد استخدما فيما كتباه عن الكتاب المقدس نصا مقاربا لهذا النص .

هذه الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم هى التى أخذتها الكنيسة المسيحية ، فأتمتها وهذبت أسلوبها ، واتخذت من هذا النص الموسع نموذجاً مثاليا نقلت عنه أكثر مخطوطات العهد القديم وهى المعروفة بالترجمة البسيطة (بشيطتا) .

ترجمة العهد الجديد :

رأينا أن المبشرين المسيحيين قد استقروا فى بلاد أشور قبيل نهاية القرن الأول ، وأن المسيحية قد انتشرت فى حذيب ومنها إلى جانبى نهر الدجلة حتى نيفت الأبرشيات التى كانت هناك على العشرين فى وقت قصير . فأى نصوص العهد الجديد كانت تستعمل هذه الجاليات المسيحية ؟

هناك نظريتان : أما أصحاب النظرية الأولى فيرون أن طاطيان لما عاد من روما رأى أن المسيحيين محتاجون إلى نص سريانى للكتاب المقدس فوضع كتابه الدياطسرون أى مضمون الأناجيل الأربعة . ولكن هذا الكتاب لم يعجب رجال الكنيسة فيما بعد ، فترجموا الأناجيل من اليونانيـــة إلى السريانية ترجمة كاملة .

وأما أصحاب الرأى الثانى فيرون أن المسيحيين فى حذيب كانت لديهم ترجمة سريانية كاملة للأناجيل إلى جانب الترجمة السريانية التى كانت عندهم للعهد القديم والتى ورثوها عن العصر اليهودى الذى أظل بلادهم حينا . ويرى أصحاب هذا الرأى أن طاطيان نفسه قد استخدم هذه الترجمة السريانية القديمة للأناجيل فى تصنيف كتابه « الدياطسرون » .

أما أصحاب النظرية الأولى فيرون أن كنيسة روما لم تكن تنظر إلى الدياطسرون بعين الرضا لأنه من عمل مهرطق . ولهذا فإنه من المحتمل أن يكون ذلك قد شجع الأسقف « فالوط » على وضع ترجمة سريانية كاملة للأناجيل عن النص اليونانى كما كان يقرأ فى أنطاكية سنة ٢٠٠ م ، مستعينا بالدياطسرون الذى تعود عليه السريان . ومن هنا دخلت بعض القراءات الغربية فى الترجمة ، وأن هذه الترجمة لا يمكن أن ترجع إلى ما قبل النصف الأول من القرن الثالث . ولكن على الرغم من مجهود هذا الأسقف فإن الترجمة الجديدة لم يكن لها أى تأثير لأن الدياطسرون بقى كما هو إنجيل الكنيسة السريانية فى القرون التالية .

وأما أصحاب النظرية الثانية فيرون أن جميع الأناجيل تشتمل حقيقة على قراءات من القراءات الغربية ، وبخاصة فى أجزاء من الأناجيل وأعمال الرسل مكتوبة على ورق البردى ، كشف عنها منذ عهد قريب فى مصر ، ويرجع الباحثون تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثالث . ولكن اتضح لهم أن هذه القراءات التى سميت خطأ « قراءات غربية » لا تمت بصلة إلى النص اللاتينى فى كنيسة روما ولا إلى النص السريانى . وافترضوا أنه كانت هناك نصوص قديمة مشابهة للنص البردى — الذى يشتمل على الكثير مما يسمى بالقراءات الغربية — فى الشرق بوجه عام لا فى مصر وحدها ، ولم يبق إلا النص المصرى حيث ساعدت الظروف على المحافظة عليه . وأثبتوا أن هذه القراءات كلها راجعة لاختلافات

فى قراءة نص آرامى أساسى أو فى ترجمته ، ولا يمكن أن يكون أساسها الدياطسرون ولكنه النص اليونانى الذى كان أساس الترجمة السريانية ويرى أصحاب هذا الرأى أن الترجمة السريانية للعهد الجديد التى اشتملت عليها محوة(١) مشهورة فى دير طورسينا (سنتحدث عنها فيما بعد) تمثل نصا يونانيا هو الأثر الوحيد الباقى له لأنه يحتفظ بقراءات أولية لا يمكن أن تتفق والعقيدة المسيحية الناشئة ، وقد أصلح النص بعد ذلك ليساير العقيدة المسيحية . وانتهى أصحاب هذا الرأى إلى أن أقدم التراجم السريانية يجب أن يؤرخ بمطلع القرن الثانى . لأنه ليس من المعقول مطلقاً أن كنيسة انطاكية كانت تستعمل سنة ٢٠٠ م . نصا يونانيا فيه مثل هذه القراءات ، وأن النص السينائى هو ترجمة عدد من الأيدى المختلفة لأن كلمة يونانية بعينها مثلا تترجم الى السريانية فى الأناجيل المختلفة بكلمات سريانية مختلفة .

ونستطيع اذاً أن نقول ان أقدم ترجمة سريانية كامله للأناجيل قد وضعت قبل تأليف الدياطسرون ، ولكن لم تصل الينا ترجمة مؤرخة ترجع الى ذلك العهد ، وأقدم ما وصل الينا من نصوص الترجمة السريانيه للاناجيل مخطوطتان: احداهما المخطوطه الكيوريتانيه (نسبه الى وليم كيوريتون المستشرق الإنجليزى) ويرجح أنها كتبت فى القرن الخامس . والثانيه محوه دير طورسينا التى أشرنا إليه ، وتشتمل الكتابه الظاهرة فيها على قصص للقديسين كتبها الراهب يوحنا فى دير « معرة مصرين » بين انطاكيا وحلب ، وفرغ من كتابتها سنه ١٠٩٠

---

(١) تسمية نقترحها لكلمة Palimpsest وهى كتابة دونت على الجلد أو الرق ثم محيت وكتب مكانها كتابة أخرى . ولكن الكتابة المحوة غير محوة تماماً ولذا تمكن العلماء حديثا من إظهارها وقراءتها بطريقة خاصة ، بوساطة الأشعة الحمراء .

يونانيه (أى ٧٧٨ م .) وربما كانت الكتابه الممحوة قد كتبت حوالى القرن الرابع .

وتختلف كل من هاتين المخطوطتين عن الأخرى إلى حد يظن معه أنهما ترجمتان مختلفتان ، والواقع أن أصلهما ترجمة قديمة للعهد الجديد وكان هذا الأصل القديم معرضاً للتغيير والتصحيح على أيدى النساخ الذين كانوا يبذلون جهدهم فى تصحيح نصه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وربما كانوا قد أصلحوا الترجمة على نصوص يونانية كانت تحت أيديهم وكل ما فى المخطوطتين يدل على أن المترجم كان يستعمل اللغة السريانية فى سهولة تدل على مران أدبى طويل ، ومع ذلك فإن المخطوطة السينائية تشتمل على آثار من نطق الآرامية الفلسطينية وإملائها ، مما يدل على أن مترجمى أناجيل هذه النسخة كانوا من يهود فلسطين مولداً وتعليماً ، ولكنهم اعتنقوا المسيحية ، وأقاموا فى أرض سريانية حتى خضعت لهم اللغة السريانية ، ولكن ألسنتهم مع ذلك لم تخل من لكنة آرامية فلسطينية تكفى لإظهار نفسها بطريقة ما فى كتاباتهم . والراجح أن النص الكيوريتانى إنما مراجعة للنص السينائى مع إصلاح الأسلوب السريانى وإزالة ما فيه من العنصر الفلسطينى .

هذا الوصف للإقليم الذى تمت فيه الترجمة ، والأفراد الذين قاموا بها ينطبق على الحالة التى كانت فى حديب فى ذلك الحين كما رأينا ، يؤكد ذلك أن الجالية المسيحية فى حديب كان عندها ترجمة سريانية للعهد القديم ورثتها عن العصر اليهودى الذى مر بها . وترجمة العهد القديم هذه ضرورية للاداء الصحيح لأسماء الأعلام العبرية فى العهد الجديد ، وهذا الأداء لا يمكن استيفاؤه من النص اليونانى وحده ، ولكنه شىء يسير على اليهود الذين اعتنقوا المسيحية وأقاموا فترة فى حديب .

ولذلك فالراجح أن تكون هذه الترجمة القديمة للعهد الجديد قد تمت فى حذيب (بعد بعثة « أدى » الى هناك .

(الدياطسرون) الدياطسرون هو الاسم اليونانى لكتاب مضمون الاناجيل الأربعة الذى وضعه طاطيان بالسريانية ، ومعناه « على الاربعة » ، وكان السريان يسمونه أيضاً « الانجيل المختلط » تمييزاً له عن الاناجيل المتفرقة ، وسمى فى الترجمة العربية « الرباعى » . وقد جمع طاطيان فيه سيرة المسيح وأعماله من الاناجيل المتفرقة فأخذ من المكرر فى الاناجيل صورة واحدة ، وقيد فيه ما انفرد به كل انجيل من الاناجيل الأربعة مراعياً النص الأصلى ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

أما مؤلفة طاطيان فهو أشورى كما كان يطلق على نفسه ، أى إنه جاء من بلاد أشور وهى البلاد الواقعة بين الدجلة وبين ميديا من الجبال الأرمنية حتى المدائن وقد عرفنا مما سبق أن حذيب الواقعة شرقى الدجلة قد أصبحت جزءاً من الإقليم الرومانى لبلاد أشور بعد حرب تراجان سنة ١١٦ م . ولهذا فنحن نرجح أنه ولد فى حذيب سنة ١١٠ م . ولكننا لا نعرف ذلك على التحقيق .

ولد طاطيان فى أحضان أسرة نبيلة غنية تدين بالوثنية ، وكانت لغة أمه السريانية وهى اللغة التى كان يتكلمها أهل أشور فى ذلك الحين ، وتلقى دراسة عالية فى الآداب والفلسفة ، وأغرم منذ صباه بالمسائل الدينية ، وكان رجلا موهوباً ، فأراد التبحر فى العلم ، ورحل فى سبيل ذلك إلى بلاد الغرب ، ودرس حضارة اليونان وفلسفتهم ولكنه لم يعجب باليونان وكان يتبرأ منهم ويسمى نفسه « بربريا » (أى غير يونانى) ويبدو من كتابه Graecos جريكوس الذى ألفه باليونانية . أنه فخور بأنه غير يونانى .

أقام طاطيان مدة فى بلاد اليونان ، ثم انتقل منها إلى روما ، وكان يتردد

على المراكز الثقافية الكبيرة فيها ، واتصل بجوستين ودرس عليه ، والراجح أنه اعتنق المسيحية بتأثير جوستين وتسمى باسم طاطيان ولما مات جوستين خلفه طاطيان فى تعاليمه وتخرج على يديه عدد من التلاميذ منهم رودون من آسيا الصغرى ، وأكليمنص الأسكندرى ، ونرسيس المقدسى . ولكنه — فيما تقول بعض الروايات — أعلن بعض الآراء الخارجة على تعاليم الكنيسة ، فأثار اضطراباً فى روما ، اضطر من أجله — فيما يقول ابيفانيوس — الى الرحيل إلى الشرق حوالى سنة ١٧٢ م . وليس لدينا شىء يقينى عن حياته بعد ذلك . ولكن الراجح أنه عاد إلى وطنه فى بلاد أشور واستقر هناك . أما إنه جاء إلى الرها فهذا مجرد حدس من الباحثين المحدثين لأنهم يعتقدون أن الرها هى المركز الأدبى للسريانية ، ولكن المحقق أن اسمه لم يرد مطلقاً فى تاريخ الرها كما ذكرنا ، ولم نسمع قط أنه اتصل برجل مثل ابن ديصان ، وأنه بدأ عقب عودته الى الشرق فى وضع كتابه « مضمون الأناجيل الأربعة » عن الترجمة السريانية القديمة للاناجيل الأربعة كما أثبتنا ذلك .

أما الاختلافات الموجودة بين الدياطسرون والترجمة السريانية القديمة للاناجيل الأربعة فلا يمكن تفسيرها بأن طاطيان ربما كان قد أعتمد على مخطوطات يونانية إلى جانب الأناجيل السريانية التى كانت تحت يديه ، وإنما تدل على أن النص السريانى الذى استخدمه طاطيان يختلف من بعض النواحى عن نص المخطوط السينائى .

ولا يمكن تعليل عدم وجود أى أثر للدياطسرون فى الغرب إلا بأنه وضع على أساس ترجمة سريانية قديمة للاناجيل ، إذ من المدهش حقا أن عالماً مثل أوريجانس (المتوفى سنة ٢٥٤ م .) همه نقد النصوص ، لا يذكره مرة واحدة ، بل ولا يحتمل أنه عرف عنوانه ، مع أننا على يقين أنه مطلع على كتابات طاطيان

وكذلك نعرف أن أكليمنص الاسكندرى (المتوفى حوالى سنة ٢٢٥ م .) كان تلميذا لطاطيان فى روما ويعرف عدداً من الكتب التى ألفها أستاذه وهو ينتقد عقيدته كثيراً ، ولكنه لايعرف شيئاً عن الدياطسرون ، بل إن إرنيوس Irenaeus (المتوفى حوالى سنة ٢٠٢ م .) وهو أول مؤلف يصف طاطيان بأنه مهرطق لم يذكر شيئاً عن الدياطسرون .

ومع أن أوسابيوس (المتوفى حوالى سنة ٣٤٠ م .) كان أول من أشار إلى الدياطسرن فى الجزء الرابع من كتابه تاريخ الكنيسة إلا أننا نستطيع أن نستنتج من الاختلاف بين النص اليونانى والترجمة السريانية لهذا التاريخ أن أوسابيوس لم ير من الدياطسرون شيئا . فنى النص اليونانى : « وقد أحضر طاطيان أول رئيس للهراطقة مزيجا ومجموعاً للاناجيل وسماه الدياطسرون ، ويقال إنه لايزال فى أيدى بعض الناس » . وأما الترجمة السريانية فقد جاء فيها « هذا الطاطيان أول رئيس للهراطقة جمع ومزج وعمل إنجيلا سماه الدياطسرون أى المختلط وهو الذى لا يزال فى أيدى كثير من الناس إلى اليوم » .

وكذلك ابيفانيوس (المتوفى سنة ٤٠٣ م .) فقد ذكر أنه « يقال إن طاطيان هو الذى ألف الإنجيل الذى يسميه بعض الناس الدياطسرون » ويورد إيرنيموس (المتوفى سنة ٤٢٠ م .) قائمة طويلة للكتب التى ألفها طاطيان ولكنه لا يذكر الدياطسرون .

ولم يكن يعرف عن الدياطسرون باليونانية شىء حتى كشف فى دورا أوروپوس Dura Europos أوائل هذا القرن ، على نهر الفرات ، عن ورقة من الرق تشتمل على أربعة عشر سطراً من الانجيل المختلط باللغة اليونانية يرجع الباحثون تاريخها إلى القرن الثالث لأن الكنيسة التى اكتشفت بجوارها ترجع إلى سنة ٢٢٢ م . وهذه القطعة تظهر بوضوح أن إنجيلا مختلطا باليونانية كان

مستعملا فى عصر مسيحى مبكر . وتشتمل هذه القطعة فى بعض قراءات لاتوجد فى أى مخطوطة أخرى للاناجيل عرفت حتى الآن . ومع ذلك فإنه لايمكن أن يقوم أى شك فى أن هذا النص اليونانى مترجم عن أصل سريانى . والدليل على ذلك أن المترجم قرأ اسم المكان الذى جاء منه يوسف فى انجيل متى (٥٧:٢٧) وهو الرامة (ا ر ن م ت ى ا) خطأ وصوابه(ا ر ى م ت ى ا)وهذا لايمكن إلا إذا كان يترجم عن أصل سريانى لأن الياء والنون متقاربتان فى الخط السريانى بحيث يسهل الخلط بينهما . وفى بلدة دورا هذه كانت تلتقى الثقافتان السريانية واليونانية . وكان المسيحيون فيها يقرأون الدياطسرون السريانى فى كنائسهم وترجم النص الى اليونانية من غير شك من أجل المسيحيين الذين كانوا يتكلمون اليونانية هناك .

وقد لقى الدياطسرون نجاحاً عظيماً . فقد تغلب عند السريان على الترجمة السريانية القديمة للأناجيل ، وأصبح هو الإنجيل المستعمل فى الكنيسة فى الطقوس ، وبقى مستعملا رغم قيام تراجم سريانية كاملة أخرى للأناجيل . وتدل الوثائق المانوية باللغة القبطية التى اكتشفت حديثاً فى مصر على أن الإنجيل الذى اقتبس منه مانى وتلاميذه هو الدياطسرون وكانت اللغـــة التى يستعملها مانى هى السريانية .

ومع أن ربولا أسقف الرها فيما بين سنتى ٤١٢ و ٤٣٥م . قد قام بترجمة الأناجيل ترجمة بسيطة جديدة من اليونانية . ثم أصدر أمره إلى القسس والشمامسة بوجوب وجود كتاب يشتمل على الأناجيل المتفرقة فى كل كنيسة وأن تكون القراءة فى الصلاة من هذا الإنجيل وحده ، ومع أنه نجح فى الحد من استعمال الدياطسرون فى الرها ، وحذا حذوه بعض الأساقفة فأعدم أسقف آخر نحواً من مائتى نسخة منه فى أبرشيته ، فقد بقى الدياطسرون عدة قرون دون أن تستطيع

التراجم السريانية الكاملة للأناجيل التى عملت بعد ذلك أن تحل محله ، وربما كان قيام رجل حجة مثل افريم بوضع شرح له هو الذى ساعد على حفظه . وهذا الشرح موجود حتى اليوم فى ترجمة أرمينية .

وقد بقى الدياطسرون السريانى مستعملا حتى القرن التاسع ولكنه ضاع بعد ذلك ولم يبق لنا منه إلا ترجمة عربية وضعت فيما يظهر فى القرن الحادى عشر وتنسب إلى أبى الفرج عبدالله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٨ م . ويقال إن هذه الترجمة قد نقلت عن نسخة سريانية عملت فى القرن التاسع ، وقد ظل كثير من كتاب السريان يشيرون إلى الدياطسرون حتى القرن الرابع عشر نذكر منهم :

يشوع دذ المروزى النسطورى أسقف حديثة (منتصف القرن التاسع) ، وموسى بركيفا الأسقف اليعقوبى (المتوفى ٩٠٣م) . ويشوع برعلى (المتوفى ٨٧٣م) وبربهلول (منتصف القرن العاشر) فى قاموسيهما ؛ وابن الصليبى أسقف آمد اليعقوبى (المتوفى ١١٧١م) وابن العبرى (المتوفى ١٢٨٦م) وعود يشوع مطران نصيبين (المتوفى ١٣١٨م) . ونكتفى هنا بإيراد ما ذكره ابن الصليبى فى مقدمة شرحه لإنجيل مرقس عن الدياطسرون .

« وقد اختار طاطيان تلميذ « يوسطنيوس » الشهيد الفيلسوف من الأناجيل الأربعة أخباراً وكون إنجيلا سماه الدياطسرون أى المختلط ، وهذا هو نفس الكتاب الذى فسره مار أفريم » .

والأمثلة القليلة التى نوردها تصور لنا كيفية تصنيف هذا الكتاب : فمن الأصحاح الخامس من الدياطسرون : ولما تمم المغالب جميع تجاربه انفصل عنه إلى وقت (لوقا ٤ : ١٣) ، وإذا الملائكة قد دنت وكانت تخدمه : (متى ٤ : ١١) ، وفى اليوم الآخر كان يوحنا قائماً واثنان من تلاميذه ، فنظر إلى يسوع وهو يمشى فقال هو ذا حمل الله : (يوحنا ١ : ٣٥ — ٣٦) .

ومن الاصحاح السابع من الدياطسرون : وسبحوا الله الذى منح مثل هذا السلطان للناس : (متى ٩: ٨) ، وقالوا لقد أبصرنا يومنا العجائب : (لوقا ٥:٢٦) التى ما أبصرنا مثلها منذ قط : (مرقس ٢ : ١٢) .

ومن الاصحاح الحادى عشر من الدياطسرون : وقال لهم فى ذلك اليوم عند العشية : (مرقس ٤ : ٣٥) ، لنعبر إلى عبر البحيرة : (لوقا ٨ : ٢٢) ، وترك الجموع : (مرقس ٤ : ٣٦) وصعد يسوع وجلس فى السفينة هو وتلاميذه : (لوقا ٨ : ٢٢) ، وكانت معهم سفن أخر : (مرقس ٤ : ٣٦) ، وحدث فى البحر حركة عظيمة : (متى ٨ : ٢٤) ، من زوبعة وريح : (مرقس ٤:٣٧) ، وكادت السفينة أن تغرق : (لوقا ٨ : ٢٣) .

كتاب السريان

في القرن الثاني

كانت ترجمة الكتاب المقدس إلى السريانية هي أول عمل أدبي بقي لنا من آثار المسيحية السريانية ، وكان من الطبيعي أن يقوم إلى جانب هذا العمل نشاط أدبي آخر، كان بعضه مسايراً لتعاليم الكنيسة فكتب له البقاء ، وكان البعض الآخر من نوع لا ينسجم مع تلك التعاليم ولذلك حالت الكنيسة بينه وبين البقاء ، فلم يصل إلينا منه شيء .

مليطون السرديسى :

ومن كتاب القرن الثانى مليطون ويلقب فى الرسالة التى بقيت لنا من كتاباته بالفيلسوف ، وكان من أبرع الكتاب القدماء الذين ينتمون إلى كنيسة آسيا الصغرى، وليست لدينا معلومات تاريخية عن حياته إلا ما جاء عرضاً فى رسالة بوليكراط الأفيزوسى إلى البابا فيكتور (١٨٩ — ١٩٩م.) من أن مليطون قد توفى .

ومن كتاباته رسالة فى الدفاع عن الدين الصحيح ضد تعدد الآلهة وعبادة الأصنام والآراء غير الصحيحة المنسوبة إلى المجوس ، وقد نشرها المستشرق الانجليزى كيوريتون فى كتابه Spicilegium Syriacum واقتطف أوسابيوس

فى تاريخه قطعة من رسالة بعث بها مليطون إلى انطونينوس مارك فى الدفاع عن المسيحيين المضطهدين ، وكان المظنون أولا أن هذه الرسالة هى نفس الرسالة الأولى التى بقيت لنا من كتابات مليطون ، ولكن هذه الرسالة لا تشتمل على القطعة التى اقتطفها أوسابيوس . وربما كان هذا راجعاً إلى أن الرسالة ناقصة فى بعض نواحيها ، أو أن أوسابيوس نقل عن رسالة أخرى غير الرسالة الأولى ولم ير غيرها ، وهو يخبرنا صراحة أنه لم يورد تفضيلا لكتابات كل من مليطون وأبوليناريوس ولكنه يذكر عنهما كل ما أحاط به علما فقط . وعلى ذلك فالراجح أن مليطون قد كتب رسالتين نشرت إحداها كاملة ، واقتبس أوسابيوس مقتطفات من الثانية .

ابن ديصان :

رأينا أن الرها لم تلعب أى دور رئيسى فى تاريخ الأدب السريانى حتى أواخر القرن الثانى ، وأن حذيب هى التى قامت بالعبء كله فى هذه الفترة ، فلما ظهر ابن ديصان بدأت الرها تأخذ مكانها فى الأدب السريانى وتضاءل شأن حذيب شيئاً فشيئا ، فقد كان ابن ديصان ذا أهمية كبيرة للرها وأصبحت بفضله مركز المسيحية الشرقية ، فقد كان الكاتب السريانى الفذ والشاعر الموهوب الذى تغنى السريان بشعره .

أما أبوه فهو نوحاما ، وأما أمه فهى نحسيرام ، تركا إربل عاصمة حذيب حوالى سنة ١٠٠م ، فوصلا الرها فى عهد الملك معن الثامن (١٣٩ – ١٦٣م) وفى الرها وبالقرب من نهير ديصان الذى يروى هذه المدينة رزقا ولداً سنة ١٥٤م . فسمياه « ابن ديصان » نسبة إلى النهر . وتعلم فى البلاط الملكى مع أبجر ابن الملك معن تعليما راقيا باللغتين السريانية واليونانية ، وقضيا معاً عهد الصبا . وبقى ابن ديصان بالرها حتى سنة ١٦٣م حين خلع الملك معن الثامن وارتقى العرش مكانه

الملك وائل ، فخرج مع أبويه من الرها — وكانا على دين الوثنية — إلى منبج ، وكانت إلى ذلك الحين مركزاً لعبادة الكواكب ، وأقاموا هناك عند رجل اسمه كودوز ، وتتلمذ ابن ديصان على الكاهن الأكبر لمعبد منبج ، ومنه تعلم العلوم الوثنية المتصلة بعبادة الكواكب والنجوم ، ويقال إنه علمه نظم الشعر الذى ينشد فى الطقوس الوثنية . والظاهر أن أبويه ماتا فى منبج فتبناه كودوز ، وشجعه على دراسة الفلك والتنجيم ، فنبغ فيهما فى وقت قصير ، ويقال أيضا إنه كان — إلى جانب نبوغه العلمى — من أمهر الرماة .

ولما تولى أبجر التاسع رفيقه فى الصبا عرش الرها سنة ١٧٩م. عاد إلى الرها، وفيها لقى بعض من اعتنقوا المسيحية ، فشرحوا له أسرار الدين الجديد ، ويقال إنه اعتنق المسيحية على أيدى « هسبس » الذى كان أسقف الرها فى ذلك الحين ، ولكنه لم ير فى اعتناقه للدين الجديد سبباً يصرفه عن العناية بدراسة الفلك والعلوم الدنيوية ، وأراد أن يطبق على المسيحية كل ما استفاده من علم ومعرفة ، ولكن رجال الكنيسة السريانية شوهوا جمال العمل الذى قام به هذا الرجل بعد وفاته .

وفى الرها أصبح ابن ديصان علمها الخفاق : فقد استعاد مكانه فى البلاط الملكى ، وكان رئيسا لمدرسة الرها ، ويذكر بعض اليونانيين أنهم زاروا هذه المدرسة ورأوا هذا الشاب الذى كان يمثل الثقافة المسيحية خير تمثيل .

وترك ابن ديصان ثلاثة أولاد اشتهر منهم هرمونيوس لأنه كان يقرض الشعر كأبيه . والآخران أبجر وحسادو . ويقال إنه رحل فى أواخر أيامه إلى جبال أرمينية واستقر بها حتى وافته منيته . ويذكر ابن العبرى أنه مات وعمره ٦٨ سنة أى إنه مات سنة ٢٢٢ م .

وليس فيما وصل إلينا من أقواله ما يجعل إخلاصه لعقيدته المسيحية موضع شك : فنحن نجد فى كتاباته أنه يعتقد بإله واحد ، قوى لأن كل كائن محتاج إليه خالق العالم ، وهو عون كل موجود ، خالق العناصر الأساسية أولا . وهى النار والهواء والماء والنور والظلمة ، وجعل لكل واحد من هؤلاء قسطاً معينا من الحرية ؛ وهو يشغل حيزا محدودا وله طبيعة خاصة به ؛ فالظلمة مضره وهى تخيم على الأرض حيث كانت لتختلط بالعناصر الطاهرة التى تدعو الله إلى إغاثتها فيشفيها المسيح . وقد ترك الله الشر يعمل لأنه حليم ، ولكنه سيكون فيما بعد عالما جديداً لا شر فيه وأن الله خالق الملائكة وخصهم بإرادة مطلقة، وخالق الإنسان معادلا للملائكة فى الحرية ، وكونه من عقل ونفس وجسد ، وأن الجسد يعتمد على الكواكب فى الحياة أو الموت ، وفى السعادة والشقاء، وفى الصحة والمرض. وأن الإنسان حر يستطيع أن يفعل الخير وأن يتجنب الشر ، وهو فان، وسوف يثاب أو يعاقب تبعا لأعماله . وسوف يكون هناك حساب فى الآخرة وهو يعلن مثلا أن معظم عقائد فالنتين (والتينوس) ليست إلا سخافات ، وكان معارضا عنيدا لمرقيون وغيره من المراطقة ، وكتب كثيرا فى الدفاع عن المسيحيين الذين وقع عليهم اضطهاد فى بعض النواحى . هذا إلى جانب البراهين المادية : فقد أراد أبوللو نيوس أحد أصدقاء الإمبراطور كركلا أن يغرى ابن ديصان على إنكار مسيحيته ، ولكنه رفض بإباء ، وكان يقول إنه لا يخشى الموت لأنه يتوقع أن يجرع كأسه دائما . ونحن نقرأ له فى كتاب قانون البلدان «كيف نقول هذا الشعب من المسيحيين ، إن المسيح أنتجه فى جميع البلاد ، وفى جميع الأماكن بواسطة مجيئه ، فهؤلاء نحن جميعا مسيحيون على جزء من الأرض ونعرف بالاسم الوحيد للمسيح » .

ولكن رجال الكنيسة لم يقبلوا كتابات ابن ديصان ووصفوها بأنها نوع من الهرطقة وعملوا على صد المسيحيين عنها ، ولكنا لا نعلم من تفصيل هذا الصراع

إلا القليل فنحن نرى أى جهد قام به رجل مثل إفريم لكى يرد عليه وعلى غيره من الهراطقة . ومع ذلك فهو لم يتناول آراء ابن ديصان ليرد عليها رأيا رأيا ، ولكنه كان يكتفى بانتزاع تعبير واحد من سياق كتابات ابن ديصان ، ثم يتناول الكاتب بسيل من الكلمات المقذعة والعبارات الأخلاقية الحساسة ونستطيع أن نرى بوضوح فى رد أفريم إلى أى حالة وصلت الكنيسة فى عصره ، فقد عجزت الكنيسة فى ذلك الحين عن أن تحتمل روحا كروح ابن ديصان ولا نقول أن تسايره وتجتذبه إليها . فقد كان كل ما عند ابن ديصان من الوضوح الذهنى وقوة إدراك الحقائق ، بالنسبة له سجنا ضيقا بين جدران لاهوت ضخم ناشىء وبدلا من أن ينير رجال هذا الدين أمامـــه سبيل الحقيقة عملوا جاهدين على تشويهها .

ولما كان ابن ديصان قد أثر على المسيحيين بشعره الذى كانت العامة تحبه وتتغنى به ، فقد رأى أفريم نفسه مضطرا إلى معارضته بالشعر ، فبذل مجهودا كبيرا فى تأليف أناشيد يقضى بها على أناشيد ابن ديصان الشعبية . كما عمل على إعدام ما تصل إليه يديه من كتبه ، وفى ذلك يروى صاحب « تاريخ النساطرة » أنه حكى فى بعض الأخبار أن ابن ديصان قد وضع إنجيلا مخالفا واستغوى به من فى عقيدته استرخاء ، وفى قلبه زيغ ، فلما توفى ابن ديصان وأراح الله البيعة منه ومن شره ، احتال مار افريم على أخته ، وأسألها أن تدفع إليه ذلك الكتاب لينظر فيه ويرده إليها . فدفعت الكتاب إليه ، فلما أخذه منها دعا بغراء مغلى فلطخه به ورقة ورقة ، وأطبقه وشده شدا جيدا جيدا حتى التصق ودفعه إليها .

ولكن لم يكن افريم — مع ذلك — هو الذى حد من انتشار هرطقة ابن ديصان ، بل إن الذى نجح فى ذلك كان ربولا بعد عصر افريم بنصف قرن على الأقل . ففى سيرة ربولا — الذى كان أسقف الرها فى أوائل القرن الخامس —

نجد وصفا يوضح لنا نهاية هذا النزاع : « لقد أينعت تعاليم ابن ديصان الشريرة في الرها حتى أعدمها ربولا وهزمها ، لأنه قبل هذا الوقت كان ذلك البرديصان الملعون قد اجتذب إليه جميع الرجال البارزين في المدينة بلباقته وعذوبة أناشيده لكي يحمي نفسه بهم ، كما يحتمي في الجدران القوية ، لأن الأحمق قد أمل أنه بالخطأ وقيادة الذين اتبعوه إلى الضلال ، يستطيع أن يؤسس أخطاءه قوية بما يلقاه من أعوانه من المساعدة الضعيفة . وقد أحزن ذلك ربولا الرجل الحكيم ، فلم ينصب نفسه لكي يجتث الأعشاب الطفيلية من ذلك الحقل ، وأن يخلف وراءه سنابل القمح الكثيرة فقط — فإن ذلك يكون سهلا — ولكنه بحكمته نصب نفسه ليحول هذه الأعشاب إلى قمح ، فإن ذلك كان ضروريا . فبدلا من نفخ يشوع المزعج في البوق هو وأتباعه الذين نفخوا على أسوار أريحا حتى سقطت ، وبدلا من إفناء الرجال والاستيلاء على متاعهم للرب ، فإن هذا القائد الحكيم من قواد المسيح — بقوة ربه وباكتساب المحبة والصوت الرقيق ، استطاع بسكون أن يحطم كنيستهم ، وأن يحمل كنوزها وينقلها إلى كنيسته ، حتى لقد استطاع أن يستخدم أحجارها أيضا » .

وحاول رجال الكنيسة كذلك أن يشوهوا اسمه ، وأن يتركوا ذكراه غامضة ، وأن يزجوا به في طي النسيان ، فزعموا أنه كان يخلط بين المسيحية وبين ما كان الكاهن المنبجي يلقنه ، وأنه أبدع بدعة لم يتقدمه أحد فيها ، وأنه قال : إن العناصر سبعة ، ثلاثة منها عظام شريفة ، وهي العقل والقوة والفكر ، والأربعة الأخرى دون ذلك ، وهي النار والماء والنور والريح . فتألفت هذه السبعة بعضها من بعض وكان منها ستون وثلاثمائة عالم ، وأن الإنسان مخلوق من هذه الأصول السبعة أيضا ؛ نفسه من الثلاثة الشريفة وجسده من الأركان الأربعة الدنيئة . وقال إن دماغ الإنسان من الشمس ، وعظامه من زحل ، وعروقه من عطارد ، ودمه من المريخ ، ولحمه من المشترى ، وشعره من الزهرة ، وجلده من القمر . كما زعموا أنه أنكر قيامة الأجساد .

وكان ابن ديصان آخر الغنوسطيين من السريان (أى العارفين بالله) ألف فرقة عرفت بالديصانية نسبة إليه ، ويحدثنا يعقوب الرهاوى أنه كان لهذه الفرقة أتباع حتى القرن الثامن ، كما يحدثنا ابن النديم أن أتباع هذه الفرقة كانوا بالبطائح بين واسط والبصرة فى القرن العاشر ، وكان لها أتباع قبل ذلك فى خراسان والصين وتركستان ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، والمسعودى فى التنبيه والإشراف، والشهرستانى فى الملل والنحل. وقد زعموا أن أتباعه كانوا يقولون بإلهين : إله نور ، وإله ظلمة ، وإنهم انقسموا إلى فرقتين ، كانت إحداهما تزعم أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج منها امتنع ذلك عليه . وزعمت الثانية أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها ونتنها ، شابكها بغير اختياره. ولعل هذه الآراء — إن صحت نسبتها إليهم — أن تكون قد دخلت إليهم من المانوية .

والاجزاء الباقية من كتابة ابن ديصان تدل على أنه قرأ كثيرا، وفكر كثيرا، وأنه تعلم ليفكر بنفسة ، ولم يقتنع فى النهاية بأن يكرر عقيدة مدرسة ما . لقد كانت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية فى عنفوانهما عند ابن ديصان ، وكانت أبرز نواحيهما عنده ميلهما التكوينى مع التفسير المسيحى للحياة والقوة الخلقية . لقد كان يفكر فى مشكلة الحياة ، مشكلة إنسانية المسيح ، ولكنه كان فى حريته الروحيه ، وقدرته على الابتكار فى مركز من يعمل بغير أمل فى الرها إبان بداية الكنيسة الشرقية . أما فى كنيسة المتكلمين باليونانية ، فقد أخذ جماعة أسعد منه حظا هذا العمل الذى بدأه حول مسألة إنسانية المسيح فأتموه .

ويخبرنا ابن النديم فى الفهرست أن ابن ديصان له من الكتب : كتاب النور والظلمة ، وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد ، وله كتب كثيرة ، ولرؤساء المذهب فى ذلك كتب لم تقع إلينـــا ، ولعل هذه الكتب لجماعة من أتباعه .

ويذكر المؤلفون من اليونان والسريان أنه ألف كتبا كثيرة ، أكثرها فى نصرة الدين المسيحى بطريقة فلسفية . فقد وضع رسائل فى الرد على الهراطقة ، من غلاة الفلاسفة والبابليين ، والقائلين بتعدد الآلهة، والثنوية والمرقونية بالهين. ويذكرون أيضا أنه كتب تاريخا لارمينية، وأنه جمع البيانات التى اعتمد عليها فى وضعه من معلومات شفوية استقاها من مسافر هندى مر بالرها فى طريقه إلى البلاط الرومانى . ويستدل من هذا انه وضع كتبه بالسريانية. ويستدل من بعض هذه المصادر ايضا انه ترجمها بعد ذلك إلى اليونانية ترجمة متقنة. ولكن يغلب على الظن ان هذه التراجم اليونانية ليست من عمله، ولم يبق لنا من هذه المؤلفات مقتطفات إلا قليلة فى ثنايا مؤلفات بعض الكتاب ، وقصيدة تحت عنوان « انشودة الروح » او « ابن الملك » . رسالة صغيرة عن القدر على شكل محاورة بين ابن ديصان وأحد تلاميذه عنوانها « كتاب قوانين البلدان » .

والراجح أن الذى دون كتاب قوانين البلدان هو أحد تلاميذ ابن ديصان وهو يبحث عن علة الشر الطبيعى ، وبخاصة الشر الخلقى فى هذا العالم، ودفاع عن حرية الاختيار أو حرية الإرادة المطلقة ، فالإنسان قد خلق حرا ، والنجوم التى لها قوة على الأجسام لا تستطيع شيئا حيال النفس . وقد نبه ابن ديصان — تطبيقا للبراهين المستمدة من العقل والتجربة — إلى أن الناس الذين ينتمون إلى بلد بعينه يخضعون لقوانينه المختلفة ، عادلة كانت أم جائرة ، دون أن يكون للكواكب مقدرة على تغييرها. وهذا القسم هو الذى استمد الكتاب منه عنوانه. وفى هذا الكتاب يشترك ابن ديصان كعادته مع تلاميذه فى الحوار . فيسألونه : أليس الله علة الفساد الاخلاقى . لأن عويدا — الذى يقوم بدور المعارض — قال إن الله قد خلق الإنسان لكى لا يستطيع أن يخطىء .

وبعد أن قدم ابن ديصان بحثا عن طريقة السؤال والإجابة ، وعن نظام

العقيدة والإدراك ، قال : إن الله لا يستطيع أن يخلق الانسان فى هذه الحالة دون أن يجعله آلة خالصة ، مجردة عن الحرية وعن اللباقة .

واعترض عويذا على أن الأوامر المفروضة على الناس صعبة ، وأن الانسان لا يستطيع تنفيذها ، فيجيب ابن ديصان . إن الأوامر المفروضة علينا كلها أوامر أخلاقية ، مثل : لا تسرق ، لا تكذب . وعلى ذلك فإن تنفيذها ممكن لأنها مستقلة عن قوة الجسم .

فيقر عويذا أن الانسان لا يمكنه تجنب الشر ، ولكنه يعتقد أن الإنسان لا قدرة له على فعل الخير . فيذكر ابن ديصان أن فعل الخير أسهل من تجنب الشر لأن الخير من خواص الإنسان ، إذا استثنينا بضع حماقات ، وأن المرء يكون سعيدا إذا فعل الخير . وأن الإنسان لا يستطيع أن يقول أكثر من أن الشر يأتى من طبيعتنا ، لأنه إذا جاء من الطبيعة الإنسانية بوجه عام فإن الناس جميعا يعملون بطريقة واحدة ما داموا جميعا من طبيعة واحدة فإذا جاز هذا بالنسبة للجسد ، كما نشاهد فى الحيوانات ، فإنه لا يجوز بالنسبة للنفس ، فقد ثبت أن الناس كائنات حرة يعملون بأنفسهم كل مارادوا من الأشياء ، وعلى ذلك فإن الشر لا يأتى من الطبيعة الخاصة بكل إنسان ما دمنا نرى أن النفس تنتقل من الخير إلى الشر أو العكس حسب الظروف ، وإذاً فانه من العبث أن يحمّل الناس - الذين تقودهم عواطفهم - خالقهم بالخطايا التى ارتكبوها .

وبعد هذا القسم الأول من الكتاب — وهو فلسفى بعامة — يأتى قسم ثان موجه ضد الفلكيين وأشياعهم الذين يخضعون الناس لحكم القضاء والقدر ، حينا ناحية الشر ، وأحيانا ناحية الخير . وقد استعرض ابن ديصان الحالتين المختلفتين اللتين يمكن أن يفهم منهما تأثير النجوم ، ثم اتبع طريقا وسطا . وهو يقر تأثير النجوم على الجسد . ثم يتبع ذلك بأن القضاء والقدر أيضا له بعض التأثير على الطبيعة ، وعلى الحرية ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، وبشكل فاتر جداً ،

لأنه يجب أن تصون هذه الأشياء الثلاثة — : الطبيعة ، والقضـــاء والقدر ، والحرية — وجودها الخاص إلى نهاية العالم .

وفى هذه القطعة جميعها يظهر تأثير الكواكب مبالغا فيه ، ولكننا إذا نظرنا إلى دراسة الفلك ، كما كانت ، وكما استمرت حتى القرن السابع عشر ، فسنجد أن رسالة ابن ديصان معقولة جداً بالنسبة لعصره .

وبعد ذلك يقع الجزء الأساسى من المحاورة ، فيسأل عويدا : إذا استطعت أن ترينا أن ذلك الذى يخطىء بسبب القدر (أى النجوم) يخطىء مضطراً ، فيجب أن نعتقد إذاً أن الإنسان له إرادته الحرة ، وأنه بطبيعته موجه ناحية الخير ، ومبعد عن الشر ، ومن أجل هذا فانه من العدل أن يحاسب فى الآخرة . وقد دعا هذا السؤال ابن ديصان إلى أن يوضح أن الناس يطيعون قوانين بلادهم ولا يطيعون القدر ، وانتقل إلى بحث قوانين الصين والبراهمة والهند والفرس والرهاويين واليونان والجرمان والأمازونيين والكلدانيين والميديين ، ولا يسع الإنسان إلا أن يقول إن تلك القوانين التى يطيعها الناس ليست إلا شكلا للقدر .

* * *

ثم لنعرض ملخصا للقصيدة التى بقيت لنا من شعر ابن ديصان والتى تعرف باسم « أنشودة الروح» أو « ابن الملك » :

ابن الملك يقص عن نفسه : لما كنت غلاما ، كنت أعيش مترفا فى منزل والدى ، وأراد والدى أن أسافر من بلدى فى الشرق إلى مصر فحملونى بأنواع الهدايا والملابس المختلفة فضلا عن الذهب والفضة ، ولكنهم أخذوا منى الحلة الثمينة والمعطف الثمين . وقد عاهدتهم ألا أنسى إذا ذهبت إلى مصر لاستحضار اللؤلؤة من الحية السامة التى توجد فى البحر ، أن ألبس الحلة والمعطف عند عودتى لأرث — مع أخى — ملك أبى .

تركت بلاد الشرق متحملا متاعب الطريق صوب مصر ، فوصلت إليها وحدى وتوجهت إلى مكان الحية أنتظرها حتى تنام لأستولى على اللؤلؤة ، وكنت وحيداً غريبا ، ولكنى رأيت أحد مواطنى من النبلاء فصاحبته وحذرته من المصريين ، ثم لبست لباس أهل مصر حتى لا يداخلهم الشك فيما أريده من الاستيلاء على اللؤلؤة ؛ ولكنهم لاحظوا من أشياء كثيرة أنى غريب عنهم ، فنصبوا لى الشراك ، ولكنى أكلت من أكلهم ، ونسيت أصلى الشريف ؛ وقابلت ملكهم ، ونسيت اللؤلؤة التى جئت من أجلها . وما كدت آكل من طعامهم حتى ذهبت فى سبات عميق .

وقد شعر والدى بما أصابنى لجمع الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب المراتب . وقرروا أن ينقذونى من مصر ، وكتبوا إلى خطابا موقعا عليه من الجميع يطلبون إلى فيه أن أستيقظ ، وإن أتذكر أنى ابن ملك ، وأن أتذكر ما يلحقنى من العار فى العبودية ، وأن أذكر اللؤلؤة التى حضرت من أجلها ؛ وألا أنسى أن ألبس معطفى وحلتى حتى يكتب اسمى فى سجل الأبطال ، وأحكم البلاد مع أخى . وقد وصلتنى الرسالة فى شكل نسر ، فأيقظنى صوتها ، وعرفتها وقبلتها ، وتذكرت اللؤلؤة التى جئت مصر من أجلها ، فذهبت إلى الحية وسحرتها حتى نامت ، وسرقت اللؤلؤة . وتهيأت للسفر إلى منزل والدى ، وتوجهت نحو الشرق فوجدت الرسالة التى أيقظتنى أمامى فى طريقى ، وكما أيقظنى صوتها أضاء لى تقاطيع جسمها . وقد فرش طريقى بالمغرة (خيوط الذهب) على حرير الصين . وقادتنى بسرعة إلى بلادى . فأرسل إلىّ والدى الحلة والمعطف فلبستهما ، وكنت قد نسيت شكلهما ، وقابلت والدى مطأطىء الرأس فى حلة مرصعة مطرزة ، عليها صورة الملك ، شاعراً بأنى كبرت بأعمالى ، وصعدت إلى باب السلام ، باب التضرع .

(مدرسة ابن ديصان) : ومع أن ابن ديصان كان عالما فذاً ، ورئيسا

لمدرسة الرها فاننا لا نعرف إلا القليل عمن تخرجوا عليه ، وعن الأعمال التى خلفتها هذه المدرسة مثل كتاب أعمال توما ، وهو من الكتب غير القانونية .

(أعمال توما) : وصل إلينا من أعمال توما نصان : الأول سريانى ، والثانى يونانى ، أما أيهما هو الأصل فلم يعرف بعد على وجه التحقيق ، ولكن المرجح أن الأصل هو النص السريانى . أما فكرة أنه من نتاج مدرسة ابن ديصان فترجع إلى أنه من المتوقع جدا أن تقوم هذه المدرسة بتأليف أعمال رسول من كتب الأبوكريفا ، وإن كان هذا الرأى لا يقوم على أساس . ونحن يتبين فيه أثر أعمال مانى التى كان لها فى ذلك الوقت قصص مستقل مستمد من الرحلات والعجائب التى يفعلها الرسل . وربما كانت هذه الرحلة إلى القسم الشمالى الغربى من الهند ، وهى إما من طريق صبغ القصص البوذى بالصبغة المسيحية ، أو عن حقيقة متواترة عن رحلة توما الرسول إلى الهند . ويظهر فيها إشارة واضحة إلى أنشودة الروح : ابن الملك واللؤلؤة ، وأنشودة الزواج .

وقد حمل هذا الكتاب على ابن ديصان أو على مدرسته . وإذا كان لدينا فى أنشودة الزواج أثر غنوسطى مسيحى ، فاننا نجد فى أنشودة الروح أثراً وثنياً .

تلاميذ ابن ديصان

هرمونيوس — بعد وفاة ابن ديصان استمر ابنه هرمونيوس يقرض الشعر ، وكان قد تعلم فى بلاد اليونان — وبزّ أباه فى هذه الناحية ، وكان كل همه أن يثبت تعاليم أبيه فى أفئدة العامة . وكانت أناشيده وأناشيد أبيه من قبل موضع الإعجاب والتقليد . ومع أن افريم كان يبغضهما أشد البغض ، إلا أنه على الرغم من ذلك لم يستطع إنكار مواهبهما الشعرية . وليس لدينا شىء عن سيرته .

عويذا — كان رئيس الشمامسة فى كنيسة الرها أيام مجمع نيقية ، ثم فصل

وكون له جماعة . وقد أسند إليه تأليف عدد من الرؤى اعترف بها أتباعه إلى جانب العهدين القديم والجديد ، وهى رؤيا لإبراهيم ، ورؤيا ليوحنا ، وكتاب الأجانب .

والإشارة إلى هذه الكتب تدل على روح غنوسطية فلكية ترجع الى تعاليم ابن ديصان .

وقد ذكرت بعض المصادر أن عويدا كان يمثل مذهبا من المذاهب الغنوسطية . على حين يشير مصدر آخر الى أنه كان يقول فى تعاليمه بالنور والظلمة وتجسد الله .

ولم يصل الينا شىء من أعمال تلاميذه والراجح أن رجال الكنيسة قد أعدموا كل آثارهم .

كتاب السريان

فى القرنين الثالث والرابع

لم يصل إلينا عن القرن الثالث آثار أدبية تذكر ، فقد تحولت ، الجهودللدفاع عن الاضطهادات التى كان يتعرض لها المبشرون بالمسيحية فى كل من المملكتين الرومانية والفارسية .

فلما كان القرن الرابع شعر السريان بحاجتهم الشديدة إلى الكتابات الأدبية، وكان السبق فى هذه المرة أيضا للقسم الشرقى من البلادالتى تتكلم السريانية ،فعملوا على تسجيل سير شهداء مدينة الرها ، فظهرت مجموعتان : ترجع الأولى إلى عصر تراجان عن استشهاد كاهن الأوثان شربيل والأسقف برسميا ، الذى كان معاصراً للبابا فلافيانوس (٢٣٦ — ٢٥٠) . وترجع الثانية إلى عصر دقلديانوس ، وتشتمل على سير جوريا وشيمونا والشماس حبيب . والمجموعتان من كتابة تيوفيلوس عن بعض شهود العيان الذين حضروا استشهاد هؤلاء الرجال.

أسوانا

ومن كتاب القرن الرابع أسوانا : عاش راهبا فى الرها ، والظاهر أن شعره كان محببا الى قلوب العامة لأن الناس كانت تنشده حتى أوائل القرن السادس

وله مرثيتان لاتزال الكنائس السريانية تترنم بها فى جناز الموتى . وكان معروفا فى ذلك الوقت أنه مات من جراء سقوطه من فوق الجبل عندما أراد ركوب المركبة التى تعرج به إلى السماء ، وكان به مس جعله يفكر فى تقليد أليشع . ويقال إنه كان أستاذاً لافريم . وينسب اليه شعر ذو مقاطع ستة فيه كثير من الحوار ويبدأ كله بالألف .

فافا بن عجى

كان أسقفا على سلوقيا والمدائن ، وهو أول من لقب بالجاثليق ، عمل فى الثلث الاول من القرن الرابع على توحيد صفوف المسيحيين المقيمين فى الدولة الساسانية وجعلهم تابعين لكرسى عاصمته السياسية ، ولكنه لقى معارضة شديدة من كثير من الاساقفة الذين حاولوا فى مجمع مقدس خلعه . فرأى من جانبه — فى ذلك الوقت العصيب — أن يستعين بعدد من أساقفة الكنيسة الغربية ، الذين يعملون فى الاقاليم الشرقية المتطرفة لمملكة الروم على حدود الدولة الساسانية ، فكتب اليهم يطلب منهم الاعتراف برياسته على جميع المسيحيين فى المملكة الفارسية . وكان من بين الاساقفة الذين وقفوا يعارضونه ويناصرون أندريا أسقف دير مارى ، الاساقفة داود البصرى الذى تنازل عن كرسيه ليذهب الى الهند للتبشير ، وعبد يشوع الكشكرى ، وابراهام التسترى . وجَدْيَبْ أسقف بيت لفط ، ويوحنا أسقف ميشن ، ورئيس الشمامسة سمعان بن الصباغين ، وقد استشهدوا جميعا فى عصر اضطهاد الساسانيين للمسيحية الذى قام به شابور الثانى فيما بين سنتى ٣٣٩ و ٣٤١

سمعان بن الصباغين

سمى بابن الصباغين لان أهله كانوا يصبغون ثياب الملك ، كان رئيس شمامسة فافا الجاثليق ، ثم عين أسقفا على سلوقيا والمدائن والسوسر . وقد استشهد فى

١٧ ابريل سنة ٣٤١ أو ١٣ ابريل سنة ٣٤٤ فى رواية أخرى لأنه لم يقبل الرجوع عن المسيحية إلى المجوسية .

ويقول عبد يشوع أسقف نصيبين فى فهرسه أن سمعان كتب عدة رسائل ، ولكن يظهر أنها ضاعت ، وينسب إليه كذلك عدة أناشيد ، ومؤلف تحت عنوان « كتاب الآباء » أهداه إلى تلميذه « أجور » .

شاهد وست الجاثليق

كانت العادة أن يتخذ الجثالقة لهم أسماء مسيحية عند رسمهم فى وظائفهم الدينية ، ولكن يلاحظ أن هذا الجاثليق قد احتفظ باسمه الفارسى « شاهد وست » ومعناه صديق الملك . كان رئيس شمامسة ابن الصباغين الجاثليق ، فلما قتل ابن الصباغين بقيت البيعة فترة بغير رئيس ، فاجتمع الآباء سرا وانتخبوا « شاهد وست » خلفا له ، ولكن أمره ظهر فقبض عليه الفرس مع مائة وثمانية وعشرين أسقفا وقسا وشماسا وراهبا وحبسوهم خمسة أشهر لاقوا خلالها أصناف العذاب . فلما لم يرجعوا عن دينهم قتل مرزبان المدائن منهم مائة وعشرون نفسا وأنفذ إلى شابور بـ « شاهد وست » ومن بقى معه . فلاطفه شابور فى الخطاب ليدخل فى المجوسية ، فلما لم يقبل قتل هو وأصحابه فى اليوم العشرين من فبراير سنة ٣٤٢ .

أفرهاط

عرف بالحكيم الفارسى ، وهو لقب خلعه عليه السريان من أصحاب الطبيعة الواحدة ، وبه اشتهر فى الأوساط العلمية ، ويعرف أيضا باسم « فرهاذ » ، وقد اتخذ له اسم « يعقوب » عند ما رسم أسقفا ، وهو فارسى اعتنق المسيحية وخصص حياته لخدمة دينه الجديد ، ونعرف من كتاباته أنه نشأ فى محيط الرهبنة ، وأنه

كان أسقفا ، وأن مقر أسقفيته كان فى دير مارمتى بالقرب من الموصل . وكان معاصرا لافريم الكاتب وقد مثل مدينته نصيبين فى مؤتمر نيقية ، وعاش حتى شهد نشوب الحرب بين الرومان والفرس . ويقال إنه أنقذ مدينة نصيبين من الفرس بصلاته .

ويعد أفرهاط أول علم من كتاب النثر فى العصر المسيحى ، وقد بقى لنا من تآليفه كتاب فى المواعظ يشتمل على ٢٢ رسالة تبتدى كل واحدة منها بحرف من حروف الأبجديه السريانية ، وقد رتبت هذه الرسائل وفق ترتيب الأبجدية ، وساعد ترتيبه فى هذا النحو على احتفاظ الكتاب بوحدته ونظامه . وقد تناول فى هذه الرسائل . القول عن الإيمان ، والصدقة ؛ والصوم ؛ والصلاة ؛ ومجاهدة النفس ، وشريعة الرهبان ؛ والتوبة ، وقيامه الأموات ، والتواضع ، وشريعة الأساقفة ، والختان ، وتحقيق عيد الفصح ، والسبت ، والاسترحام — وهى رسالة جمعية كتبها المؤلف فى وقت كانت الكنيسة الفارسية فيه فى موقف عصيب وكلف بإرسالها إلى مجمع سلوقيا . وتتضمن معارضة الأساقفة لقافا — واختلاف الطعام ، وأن المسيح ابن الله ،والرد على اليهود ، والعذراء ، وحساب خلق العالم ونهايته ، وإطعام المساكين ، والاضطهاد ؛ والموت والآخرة . وقد أضاف المؤلف فى نهاية كتابه فصلا سماه بالسريانية (ط و ط ى ث ا) ومعناها آخر عنقود يبقى فى الكرم ، أوضح فيه الصورة التى جاءت فى العهد القديم فى أشعيا ٦٥ : ٨

وقد إنتهى من كتابة الرسائل العشرة الأولى من كتابه سنة ٣٣٧ وانتهى من الكتاب كله سنة ٣٤٤ أيام الاضطهاد الذى صبه شابور الثانى على المسيحيين . والظاهر أنه ألف هذا الكتاب ردا على خطاب أرسله إليه شخص اسمه «جريجوريوس» سأله فيه عن بعض المسائل الدينية . وقد أكد المؤلفون القدماء صحة نسبة هذا

الكتاب إلى أفرهاط : فقد ذكر جريس أسقف القبائل العربية فى خطاب إلى صديق له سنة ٧١٤ أنه علم أن مؤلف هذه المواعظ حكيم فارسى ، ولكن لم يدر بخلده أنه أفرهاط . وكان الكتاب المتأخرون أدق بيانا : فابن العبرى يعرف أن المؤلف هو فرهاذ . ويذكر عبديشوع النصيبينى الصيغة القديمة للاسم أفرهاط ، وكذلك أورده إلياس النصيبينى مؤرخ القرن الحادى عشر فى تاريخه .

وتعد هذه الرسائل صورة للعقائد المسيحية والنظام الكنسى فى الدولة الساسانية فى عصره ، كما توضح لنا اختلاف الآراء فى علم ما وراء الطبيعة فى أوائل القرن الرابع الميلادى . أما أسلوبها فلم يكن على درجة كبيرة من البلاغة إذ كثرت فيها الجمل الاعتراضية التى تتضمن استشهادات من الكتاب المقدس ، وجملها طويلة متعبة والفكرة فيها غير واضحة فى بعض الأحيان . ولهذا الكتاب أهمية كبرى فمواعظه هى أقدم ما عرفناه من هذا النوع فى الأدب السريانى ، ولغته ليست متأثرة باليونانية — التى أخذ يتزايد تأثر السريانية بها فى القرون التالية — وهو الى جانب ذلك مصدر يعتمد عليه فى دراسة اللغة والتفكير فى الكنيسة السريانيه القديمة .

وقد نسب « جناديوس » كل آثار أفرهاط الأدبية خطأ إلى يعقوب النصيبينى المتوفى سنة ٤٣٨ . ولهذا ظهرت الرسائل التسع عشرة باسم يعقوب النصيبينى فى ترجمة أرمنية .

افريم

كان يطلق عليه عادة اسم افريم السريانى ، وبنى السريان ، والملفان أى المعلم ، وقيثارة الروح القدس أو كنارة الروح القدس أو صناجة الروح القدس . وهو أكثر آباء الكنيسة السريانية ذيوع صيت، وكان بحق أحد مشاهير كتاب السريان فى النظم والنثر ، ولقى من إقبال القراء ما لم يظفر به كاتب غيره .

أما عن سيرته فإن المصادر التى بين أيدينا لا تروى غلة فى كثير من الأحيان، وكل ما نستطيع استخلاصه عن سيرة هذا الكاتب الفذ الذى غذى الأدب السريانى بكتاباته ، أنه ولد فى نصيبين فى السنوات الأولى من حكم القيصر قسطنطين الأكبر سنة ٣٠٦ م على الأرجح . وكان أبوه كاهن صنم يسمى أبنيل أو أبيزل فيما تقول بعض الروايات ، وكانت أمه مسيحية ، وقد جاء فى مصادر أخرى أنه ولد من أبوين مسيحيين ، وأنه تتلمذ على يعقوب أسقف نصيبين . وتقول بعض المصادر إن أباه لما رأى اتصال ابنه بالمسيحيين طرده فمضى إلى الكنيسة واعتمد فى سن الثامنة عشرة أو الثامنة والعشرين ، والأرجح أنه عمد فى الثامنة والعشرين ، وانتظم بعد ذلك فى سلك الرهبنة ولكنا لا نعرف متى كان ذلك على التحديد . ولا نظن أنه رافق الأسقف يعقوب عند سفره إلى مجمع نقية سنة ٣٢٥ . وقد طعمت سيرته بالشىء الكثير من الأساطير ، منها أنه أنقذ مدينته نصيبين بصلاته من الحصار الذى ضربه الفرس عليها سنة ٣٣٨ .

وفى أيامه حارب القيصر يوليانوس أهل فارس فغلبهم على أمرهم ، ولكنه أصيب بجرح قضى عليه أثناء عودته إلى بلاده فمات سنة ٣٦٣ . ثم عاد الفرس فوقعوا على الرومان وألزموا يوفيان خليفة يوليانوس بالصلح على أن تكون لهم نصيبين وما جاورها فهاجر إفريم من نصيبين إلى المنطقة الرومانية ونزل فى مدينة بيت جرمى ، ثم انتقل منها إلى آمد (ديار بكر) فأقام فيها بعض الوقت عند خؤولته ولكنه لم تطل إقامته بها فنزح عنها ، وأخيراً استقر به المقام فى الرها منذ سنة ٣٦٥ وعمل أستاذاً فى مدرستها التى عرفت فيما بعد باسم مدرسة الفرس، وتقول بعض المصادر إنه هو الذى أنشأها وإنه كان ينفق عليها هو ومن خرج معه من الجماعة من نصيبين .

وتقول بعض المصادر إن إفريم غادر الرها إلى مصر ، وقضى فى أديرتها

ثمانى سنوات ظل طوالها يناصب الأريوسية العداء . وقد نشأت عند رهبان دير السريان بوادى النطرون فى مصر قصة يروونها عن شجرة لاتزال قائمة هناك إلى اليوم ، يقولون ان أصلها عصا كانت فى يد القديس إفريم. وقد بنيت هذه القصة على أساس فكرة أن القديس إفريم جاء إلى مصر وأقام فى أديرتها، ولكن ذلك لم يثبت تاريخيا .

وتقول نفس المصادر السابقة إن باسيليوس (المتوفى سنة ٣٧٩) عندما أصبح أسقف قيسارية ، وجه بقوم من حكماء أصحابه وسألهم أن يحتالوا فى إحضار القديس افريم ليجعله أسقفا على بعض كوره . وقال لهم ان ظفرتم برجل قصير القامة ، كبير الهامة ، أصلع ، صغير اللحية ، لباسه خرق مرقعة من خلقان ملفقة، فاحتالوا لإحضاره وإياكم أن يفوتكم ويحتال عليكم ولكنهم مع ذلك لم يفلحوا فى إحضاره. ويقال انه لما طالت اقامته بمصر عاوده الحنين الى الرها فمر فى طريق عودته بقيسارية ، ولقى باسيليوس أسقفها ، ثم استأنف السير إلى الرها حيث مات ودفن بها فى التاسع من شهر يونيو سنة ٣٧٣ م. بعد أن اشتهر اسمه فى جميع العالم المسيحى .

وقد قدر العالم المسيحى فضل هذا الكاتب بعد وفاته فزادت عنايته بآثاره حتى أصبح لبعض كتاباته مركز خاص فى الطقوس والصلوات فلا يخلو كتاب من كتب الصلوات أو كتاب الأجبية (وهى الصلوات السبع الليلية والنهارية عند القبط) من صلوات أو طلبات أو توسلات مما أثر عن القديس افريم . وموجود بعضها ضمن مجموعة المخطوطات العربية بدير سيناء .

وتقول المصادر ان افريم بدأ يقرض الشعر فى نصيبين فى سن مبكرة ، والراجح أن الذى دفعه إلى قرض الشعر قراءته لشعر ابن ديصان وابنه هرمونيوس الذى كان شائعاً فى ذلك العصر . ولشعره فى نصيبين قيمة تاريخية فهو يدلنا على مقدار ما عانته المدينة من آلام أيام حروب الفرس ، كما نعرف منه الكثير

من أعمال الأساقفة يعقوب، وبابو، وولجش، وابرهام. وكذلك نقف منه على مصير الجماعة المسيحية فى نصيبين وما جاورها. وقد بدأ عدد القصائد التى كتبها فى نصيبين احدى وعشرين قصيدة، زادها فى الرها إلى ست وخمسين ثم زادها حتى بلغت سبعا وسبعين كانت كلها عن نصيبين، وأطلق عليها جميعا اسم «نصيبينيات» وهى تتناول موضوعات مختلفة منها قصائد عن تاريخ نصيبين فى عصره: فالقصائد الثلاث الأولى نظمت بعد حصار الفرس لنصيبين لثالث مرة منذ وفاة القيصر قسطنطين الأكبر سنة ٣٥٠. والقصائد من ٤ الى ٧ ومن ٩ الى ١٢ نظمها تحت تأثير نكبات الحرب فى ربيع سنة ٣٥٩. والقصائد من ١٣ الى ٢١ فى مدح أساقفة نصيبين الأربعة وهم يعقوب، وبابو، وولجش، وإبراهام فى السنوات ٣٥٩ حتى ٣٦٣. وهناك مجموعتان أخريان لتاريخ عصره منها للقصائد من ٢٥ الى ٣٠ نظمت حوالى سنة ٣٧٠ والقصائد من ٣١ الى ٣٤ نظمت بعد هجرته الى الرها مباشرة وفيها ذكر محاربة الأسقف فيتوس الحرانى للوثنية فى الرها. وإلى هنا تنتهى المجموعة الأولى من نصيبينيات افريم.

أما المجموعة الثانية فكانت ذات مركز ممتاز من الناحية الشكلية لأنها أخذت طريقها الى الرها واعتبرت من النتاج الشعرى الرائع لإفريم وسميت فيما بعد باسم «سوغيثا» ومنها القصائد من ٥٢ الى ٦٨ وهى محاورة بين الموت والشيطان، والقصائد من ٣٥ الى ٤٢ عن بدء آلام المسيح.

أما القصائد من ٤٣ إلى ٥١ ومن ٦٦ حتى ٧٧ فتشتمل فى الأكثر على جدل ضد ابن ديصان ومانى ومرقيون ثم قصائد عن قيامة الأموات وأزمة الموت.

وكانت كتاباته فى الرها كثيرة جدا. ويعد ما تركه افريم من الكتابات بوجه عام بما لا يقل عن ثلاثة ملايين من الأسطر.

وتنقسم آثار افريم الأدبية إلى قسمين: كتابات منثورة — إذ المعروف أن

افريم قد استعمل النثر فى شرح الكتاب المقدس ، وفى الجدل الدينى ، وفى مقالاته ورسائلة - وكتابات منظومة : وهى القسم الأكبر من آثاره الأدبية وأهمها نوعان :

الأول « المدراش » : وهو المنظومة التى تنشد . ومنه خرج السوغيث وكان له فيه أثر ظاهر .

والثانى « الميمر » : وهو المنظومة التى تقرأ ولا تنشد . وكتاباته المنظومة نموذج حاول المؤلفون الذين جاءوا بعده أن يحاكوه فيها .

أما قصصه الشعرية فكانت طويلة معها شىء من الملل لما فيها من شرح للحياة والتعاليم الكنسية . وقد خلت تآليفه تقريبا من الإشارة إلى المعتقدات الخرافية التى كانت شائعة فى عصره ، وإن كنا نلحظ قليلا منها بين السطور فى صلاته التى وضعها تضرعاً لنزول المطر .

وكل الكتابات التى وصلت إلينا عنه شخصيا صحيحة النسبة إليه ، كما أننا نستطيع أن نحكم بأن الكتابات التى يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام هى من وضعه أيضا ، وكذلك النصوص التى ذكرها الكتّاب الأقدمون مثل فيلوكسينوس المنبجى فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس . وكذلك تبين لنا الفقرات التى استشهد بها من الإنجيل ناحية من كتاباته الصحيحة ، فإن افريم - فيما يظهر - كان لا يستعمل إلا الدياطسرون . وكذلك نستطيع أن نحكم بأن الكتابات التى تتناول حوادث وقعت بعد وفاته بمدد تصل أحيانا إلى أكثر من عشرين سنة لا يمكن أن تصح نسبتها إليه .

أما افريم الناثر فله شروح على عدد من أسفار الكتاب المقدس والدياطسرون ، لم تصلنا عنه مباشرة بل على أيد متأخرة . وقد وصل إلينا منه فى لغته السريانية الأصلية شرح لسفر التكوين وجزء كبير من سفر الخروج محفوظ فى مخطوطة فى مكتبة الفاتيكان ، ومختصر لشرحه للعهد القديم صنفه سويرس الراهب الرهاوى

سنة ٨٦١م . وقد بقي لنا منه مخطوطان أحدهما فى مكتبة الفاتيكان ، والثانى بالمتحف البريطانى . وكذلك وصلت إلينا ترجمة أرمينية لشرحه على الدياطسرون. وفى عهده اعترفت الكنيسة السريانية برسائل بولس الرسول على أنها من كتابات العهد الجديد . ولهذا شرح افريم هذه الرسائل مع الاناجيل . كما بقى لنا من آثاره كتابات كثيرة عن محاربته لتعاليم مانى ومرقيون وابن ديصان بعنوان « الرد على المارقين ، إلى هيباتيوس » وكتابات أخرى مثلها « الى دومنوس » والكتب الخمسة الأولى يبتدىء كل واحد منها بحرف من حروف إسمه (اف ر ى م) وكذلك بقى لنا منه — فيما يقول فيلوكسينوس — ميمر نثرى عنوانه « عن سيدنا » بجد فيه الألوهية وأعمال الخلاص على يد المسيح . وكذلك بقيت لنا خمس مقطوعات « عن الرحيم العلى » وسـيرة لابراهام قيلوناايا تظهر فيها بوضوح قوة إفريم الادبية .

وقد بقى لنا من رسائله رسالة إلى رهبان جبال الرها ، وجزء من رسالة كتبت إلى بوپيليوس .

وقد عُزى إلى إفريم كثير من النثر . منه توربعامات ، أى شروح على موضوعات من سفرى التكوين والخروج . وعن ابتداء الصوم وحلول الروح القدس ، ولكنها فى الواقع ليست سريانية الأصل بل يونانية كما يتضح ذلك من دراسة النص . ومنه شروح عن التوبة ترجع غالبا إلى العصر الإسلامى . وشروح عن بعض كتب العهد القديم معروفة عند اليعاقبة وترجع إلى القرن التاسع. وشرح على أسفار موسى الخمسة باللغة العربية ، يمكن بسهولة معرفة أنه ليس من تآليفه إذا وازناه بشروحه على سفرى التكوين والخروج: ومقتطفات من كتاب من كتب الرهبنة « كتاب الاحكام » وهو أحاديث بينه وبين تلميذ له لا تتفق فى معانيها مع ماوصل إلينا من كتاباته فى الرهبنة فى ترجمتها اليونانية . وسيرة الرسل الاثنى عشر وهى موجودة عند اليعاقبة والنساطرة .

وشخصية إفريم الشاعر أشهر وأقوى بكثير من شخصية افريم الناثر، وكتاباته المنظومة أكثر جداً من كتاباته النثرية ، وقد أخضع لفنه جميع الأوزان السريانية التى كانت معروفة فى عصره ، فنظم على المقاطع الخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة بينما نظم الشعراء المتأخرون قصائدهم على وزن أو اثنين. كذلك يظهر لنا فنه فى استعمال الأقسام الشعرية إلى حد لم يصل إليه أحد من السريان فقد فرق افريم بين نوعين من الشعر : المدراش والميمر .

أما المدراش فمعناه الأول جدل فى ثوب شعرى ثم استعمل للشعر الذى ينشد بوجه عام . ويتكون المدراش من عدة أبيات تتساوى فى عدد مقاطعها أحيانا ، وتختلف فى عدد المقاطع فى أحيان أخرى ، هذه الأبيات يرتلها فرد ، وترد عليه فرقة (كورس) بعد كل بيت بردود العونيثا عونايا ، وكل بيت من أبيات المدراش قائم بنفسه وليس من الضرورى أن تكون له صلة بالبيت السابق أو اللاحق ، وللمداريش أوزان وأنغام شتى ، ويعد إفريم من خيرة ناظمى المداريش ، وقد حذا فيها حذو داود فى مزاميره فنظم أبياتها تارة على ترتيب الحروف الأبجدية وطوراً على ترتيب حروف اسم يسوع أو حروف اسمه (ا ف ر ى م) أو « إفريمون » مصغراً . ويقولون إن إفريم كان يتولى بنفسه تعليم المرتلين (الفرقة) طريقة غناء شعره بالنغم الصحيح .

وقد نظم افريم نوعا آخر من القصائد سماه « السوغيثا » وزنها بسيط ، وتصلح فى صياغة المآسى للمسرح الدينى ؛ وهو يبدأ عادة بمقدمة مكونة من فقرة أو أكثر يدخل الشاعر بعدها إلى لب الموضوع فى أبيات يلقيها فرد ، وقد تكون حواراً بين اثنين ، وترد الفرقة بالإنشاد على طريقة البصلودية بالتبادل بين نصفى الفرقة ، والفقرات الأساسية ينشدها اثنان من المجموعة يتقدمان للإنشاد .

ويشتمل الجزء الأكبر من مخطوطات افريم التي كتبت قبل الإسلام على مداريش، وعلى رأسها مجموعتان في الجدل مكونتان من ٥٦ مدراشا. وفيها جداله مع ابن ديصان ومرقيون وماني، وعنوانها «الرد على المارقين»، ومعارضات ضد الأريوسية، وسبعة مداريش عن «اللؤلؤة» أي عن المسيح وسر خلق الإنسان وخمسة مداريش في الرد على يوليانوس امبراطور الروم الذي ارتد عن المسيحية إلى الوثنية، ومداريش جدلية أخرى كتبها في نصيبين في النصف الأخير من سنة ٣٦٣ بعد وفاة القيصر يوليانوس. ومنها مدراش عن الفردوس فيه كثير من الخيال ويتألف من ١٥ أنشودة.

وهناك بعض مداريش لم تصل إلينا كاملة: عن عيد ميلاد المسيح، والصوم وعيد الفطير والصلب وشهر نيسان بمناسبة عيد الفصح، والتائب، وكلها مداريش دينية تستعمل لإحياء أعياد الكنيسة. ومدراشان لإحياء ذكرى رجلين من رجال الكنيسة: الأول عن ابراهام قيذونايا ويشتمل على ١٥ أنشودة، والثاني عن يوليان سبا ويشتمل على ٢٤ أنشودة. ومدراش عن الإخوان المكابيين ومداريش عن موضوعات دينية مثل التبتل وسر سيدنا، والكنيسة، وقد بقى لنا المدراش الأخير في مخطوطين يرجعان إلى القرن السادس.

وقد اقتطفت الكنيسة السريانية من مداريشه أبياتا ألفت منها المداريش التي ترتل في صلاة الليل أيام الآحد والأعياد والصوم إلى غير ذلك، وإليك ترجمة أحد هذه المداريش عن عيد القيامة:

جد علينا أيها الرب المبارك بقليل من فيضك.
في هذا الشهر الذي أغنت هباته جميع البرايا.
لقد انبسطت آلاؤك عليهم قاطبة.
فازدانت الجبال بأعشابها، والحقول بزروعها.

وزخر البحر بأصدافه ، والبر بحيوانه .
وازدانت السماء بنيريها ، والبسيطة بزهورها .
فنيسان زينة الأرض وعيده جمال البيعة المقدسة .

* * *

هذا هو شهر نيسان الذى يمنح الشبع .
ينتهى بالصائمين إلى حيث الأشياء الشهية .
ويلتقى نير الصيام عن رقاب المجاهدين الساهرين .
ويقود الناس والحيوان إلى النجعة .
لحذار إخوانى أن تحاكى الحيوان حين نأكل
فنجعل من الفطر سبيلا إلى الشره ، فقد صمنا للحق فلنفطر مغتبطين .

* * *

إن نيسان يحيك للأرض لباسا موشى بشتى الألوان
فتظهر الخليقة متشحة بحلة من الزهور ، وطيلسان من الورود
إن أم آدم (أى الأرض) ترفل فى عيد نيسان وعليها ثوب لم تنسجه الأيدى
وهى تبتهج لأن مولاها قد هبط إليها فيه . وفيه رفع ابنها .
فالأرض فى حفلين : حفل سيدها وحفل ابنها .

* * *

وفى نيسان لهبط الرب من عل ، فتلقفته مريم
وفى نيسان قام الرب ، وصعد وأبصرته مريم
وأحست به مريم عند نزوله ، وقد أبصرته فى قيامته
إن اسم مريم مقرون بالصعود والنزول

فهنيئا لك نيسان فقد شهدت حمل الرب وموته وقيامته .

* * *

وفى نيسان انتعش الصليب ومنحنا جميعا ثمرة الحياة
وفى نيسان شاع طير السلام يشدو لنا .
وفى نيسان عيد الفصح الذى فيه تهبط روح المجد .
فتحل فى المعمدين ، فيصبحون قيثارات ناطقة
تنشد أناشيد الحمد ، للحى الذى نزل وحل بين الأموات .

* * *

اللهم امنن علينا برحمتك بشهور بهجة وسنى ايناس .
فليأتنا نيسان بزهره يا رب بالسلام ، وإيار بزنبقه .
وحزيران بحزمه ، وتموز بحنطته وآب وايلول بالعناقيد فى سلالها .
وتشرين وسميه تشرين بالمعاصر ، وكانون وكانون بالراحة .
وشباط وآذار بالصوم . لك الحمد يا إلهى .

* * *

وينظر نيسان إلى تشرين حبيبه المطبوع على شاكلته .
فهذا مطلع العام فى ترتيب شهوره . ونيسان رأس شهورها وأعيادها .
لنيسان اللبن ، ولتشرين النبيذ ، لهذا الزهور ، ولذاك الفواكه .
لنيسان العطور الزكية ، ولتشرين الأطعمة اللذيذة .
وهما يشبهان الرب ، فإنهما بردا الجسم بطلهما من الحمى .
وترد مجموعة المرتلين على أبيات هذا المدراش بالرد التالى :
لك الحمد أيها المسيح فى بداية صيامنا ، والآن فى منتهاه .

وأما الميامر فهى شعر يقرأ ولا ينشد ، وقد يدخل فيها بعض فقرات تنشد ، وهى تعليمية أو قصصية للكتابات الآرامية الشرقية . ويمكن أن تكون هذه الميامر طويلة بحيث تبلغ آلاف الأبيات . وأبياتها متساوية المقاطع غالباً . وهى من ذات المقاطع السبعة ، وهى عادة ذات دعامتين تتكون الأولى من ثلاثة مقاطع . والثانية من أربعة . وهذا هو النوع الذى كتبت به مدرسة ابن ديصان ، وقد نظم به افريم واستعمله سلاحا ماضيا فى جدله ، وكتب به مراثية ، وعلم به سامعيه المسائل الدينية المختلفة ، وأستخدمه كذلك فى كتابة الطقوس الدينية ، ومنها ميامر فى الرد على ابن ديصان ، وميامر عن الكنيسة — حافظ على وحدتها أنها موضوعة على ترتيب حروف الأبجدية — وميامر عن الصلوات لحاجة الكنيسة ، ومنهـا صلاة الرجاء لسقوط الأمطار . وقد عرف منهـا فيلوكسينوس المنبجي فى أوائل القرن السادس الميلادى مجموعة لاتقل عن إحدى عشرة قصيدة وتستطيع أن ترى فى هذا الميمر الذى كتبه إفريم فى الرد على ابن ديصان — والذى نسجل لك ترجمته العربية هنا — رأى الكنيسة السريانية القائل بأن الله يحل فى جميع مخلوقاته ويلازمها وهو فى هذا الميمر يعارض رأى ابن ديصان فى القـدر :

واحد هو الأبدى الذى نعرفه ونراه
وهو كائن بذاته ، وبغير ذاته ، وتبارك اسمه .
أبدى إرادته بكل مكان
الظاهر الباطن ، المشرق الخفى ، وهو فوق وتحت .
وهو تحت مخلوط مع من تحت تفضلا منه
وهو سام ومرتفع ارتفاع مجده فى العلويين .
وهو قبل كل شىء ، وبعد كل شىء ، ومع كل شىء

يشبه البحر عندما تسبح فيه الأسماك .
فكما تلازم المياه الأسماك طيلة حياتها .
كذا يلازم الله جميع خلقة .
وكما تغطى المياه الأسماك دائما
كذا يضفى الخالق على كل ما أبدع كبيراً وصغيراً .
وكما أن الأسماك مغمورة بالمياه ، فان الله يغمر
المرتفع والمنخفض ، والبعيد والقريب ، وكل من عليها .
وكما تقاوم المياه السمك حيثما ذهب
هكذا الله مع من يسير .
وكما تصاحب المياه السمك فى كل روحاته
كذلك يصاحب الله كل امرء ويراه فى جميع أفعاله .
لا يكره الناس الأرض لأنها هى معبرهم
ولا ينأى المرء عن الصالح ، لأنه هو مرشده
وهو يربط كل الأشياء فى جميع النواحى
كما ترتبط النفس بالجسد والنور بالعيون .
لا يستطيع المرء أن يهرب من نفسه لأنها معه
ولا يستطيع المرء أن يهرب من الله لأنه ملازم له .
وكما تحيط المياه بالسمك وتلامسه
هكذا تتصل الطبائع كلها بالله .
هو مختلط بالهواء ، مع أنفاسك التى تدخل صدرك
ممزوج بالنور كاتصال الرؤية فى العيون .
إنه يختلط بروحك ، وهو فيك ، يسايرك حيثما ذهبت
يقيم فيك ، ولا يخفى عليه كل ما يدور فى خاطرك .

وكما أن العقل يسبق الجسد ويتعقبه
هكذا الله سابق لنفسك متعقب لها .
وكما أن الرأى متقدم على العمل
هكذا تتقدم فكرته فكرة من يفكر .
بعيد عن كل شىء ، مختلط بكل شىء ، ومشرق على كل شىء
الاسم العلى ، والعجب المستور الذى لا تعرف كنهه .
هكذا الأبدى الذى لا يجادل الناس فى كنهه
تلك القوة التى لا تنكشف عن غورها .
ليس فى المرئيات ، ولا فى المغيبات معارض له
ذلك الذى خلق الكل من العدم وأبدعه .

قال الله : فليكن نور . فكان
ولتكن ظلمة . فكانت .
لقد أورى الله النار من الحجارة وأنبع الماء من الصخر
هو واحد قوى أوجد هذا كله من العدم .
هذا هو الموجود الذى جوهره منه

بارادته تتلظى النار وبارادته تخمد
يحرق الخشب فى الغابة الكثيفة فتشتعل النار
فيهيج فيها اللهب ويأكل بعضها بعضا ، وأخيرا تخمد
خاسر حياته الذى يفتح فمه ليقول شيئا عن الله
كاره لنفسه الذى يوردها موارد الحتف وليس الله
إذا عرف المرء الكثير بعقل الدنيا فإنه يجرم كثيراً
وكذا إذا بهرته الوثنية بزخرف القول
يابن ديصان ، أيها السافك ، يامن عقله كاسمه

ولم يكن عند افريم ولا عند غيره من الكتاب القدماء قافية مقصودة ، ولم تظهر القافية الا فى وقت متأخر بعد فتح العرب لبلاد السريان ، نتيجة لتأثر أدباء بالشعر العربى المقفى . كذلك لم يعرف السريان الوزن الشعرى المعروف عند العرب واليونان .

ومن الملاحم التى صحت نسبتها اليه ملحمة عن موعظة يونان فى نينوى ، وموعظة التوبة وكان لها ثلاثة ميامر ، الأول : عن زلزال وقع سنة ٣٥٨ ، والثانى : كتبه سنة ٣٦٣ م عن ضم نصيبين الى الفرس ، والثالث : عن هدم نيقوميديا . وله ١١ ميمرا عن الحصارين الثالث والرابع لمدينة نصيبين .

وقد نسب إلى إفريم عدد كبير جداً من الأشعار ، وإنه ليصعب علينا أن نجزم بصحة كل ما نسب إليه مما وضعه إبان إقامته فى الرها ، وهل كلها من تأليفه ، أو أن بعضها من نظم بعض تلاميذه ثم نسبت إليه ، وليس من اليسير أن يظهر النقد كل المنحول من كتاباته . ولكن النقاد توصلوا إلى إثبات أن بعض القصائد لا يمكن أن تكون من شعر إفريم ولكنها حملت عليه ، كقصيدة فى غزوة التتار التى حدثت فى يوليو سنة ٣١٦ على حين أن إفريم مات فى يونيو سنة ٣٧٣ ، ويرجح نولدكه فى رسالة له عن سيرة الاسكندر أن هذه القصيدة ألفت بعد الفتح العربى ؛ وكذلك القصيدة التى فيها نفى برسيس أسقف الرها نتيجة لاضطهاد واليس للمسيحية فمعلوم أن برسيس قد نفى فى سبتمبر سنة ٣٧٣ أى بعد موت إفريم بثلاثة أشهر ؛ وغيرها من رثائه لباسيليوس أسقف قيصرية مع أن باسيليوس قد مات بعده .

هذه القصائد التى قام الدليل على أنها ليست لإفريم حفزت الباحثين إلى الشك فى بعض ما نسب إليه ، فقد شك الباحثون مثلا فى صحة نسبة قصيدة اشتهرت فى تاريخ الأدب السريانى عن سيرة يوسف الصديق ، وتعد هذه القصيدة من أبدع

ما خلفه الأدب السريانى وهى مقسمة إلى اثنتى عشرة أنشودة ، اشتملت على الكثير من قوة الشاعرية فى الشعر السريانى ، ولذلك فقد لقيت كثيراً من المعجبين بها والمقلدين لها ، ولكن المصادر لم تتفق على أن مؤلفها إفريم ، فقد نسب سليمان الباسورى هذه القصيدة إلى إفريم ، على حين تنسب هذه القصيدة نفسها إلى «بالى» فى مخطوطة ترجع إلى القرن السادس محفوظة فى المتحف البريطانى ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بصحة نسبتها إلى واحد منهما .

وقد اشتهرت كتابات إفريم فى جميع العالم المسيحى ، ولهذا نقلت بعض مؤلفاته فى حياته الى اليونانية ، ومنها ميامر شعرية من ذات المقاطع السبعة ومجموعة تبلغ ٤٩ ميمرا عن الرهبنة قرأها فوتيوس . وكانت معروفة عند الرهبان اليونان لحفزتهم الى الاهتمام بالسريان .

وقد ترجم الكثير من كتب افريم الى اليونانية والأرمنية فى عصور متقدمة ، كما نسج كثير من الكتاب على منوال كتابات افريم وحملوها اسمه ، منها ما يرجع الى القرن العاشر ، ومنها ما يرجع الى ما قبل ذلك . وهناك كثير من كتاباته تحمل اسم « يوحنا فم الذهب » و « مكاريوس » كما تحمل بعض كتابات « فم الذهب » اسم افريم ، وكانت هذه عادة الكتاب المتأخرين من القبط وغيرهم أن ينسبوا كتاباتهم الى قديسى العصور الأولى لتنال مؤلفاتهم قيمة وتقديراً .

* * *

والراجح أن التراجم القديمة قد دخل عليها كثير من الزيادة والنقص على مرّ السنين تبعا للتطورات التى تدخل على حياة الأقوام الذين يستعملونها . والترجمة الأرمنية لإفريم ترجع الى القرن الخامس ، وتراجمه فى هذه اللغة أحسن بكثير من تراجمه الى اللغة اليونانية . وقد نسبت اليه فى الأرمنية بعض مقطوعات ،

منها محاورة بينه وبين اسحاق عن تاريخ عيد الميلاد ، وكتابة عن تأسيس أول كنيسة فى القدس .

ونقلت الى القبطية بعض كتابات افريم منها ميمر ، نشره «جويدى» بالقبطية سنة ١٩٠٣ والظاهر أن هذه الكتابات ترجمت عن اليونانية . وكذلك نقلت بعض كتاباته الى اللغة السلافية ، وهى مترجمة بدورها عن اللغة اليونانية .

وهناك عدد من مؤلفات افريم منقولة الى اللغة العربية ، ففى سنة ٩٨٠ م ترجم الملكى ابراهام بن يوحنا الانطاكى حوالى خمسين مقالة من كتابات افريم عن الرهبنة .

وهناك بعض كتابات بالخط القرشونى عن العقائد السريانية اليعقوبية يبدو أنها ترجمت عن السريانية .

وكذلك ٥٢ ميمرا فى الوعظ ذكرها أبو البركات بن كبر فى قائمته ، منها نسخة فى مكتبة الفاتيكان تاريخها سنة ١٣٢٩ م . وفى مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت نسخة أخرى أقدم منها تاريخها سنة ١٢١٦ م . وفى آخرها مديح القديس « أغريغوريوس » أسقف نيصص للقديس إفريم ، وقد نشرت بمجلة المشرق . وله كذلك ٦٨ ميمرا أخرى فى احدى مخطوطات الفاتيكان تاريخها سنة ١٣٢٥ ، وله ميامر أخرى معربة فى مكتبة ديار بكر للكلدان ومكتبة دير البلمند للروم وفيها سيرته .

وفى مكتبة دير الشرفة للسريان الكاثوليك ١٦ ميمرا فى آلام المسيح ، وميامر متفرقة فى الدينونة ، وفى القديس الياس النبى . وهناك أيضا ترجمة عربية لتفسيره على سفر التكوين بالخط القرشونى فى مكتبة الموارنة بحلب . وكتاب مغارة الكنوز المنسوب اليه ، وهو عبارة عن قصة آدم وحواء بعد أن طردا من الجنة ،

وقد نشر بتسولد Bezold هذا الكتاب فى اللغتين السريانية والعربية مع وصفه النسخ التى وقف عليها . ويتناول هذا الكتاب أخبار آدم وذريته إلى عهد المسيح مع تفاصيل عن أحوال آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة ودخولهما فى مغارة تدعى مغارة الكنوز ، وموجود منه نسخ بالعربية .

وكذلك نقلت الى الحبشية القديمة بعض كتابات افريم عن طريق العربية ، وفى الغرب نقل الى اللاتينية كثير من كتاباته عن اليونانية ، ولا يمكننا غالبا أن نحكم من التراجم عن صحة نسبة أصلها السريانى الى افريم مادام الأصل السريانى غير موجود ، فقد يكون توسط بين هذه الترجمة وبين الأصل تراجم أخرى .

ويرجع الى افريم نظم الأناشيد السريانية بأوزانها المختلفة . وتعد مداريشه فى أول طبقة منها ، وتليها الابتهالات (التخشفات) فالبواعيث الى غير ذلك . وقد نظم مار يعقوب السروجى قصيدة عن النهضة التى قام بها افريم فى أناشيده قال : أن مار افريم كنارة الروح القدس ضارع موسى الكليم وأخته مريم بتلقينه العذارى والفتيات ولفيف المؤمنين أنغاما محكمة بث فيها تعاليم الكنيسة الحقة وأحرز بواسطتها اكليل الظفر والانتصار على أعدائها .

مدرسة إفريم

نشأت فى الرها مدرسة لإفريم امتدت إلى آخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، والظاهر أن إفريم على شهرته الواسعة وذيوع صيته ككاتب دينى لم يكن له تلاميذ جديرون بأن يخلفوه . وقد جاء ذكر هؤلاء التلاميذ فى عهد خلفه إفريم . ذكر فيه منهم أروَّط وباولونا مستحباً عليهما باللائمة لأنهما انحرفا إلى الهرطقة ، وترجع شهوة باولونا الأدبية إلى ما أثر عنه من المداريش والميامر فى الرد على الهراطقة ، والجدل مع مارقيون ، ورسالة عن المؤمنين . وأخرى عن العقدة ، ومنهم جماعة ذكرها إفريم بالمدح والثناء ، ومنهم سمعان الذى تنسب إليه سيرة إفريم ، وابراهام ، ومارا الأجيلى ، وأبا . ويذكر الكتاب المتأخرون أن له شرحا على الأناجيل أى الدياطسرون ، وموعظة عن أيوب ، وشرحاً للمزامير ومنظومة على المقاطع الخمسة بقى منها قطع قليلة .

ومنهم « زنوبيوس الجزيرتى » الذى كان شماساً فى كنيسة الرها ؛ وله عدد من الرسائل فى الرد على مرقيون وعلى شخص اسمه بامفيلوس ، وله عدد من الرسائل إلى « إيزودور » ولوكيلوس ، وابراهام ، وأيوب . ومنهم يعقوب وقد بقى لنا منه بعض شروح لكلام أستاذه إفريم .

وقد اشتملت سيرة إفريم على اسم تلميذ آخر من تلاميذه وهو اسحاق ، وقد

فهم خطأ أنه اسحاق الانطاكي ومن الكتاب . الذين ينتمون إلى إفريم فى نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، « أرا » الذى عارض السحرة ، وله كذلك كتاب اسمه « الجبارين » فى الرد على ابن ديصان ، وكذلك « بقور أو برقوسين » ويخلط الناس بينه وبين مؤسسة دير نسطورى فى أواخر القرن السادس اسمه « برقوسرا » . كتب مجلدين فى الرد على الفلك عند الكلدانيين ، وله كتاب على المارق « بارافرون » .

ومع تطور الحياة الأدبية فى القسم الرومانى لإقليم ما بين النهرين الذى تميز بظهور إفريم ، كانت المسيحية فى المملكة الساسانية قد عاقت عاصفة الاضطهاد التى بدأها « شابور الثانى » (٣٠٩ — ٣٧٩) ضد المسيحيين ، وكان بطلها فى ذلك الحين « يزدجرد الأول » (٣٩٩ — ٤٢٠) وكان من ضحاياها ماروثا الذى لعب دور الوسيط فى إقامة السلام الدينى ، وكذلك « آحى » الجاثليق ، وكان نشاطهما الأدبى يعد فاتحة عصر جديد فى الأدب تتمثل فيه حياة الكنيسة الداخلية ، وتسجيل أعمال المجامع التى أقيمت فى ذلك الحين لتسوية الخلافات الدينية ، وجمع سير الشهداء وتدوينها ، وترجع بداية هذا العصر إلى السنوات العشرة السابقة على عصر الاضطهاد ، واستمر النشاط الأدبى فى هذا الاتجاه فى السنوات الأخيرة لحكم « يزدجرد الأول » وأيام « بهرام الخامس » (٤٢٠ — ٤٣٨) و « يزدجرد الثانى » (٤٣٨ — ٤٥٧) وكان جريجوريس الراهب يمثل أدب الرهبة فى المملكة الساسانية .

ماروثا أسقف ميفارقاط

كان أسقفاً على مدينة ميافارقين — كما يسميها العرب — ويسميها السريان أيضا مدينة الشهداء ، ويطلق عليها اليونان اسم Martyropolis وتنحصر فترة نشاطه بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . وتوفى سنة ٤٢٠ م .

وكان أديباً مثقفاً ، وكان إلى جانب ذلك حجة ثقة فى علوم الطب . ظهر سنة ٣٩٥ فى القسطنطينية ليدفع القيصر « أركاديوس » إلى الاهتمام بحالة المسيحيين الذين كانوا فى المملكة الفارسية . فأرسله أركاديوس إلى يزدجرد الأول ، فنجح فى سفارته هذه بفضل نبوغه فى علم الطب . واستطاع أن يعقد سنة ٣٩٩ م مجمعا للكنيسة الفارسية فى سلوقيا رأسه الجاثليق اسحاق (٣٩٩ — ٤١٠) وفى سنة ٤١٠ م أرسله الامبراطور تيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠) سفيراً إلى المملكة الساسانية ليتوسط فى رفع الاضطهاد عن المسيحيين الذين يقيمون فى بلاد فارس فاستطاع أن يجدد العلاقات الكنسية وأن يعيد السلام إلى الكنيسة الفارسية . وتقول المصادر الشرقية إنه حضر مجمع القسطنطينية ، ولكن اسمه لم يرد فى جدول أسماء الآباء الذين حضروا هذا المجمع . وتقول نفس المصادر إنه مهد للجاثلق « يب الله » فى سنة ٤٢٠ أن يرأس مجمع طيسفون (المدائن أو مدائن كسرى وهى على الشاطىء الأيسر من نهر دجلة وأطلالها على بعد ٢٦ كيلو متراً جنوبى بغداد ويقابلها على الشاطىء الأيمن أطلال مدينة سلوقيا) .

أما كتاباته فأكبرها مجموعة عن أعمال الشهداء الذين اضطهدهم الفرس وتشتمل على بيانات عن الذين اضطهدوا فى سبيل العقيدة المسيحية أيام شابور الثانى ، ويزدجرد الأول وبهرام الخامس ، وأضاف إليه خطبتين عن الشهداء وتعذيبهم . ويذكر أن ما سجله هو من رواية شاهد عيان هو « أشعيا بن حدبو » من مدينة أرزان وهو أحد فرسان ملوك الفرس ، وتعطينا هذه المجموعة فكرة عن الحالة الاجتماعية فى بلاد الفرس ، وبعض المعلومات الجغرافية ، وبيانات عن نظام الإدارة فى المملكة الساسانية لم ترد فى مصادر أخرى . وقد بقى لنا أجزاء من هذا المؤلف فى بعض مخطوطات المتحف البريطانى ترجع إلى القرنين الخامس والسادس .

وله كذلك أناشيد وتراتيل شعرية عن الشهداء . وترجمة للقوانين التى صدرت

عن مجمع نيقية . أما رسالته إلى الجاثليق اسحاق عن مجمع نيقية فإنه لا يمكن أن تكون كلها صحيحة النسبة إليه لأنها تختلف كثيراً عن القوانين الصحيحة للمجمع . وهى تتعارض — من الناحية التاريخية — مع الحقيقة التى نعرفها عن علاقة « ماروثا » بالبلاط البيزنطى كما أنها تختلف فى ترتيبها عن النصين العربى والحبشى لهذه القوانين ، إذ عدد القوانين ٨٤ قانونا فى النص العربى بينما هى ٧٣ قانوناً فى النص السريانى ، فالقوانين الأولى فى النص العربى وعددها ٣٢ قانونا لا يقابلها شىء فى النص السريانى لأنها تتضمن نظام تسقيف الأساقفة ومسائل تتعلق بالقسس والرهبان من أتباع بولس السميساطى . وقد دخلت هذه القوانين فى الكنيسة الملكية بنصها العربى ولا نعرف الطريق الذى وطلت إليهم منه ولا التاريخ الذى تم فيه ذلك ، وقد أخذها الأقباط عن الملكية . وعلى أى حال فإن هناك أجزاء منها — كبعض الشروح اللغوية عن الاستعمالات اليونانية فى الكنيسة — لا يوجد ما يمنع من التسليم بأنه كتبها إلى الجاثليق اسحاق مع قراوات مجمع نيقية الأصلية .

* * *

أما الميمر الذى ينسب إليه ، وشرح الدياطسرون فإنها تنسب إلى « ماروثا » مفريان « تكريت » على الأرجح .

آحى الجاثليق

درس على « عبدا » مؤسس مدرسة دير عبدا . وبعد وفاة اسحاق سنة ٤١٠ وبقى مكانه شاغراً عاما كاملا ، ثم اختير آحى خلفا له ، وبقى فى كرسى الجثلقة أربع سنوات وسبعة أشهر ، وتوفى سنة ٤١٦ . وكان يزدجرد الأول يقدره قدره فارسله إلى أخيه لتسوية خلاف بينهما ، وقد زار فى رحلته هذه مقابر الذين استشهدوا فى الاضطهاد وجمع ما نقل من سيرهم ودونه فى كتاب ، وكتب إلى جانب ذلك سيرة معلمه عبدا .

سير شهداء الفرس

تعرضت الكنيسة المسيحية فى القرون الأولى لقيامها لكثير من الاضطهادات، وكان الرهبان ورجال الدين هم أكثر الناس تعرضا لها عقاباً لهم على ما قاموا به من أعمال فى سبيل نشر دينهم ، وكانت هذه الأعمال فى الأدب السريانى — كما كانت فى غيره من الآداب المسيحية — موضوعاً لعدد من الكتابات خلال فترة طويلة من الزمن . فى الشرق استشهد بريخ يشوع ويونان مع سبعة آخرين سنة ٣٢٨ م فكتب سيرهم شاهد عيان هو أشعيا بر حدبو الذى عرفناه من قبل ، وفى سنة ٣٤٠ م استشهد عدد من أساقفة الفرس فسجل سيرتهم الأسقفان ماروثا وآحى .

وفى العام الرابع للاضطهاد استشهد الأسقف نرسى من شهارقذ فى بيت جرمى . وشهداء مدينة بيت سلوك (كركوك الآن) . وما لقيته جماعة من منطقة جيلان من عسكر الفرس سنة ٣٥٠م . وقد ظهر فى الاضطهاد الذى وقع فى عصر يزدجرد الأول سيرة عبدا وأقرانه ، ونرسى من بيت رازيقايا وشهداء بيت جرمى . وفى السنوات الأولى لحكم بهرام الخامس استشهد ميهرشابور وفيروز والكاتب يعقوب . وقد دونت سير هؤلاء جميعاً وما لاقوه من تعذيب فى سبيل عقيدتهم .

أغريغوريوس الراهب

تذكر المصادر النسطورية المتأخرة أن أغريغوريوس كان من رهبان الطبقة الأولى للسريان الشرقيين وهو فارسى من نستير من أعمال مدينة سوسة . ويقال إنه ذهب إلى نصيبين على أثر رؤيا رآها ، وانتقل منها إلى الرها ليدرس فى مدرسة الفرس هناك ، ودخل دير طور عابدين فى جبال الأزل ، ثم أرسل إلى جزيرة قبرص ليرأس رهبانها السريان هناك . يقول صاحب تاريخ النساطرة : ولكنه

كان لا يحسن اليونانية لجعله الرهبان بستانيا وأقام على ذلك عامين تعلم خلالها اليونانية ، ثم صار رئيساً على الرهبان وبقى على ذلك حيناً . ثم ترك الجزيرة وهاجر إلى صومعة فى جبل الآزل وينسب إليه كتاب فى تدبير الرهبنة جعله ثلاثة أجزاء الأول مواعظ للأساقفة . والثانى فى الرؤيا التى رآها . وضمن الثالث رسائله وهى موجهة إلى صديقه تيودوروس وابيفانيوس ويظهر أن أبيفانيوس هو أسقف سلاميس فى جزيرة قبرص ، وله رسائل أخرى فى الرد على أسئلة مختلفة للرهبان وله مختارات فى الصلاة جمعت من كتاباته يظهر فيها أثر الاعتقاد بالشياطين .

* * *

إلى جانب الكتابات التى ظهرت فى الاقليم الشرقى وإقليم ما بين النهرين الفارسى ، ظهر فى السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع مسرح ثالث للكتابات السريانية من وضع السريان الذين كانوا تابعين للدولة الرومانية وكان يمتد إلى جميع مناطق الحدود التى كانت خاضعة للثقافة الهلينستية ، وكان منها كتابات رجال اللاهوت اليونان وجيرانهم من أهل فلسطين . مثل أوسابيوس القيصرى وتيطس البصرى وأوسابيوس الحمصى . وقد ترجمت أعمال هؤلاء فى عصر متقدم إلى اللغة السريانية . وينتهى كتاب القرن الرابع بشاعر ظهر فى سوريا الغربية وبقيت لنا بعض أعماله وهو قوريللونا وكانت كتاباته باللغة السريانية .

أوسابيوس القيصرى

بقى لنا من كتاباته ثلاثة كتب مترجمة ترجع إلى القرن الرابع ولكن أصلها معقود . الأول عن شهداء فلسطين والثانى موعظة للشهداء والثالث عن عدم سقوط المطر .

وقد عرفنا كتابه عن تاريخ الكنيسة من ترجمة أرمينية وهو موجود أيضا

باليونانية ، ونشر مع ترجمة انجليزية . ولما يصلنا شيء من كتابه عن سيرة قسطنطين ، أما خطابه إلى اسطفانوس وماريىنوس فقد عرفناه مما كتب عنه فى الـكتب الأخرى .

وقد أضيف إلى أوسابيوس كتاب عن النجوم ، وأشياء عن التقاويم وشرح لقاطيغورياس أرسطو . وقد وجدت له — إلى جانب كتابه عن شهداء فلسطين ترجمة لشهداء من الأريوسيين فى نيقوميديا .

الأسقف تيطس البصرى

توفى أيام القيصر واليس (٣٦٤ – ٣٧٨) ألف كتبه الأربعة ضد أتباع مانى بعد سنة ٣٦٣ م وترجمت إلى السريانية بعد كتابتها بعشر سنوات تقريباً . وقد بقيت لنا تحت إسمه مقطوعة من موعظة عن عيد الميلاد يظهر أنها مترجمة عن اليونانية .

الأسقف أوسابيوس الحمصى

ولد فى الرها ، وقد نصبه مجمع انطاكية الذى اجتمع عام ٣٤٠ م بطريركاً على الاسكندرية بدلا من اثناسيوس . كتب ميمراً عن الصوم بالسريانية وصلت إلينا منه مقطوعة ، ويظهر أن كثيرا من كتاباته قد ترجمت إلى السريانية ولـكنها ضاعت . وله ميمر عن الشهيد اسطفانوس ، وكثير من المواعظ .

قوريللونا

ويسمى أيضا كيريلينوس ، وهوشاعر لانعرف عن حياته شيئا ، وقد وصلتنا منه بعض قصائد ومقطوعات ومقدمة لمدراش ، وميمر على وزن المقاطع الأربعة عن هجوم الجراد ، وآخر عن غارة التتار التى وقعت فى يوليه سنة ٣٩٦م ، وقد

كتبت هذه القصيدة بعد الغارة بعام أى سنة ٣٩٧ إذ يقول فيها « لما تمر سنة بعد منذ خرب التتار سوريا » وله ميمر عن العشاء الرباني وصلب المسيح ، وسوغيثا عن عيد الفصح وقصيدة عن عيد الميلاد ، وتنسب إليه مقطوعة عن زكى العشار ، وميمر عن القمح على وزن المقاطع السبعة ، ولكن عبارتهما تدل على أنهما ليسا لشاعر ممتاز ، وهما فيما يظهر لشاعر آخرظهر فىالنصف الأول منالقرنالخامس يسمى « قورى » .

وقد خلط بيكل بين قوريللونا وعبسميا الذى كان قسيسا فى الرها ، وهو ابن أخت إفريم وتلميذ زنوبيوس ، وزعم أنهما شخص واحد ، وحجته فى ذلك أنه يروى أن كليهما قال شعراً عن غارة التتار وأن كليهما كتب مداريش وميامر على وزن المقاطع السبعة وهى حجة واهية . وقد ورد فى تاريخ الرها أن عبسميا نظم أشـعاراً عن غارة التتار سنة ٤٠٤ م وتكلم عنه ديونسيوس التلمحرى فى سنة ٣٩٧ . ولا نستطيع أن نعتمد على ما ذكره ابن العبرى فى تاريخ الكنيسة ، إذ أنه بعد أن تحدث عن وفاة « يوحنا فم الذهب » سنة ٤٠٧ ذكر أن تيودور المفزوستى مات حوالى ذلك الوقت سنة ٤٢٩ وقال إن عبسميا كان مشهوراً فى ذلك الحين ، وأنه وضع كثيراً من القصائد عن غارة التتار على وزن القديس إفريم ذى المقاطع السبعة ، ولما كان ازدهار سميا يرجع إلى حوالى سنة ٢٩٦ أو سنة ٤٠٣ فقد قيل تبعا لذلك إنه كان حاضراً مجمع نيقيا كما قال ابن عبد السلام . ولكن يظهر أن ابن العبرى أخطأ عند ذكر عدد المقاطع التى نظم بها قوريللونا .

وإليك مقطوعة من إحدى قصائد قوريللونا عن غارة التتار :

إن الشمال يائس ينوء تحت أثقال الحروب .. فإن أهملت يارب فسيهلكونى ثانية . فإذا غزانى التتـار يا رب ، فلم احتمى مع الشهداء ؟ فإذا كانت

سيوفهم ستهلكنى ، فلماذا أمسك صليبك العظيم ؟ وإن أنت سلمت مدنى إليهم ، فأين عظمة كنيستك المقدسة ؟ لما ينقض عام منذ وقعوا علينا ، وأهلكونا وأخذوا أطفالى فى الأسر ؛ وهم واحسرتاه يهددون أرضنا بإخضاعها مرة ثانية .

كتابات لا يعرف مؤلفوها

ونختتم حديثنا عن القرن الرابع بعدد من المؤلفات لا نعرف شيئا عن كتابها مثل السير المسيحية القديمة للرسل ، التى نقلت من اليونانية إلى السريانية فى القرن الرابع . ومنها سيرة يوحنا بن زبدى ، وأعمال متى وأندراوس ، ووعظ فيلبس فى قرطاجنة ، وتعاليم سمعان كيفا (بطرس) فى مدينة روما ، وسيرة لوقا الانجيلى .

وكذلك الأبوكريفا من أدب الانجيل وأهمها بالسريانية أعمال بيلاطس ، والمراسلة التى كانت بين بيلاطس وهيرودس ، وخطاب الأسقف يعقوب المقدسى إلى قوادراتوس عن تقرير بيلاطس إلى طيباريوس فى محاكمة المسيح ، وانجيل طفولة المسيح أو الصبوة أى عجائب المسيح فى طفولته ، والراجح أنه يرجع إلى أصـــل سريانى . وهناك ترجمة لهذا الكتاب نقلها السريان النساطرة إلى أرمينية حوالى سنة ٥٩٠ ، وتاريخ ولادة العذراء وتنشئتها ، والغالب أيضا أن انجيل توما قد كتب أصله بالسريانية ، وانجيل يعقوب ، وكتاب صعود جسد العذراء ، ورؤيا ثاوفيلس الاسكندرى عن إقامة العائلة المقدسة فى مصر .

وكذلك ظهرت مؤلفات من أدب الرؤيا ، منها انجيل الرسل الاثنى عشر ، والراجح أن أصله موضوع بالسريانية . أما القول بأن أصله موضوع فى اللغة

العبرية ، وعنها ترجم إلى اليونانية ، ثم نقل من اليونانية إلى السريانية فلا أساس له . ومنها رؤيا بولس والغالب أنها ترجمت إلى السريانية عن اليونانية ، ثم ترجم النص السرياني إلى الأرمنية في القرن السادس . أما كتاب عزرا الرابع المعروف برؤيا عزرا — والذي علمه لتلميذه كاريوس في الصحراء عن حكم الاسماعيليين فالمؤكد أنه يرجع إلى العصر الاسلامي .

تاريخ انقسام الكنيسة

ظهرت المسيحية فى وقت كانت الثقافة اليونانية مزدهرة فيه ، وكانت مدرسة الإسكندرية هى المقر الرئيس لهذه الثقافة في العالم، فلما انتشرت المسيحية فى مصر كانت الأفلاطونية الحديثة هى مذهب اليوم — إن صح هذا التعبير — عندما بدأ المسيحيون فى الإسكندرية فى الاتصال بالفلسفة اليونانية . وكان اكليمنص الإسكندرى أول عالم حاول التوفيق بين الفلسفة واللاهوت المسيحى ، ولكن اجتهاده العلمى كان سببا فى تجريده من منصبه .

وحاول أوريجانوس تلميذ أفلوطين نفسه إخضاع فلسفة عصره حتى تساير النظرية المسيحية ولكنه لقى فى سبيل ذلك بعض الصعاب ، مع أن العالم المسيحى كان ينظر إلى هذا التنقيح بعين ملؤها الاطمئنان والرضى ، فلما قام اكليمنص وأوريجانوس بتكوين مدرسة مسيحية ذات لاهوت فلسفى لهـــذا الغرض ، أوجست كنائس العهد القديم خيفة من هذه المدرسة ونظر إليها الفلاسفة نظرة ريبة. بل لقد كان فريق من المسيحيين فى الاسكندرية يرمقون هذه المدرسة شزراً. ولكن المدرسة — على الرغم من ذلك — بلغت شأواً بعيداً وأحرزت شهرة واسعة ، حتى أخذت تغطى على النظام الأسقفى القديم . لكن ذلك لم يدم طويلاً فإن الشراك قد نصبت لأوريجانوس ، وحيكت حوله المكائد حتّى اضطر أخيراً إلى ترك الاسكندرية والرحيل عنها إلى فلسطين، وهناك أسس مدرسة فى قيصرية

على نمط مدرسة الاسكندرية، ولكنها لم تبلغ ما بلغته تلك . ومهما يكن من شيء ، فقد لعبت هذه المدرسة دورا هاما فى تاريخ الكنيسة السورية ، ففيها كان يتركز النشاط اللاهوتى ، وشجعت على قيام مدارس أخرى من هذا النوع ، وكانت أولى هذه المدارس تلك التى أسسها مليطون فى أنطاكية حوالى سنة ٢٧٠ م

نشأت مدرسة أنطاكية فى جو كان يسوده تفكير بولس السميساطى أسقف أنطاكية حوالى سنة ٢٦٠ م . الذى كان يقول إن المسيح مجرد إنسان وإن كان قد هُيىء ليرقى تدريجيا إلى مرتبة اللاهوت . ومع انه قد عقدت بأنطاكية ثلاث مجامع فيما بين سنتى ٢٥٤ و ٢٦٩ للبحث فى آراء بولس هذا ، وأن هذه المجامع قد انتهت الى ادانته ، فإن حكم الحرمان لم ينفذ إلا سنة ٢٧٢ عندما كفت زنوبيا التدمرية (الزباء) عن حمايته . وهذا يدل على عدم التحمس لمناهضة هذه الآراء التى أعلنها بولس السميساطى ، يؤكد ذلك أن هذه الآراء لم تندثر وإنما ظهرت ثانية فى أوائل القرن الرابع على يدى آريوس الاسكندرى المتوفى سنة ٣٣٦ وكان قد تلقنها عن أستاذه لوقيان الراهب الأنطاكى .

ظهر آريوس فى وقت كانت كثرة المسيحيين فيه تعتقد أن المسيح ابن الله ، وأنه انبثق عن الآب بطريق الفيض ، وليس بطريق الأبوة الإنسانية ؛ وأن المسيح إله ، لأن الفيض لا بد أن تكون له نفس طبيعة المصدر الذى فاض منه ، وأن الابن نتج عن الآب فى الأزل وقبل أن تخلق العالمين ، وأن الإبن أو الكلمة هو الواسطة فى الخلق . فلم يقبل آريوس هذه الآراء . وقال إن الله خلق المسيح من لا شيء ، وأن المسيح إنسان ، وأنكر أن يكون إلها أو شخصا إلهيا، وقال انه لا يجوز لذلك أن تسمى أمه « والدة الله » وتبعه جماعة من المسيحيين كانوا يسمونه بالآريوسية .

وخاف رجال الدين أن يستفحل أمر آريوس وينتشر مذهبه فاجتمع الأساقفة في مجمع ديني عقد بمدينة نيقية سنة ٣٢٥ م . في أيام الملك قسطنطين واجتمع به ٢١٨ من آباء الكنيسة. وقد أسفر هذا المجمع عن دحض مذهب آريوس، وانتهى الأساقفة فيه إلى وضع الأمانة البهية ضد مذهب آريوس أثبتوا فيها عقيدة المماثلة المطلقة بين الابن والآب : أى أنه لا فرق بين المسيح وبين الله من جهة الألوهية وكانت نتيجة المعركة أن أصبحت الكنيسة الشرقية تفسر مذهبا مطلقا لفلسفة الاسكندرية ، وتبعها الجزء الأعظم من أنصار الكنيسة الغربية ، ومع ذلك فقد بقى الغوط في إيطاليا وجنوب فرنسا وأسبانيا على صلتهم بالآراء الآريوسية ، حتى ظهر « أبوليناريوس » في النصف الثاني من القرن الرابع ، فعاود إعلان هذه الآراء ، ونسب الى المسيح جسما انسانيا ، وكان ينكر عليه النفس العاقلة وإن كان قد نسب اليه الاتصاف بالكلمة الإلهية أو العقل الإلهى ، وجعل المسيح يتوسط بين الإنسانية والإلهية بأن كوّنه من جزء الهى وجزئين انسانيين .

وكانت مدرسة انطاكية قد استطاعت خلال هذه الفترة أن تخرج جماعة من المفكرين المسيحيين ، الذين كانوا قد اقتنعوا بآرائها . وكانت هذه المدرسة لا تميل الى الصوفية المسيحية ، وتغلب العنصر الإنسانى فى المسيح على العنصر الإلهى ، وتكلم علماؤها عن الابن الذى تولد عن الآب كأنه قد سبق الإبن كما تسبق العلة المعلول ، وأن الابن لهذا يكون أقل خلودا من الآب ، وليس فى الخلود درجات لأن ذلك يجعل الله قابلا للتغير : لأنه كان بمفرده فى فترة من فترات الخلود ثم أصبح أبا ، والعلة الاولى أو الإله الحق عند الفلاسفة غير قابل لأدنى تغيير ، واهتموا بالمسيح من الناحية التاريخية ، فلما شرحوا الانجيل لم يحملوا كلماته أكثر مما تحتمله ، ورأوا فى صلب المسيح النهاية المقدورة لرجل ولم يروا فيها أنها وسيلة للخلاص من الخطيئة .

وقد ظهرت آراء مدرسة انطاكية مرة أخرى بشكل عملى فى النصف الاول

من القرن الخامس ، أى بعد قيام آريوس بقرن تقريبا ، حينما عين يوحنا أسقفاً على انطاكية سنة ٤٢٩ م . وعين نسطوريوس أحد أصحاب يوحنا أسقفاً على القسطنطينية فى نفس العام . فقد خطب نسطوريوس عقب توليته خطبة قال فيها: إن يسوع إنسان ، وإن تجسم المسيح عبارة عن مصاحبة بين الكلمة الأبدية والمسيح الإنسانى ، وإن مريم أم المسيح ولا يصح لذلك أن تسمى « والدة الله» . فأغضبت هذه التعاليم عدداً كبيراً من الاساقفة والقسس لا سيما فى أوروبا ومصر . وكان أشد الاساقفة سخطاً عليه كيرلس أسقف الاسكندرية الذى نشر اثنا عشر فصلا سماها لعنات ، لعن فيها مذهب نسطوريوس ، وحمل فيها على نسطوريوس نفسه وعلى كل المدرسة الانطاكية، ووقف يوحنا أسقف أنطاكية يناصر نسطوريوس فرد على اللعنات الاثنتى عشرة التى نشرها كيرلس وحقّرها أشد تحقير .

واشتدت المناقشة بين يوحنا الانطاكى وبين كيرلس الاسكندرى حتى دعى تاودستوس قيصر القسطنطينية فى آخر عام ٤٣٠م . أساقفة مملكته من كلا الحزبين الى مجمع عقد فى أفسس بالأناضول عيد فصح سنة ٤٣١م وبكر كيرلس وأصحابه فى الحضور الى المجمع قبل خصمه يوحنا ، وقد أفاده هذا التبكير فاستطاع أن يحمل المجمع على رفض مذهب نسطوريوس قبل أن يصل صاحبه يوحنا . فلما وصل يوحنا مع أصحابه غضب عندما علم بما حدث ، وعقد هو وأصحابه مجمعا مستقلا فى افسس جردوا فيه كيرلس وأصحابه من رتبتهم الكنسية .

وقع كل ذلك ولما يصل مندوبو البابا وأسقف روما ، الذى كانت لهم رئاسة المجمع ، فلما وصلوا شايعوا كيرلس وأقروه على رأيه ورفضوا مذهب يوحنا وأصحابه .

ولما انتهى خبر ما وقع فى أفسس الى القيصر تاودوسيوس غضب ، وبعث

مندوبا بمرسوم يعزل به كيرلس ونسطوريوس. ثم اقيم على القسطنطينية أسقف اسمه مكسيميانوس خلفاً لنسطوريوس ، فظهر أنه من أصحاب كيرلس . وحاول القيصر أن يصلح بين يوحنا وبين كيرلس فلم ينجح لأن كيرلس اشترط لذلك عزل نسطوريوس ، والاعتراف بمكسيميانوس أسقفا على القسطنطينية. ولم يتم الصلح بينهما إلا فى سنة ٤٢٣ على يد الأسقف أقاقيوس أسقف مدينة بيرا احدى مدن سوريا . وكان بولس أسقف حمص ـ وهو أكبر أساقفة سوريا سناً ـ هو رسول يوحنا الى كيرلس للاتفاق معه على مسائل الخلاف ، وأرسل معه رسالة تشتمل على نصوص الاتفاق .

وفى نفس ذلك الوقت كان النساطرة قد ازدادوا اعتقاداً بأن معارضيهم قد حادوا عن المنطق : فرضوا أن النفس العاقلة والكلمة قد اندمجتا فى المسيح أو اتحدتا معاً . فنبذوا الكنيسة الرسمية وكونوا كنيسة لا تعارض مع هراطقة افسس. ولكن الدول كانت تؤيد الكنيسة الرسمية. فأخذ النساطرة يلقون مختلف أنواع الاضطهاد، وبخاصة فى أنطاكية والاقليم الذى كان يميل الى الثقافة اليونانية فى سوريا ، واعتبر النساطرة فرقة آبقة ، ولم تجد النسطورية لها مجالا إلا بين المسيحيين الذين يميلون الى الثقافة السريانية .

وبعد ما يقرب من نصف قرن من انشاء مدرسة أنطاكية أى حوالى سنة ٣٢٠ أسست مدرسة نصيبين الحديثة فى وسط لغته السريانية ، ولهذا كانت الدراسة فيها باللغة السريانية فوضعت تراجم سريانية للكتب اللاهوتية التى كانت تدرس فى أنطاكية . وكانت تدرس فيها اللغة اليونانية أيضاً ، وبذلك أصبح المسيحيون الذين يتكلمون السريانية على اتصال بالحياة الكنسية العامة .

ولكن مدرسة نصيبين لم تعمر طويلا ، وإنما اضطرت الى الانتقال الى الرها سنة ٣٦٣ حينما سلمت مدينة نصيبين الفرس تنفيذاً لشرط الهدنة بعد الحرب

الطائفة التى بدأها يوليانوس ، وكذلك نزل رجال كنيسة نصيبين الى الرها ، وافتتحوا بها مدرسة سنة ٣٧٣. وبهذا أصبحت الرها مركز الكنيسة غير الرسمية المتكلمين بالسريانية داخل حدود الامبراطورية البيزنطية . وجمعت الرها شمل أولئك الذين لم يوافقوا على قرارات مجمع أفسس ، ولهذا أغلقها الامبراطور زينون سنة ٤٣٩ بحجة أنها ذات صبغة نسطورية قوية . فهاجر النساطرة وعلى رأسهم برصوما أحد تلاميذ إياس وأكبر أعلام الرها ، وارتحلوا عبر الحدود الفارسية . وتمكن برصوما من اقناع «فيروز» امبراطور الفرس بأن الكنيسة الأرثوذكسية الرسمية كنيسة يونانية ؛ وأن النساطرة قد هجروا الامبراطورية البيزنطية لسوء المعاملة التى لاقوها . ولهذا الاعتبار قوبل النساطرة بالترحاب فى بلاد الفرس ، وبقوا مخلصين للعرش الفارسى فى الحروب التى قامت بعد ذلك مع الامبراطورية الرومانية . وأعاد النساطرة فتح مدرسة نصيبين ، فأصبحت مركز الحركة النسطورية وخلعت على المسيحية مسحة شرقية ، وانتشرت البعثات النسطورية تدريجيا فى كل وسط آسيا وجنوبها ناحية البلاد العربية . والراجح أن المسيحيين الذين كانوا فى الجزيرة العربية عند ظهور الإســـلام كانوا من النساطرة .

أما اضطهاد الدولة البيزنطية للنساطرة فلعلنا نلحظه فى قصة أوطاخى (أوتيخيوس) ، الذى كان من أصحاب الطبيعة الواحدة ، والذى أعلن سنة ٤٤٤ م أن الابن الأزلى لم يأخذ من مريم شيئاً ، ولكنه استحال وتغير وصار لحما ودما وجاز فى مريم من غير أن يأخذ منها شيئاً . فلما بلغت مقالته رئيسه «فلافيانوس» أسقف القسطنطينية عزله ؛ فالتجأ أوطاخى الى ديوسقورس الذى خلف كيرلس على كرسى الاسكندرية، فأعاده وحرض الامبراطور تاودوسيوس الثانى على عقد مجمع يفرض عليه محو النسطرية محواً .

واجتمع المجمع فى أفسس مرة ثانية فى أغسطس سنة ٤٤٩ م . وأولح

ديويسقورس فى أن تكون الكثرة فى هذا المجمع إلى جانبه . وانتهى المجمع إلى إعلان براءة أوطاخى من تهمة الهرطقة وإعادته إلى مركزه وعزل فلافيانوس وعدد غيره من الأساقفة وأمين المندوبون الرومان وغيرهم ممن قاموا بالمعارضة فى المجمع . وسمى هذا المجمع « بالمجمع الطمث » .

ورفض الامبراطور لاون الأول أن يعترف بالمجمع وأوقف ديوسقوروس وطلب عقد مجمع كبير . ونرى من ذلك أن ديسقوروس فقد بوفاة ثاودوسيوس الثانى أكبر معين له .

ومع أن نسطوريوس قد عزل ، فإن الكنيسة السريانية قد وجدت نفسها أمام مشكلة ، فقد كان الاعتراض حقاً : فإنه إذا كانت الكلمة والنفس العاقلة فى المسيح قد اندمجتا معاً لدرجة أن النفس العاقلة أو الروح قد تلاشت فى مصدرهما، فإن الكلمة قد سكنت جسداً حيوانياً فتلاشت إنسانية المسيح كلها . ولهذا شعرت الكنيسة فى قرارة نفسها بأن مقالة الدين لا تتفق والمنهج العلمى الصحيح ، أو على الأقل لا تتفق مع العلم الذى كان معروفا فى ذلك الحين . وكان أعداء الكنيسة هم المتحمسون للعلم الذين يطبقون مناهجه .

وظهرت معارضة أخرى أيد أصحابها فكرة الاتحاد بين الكلمة والنفس العاقلة فى المسيح . وقالوا إنه بهذا الاتحاد بينهما يحفظ ناسوت المسيح كاملا كما يحفظ لاهوته كاملا ، ويكون الاتحاد بمثابة شىء لا ينفصل . وبهذا تحرزوا من الفكرة النسطورية .

كانت هذه الفكرة ، وهرطقة أوطاخى وبعض ما دار فى مجمع أفسس الثانى الذى عقد سنة ٤٤٩م . سببا فى ازدياد الرغبة إلى عقد مجمع مسكونى جديد ، وهى الرغبة التى كان يتجاهل وجودها ثاودوسيوس الثانى الأوطيخى النزعة ، والتى عجل خلفه مرقيان بتحقيقها . فاجتمع فى خلقيدونية فى الثامن من أكتوبر

سنة ٤٥١ م تحقيقا للرغبة الامبراطورية ما بين خمسمائة وستمائة كلهم من الأساقفة الشرقيين ، عدا مندوبين من الرومان واثنين من أساقفة افريقية . وطلب أسقف روما أن تكون رئاسة المجمع لمندوبيه ، وأصر على وجوب بطلان كل ما لا يوافقون عليه . وكانت الجلسة الأولى صاخبة عنيفة ، وكانت العبارات البذيئة تقذف خلالها هنا وهناك . وعرضت نتائج مجمع أفسس الثانى على بساط البحث فاستبعدت جميعها ، وانتهى الأمر إلى عزل بطلها ديوسقوروس فى الجلسة الثالثة .

وقد طلب الامبراطور إلى المجمع أن يرسم حدود العقيدة الصحيحة . ولكن المجمع لم يشأ أن يصدر تحديداً جديداً ، وإنما اكتفى بتأكيد ما صدر عن مجمع نيقية والقسطنطينية خاصا بالعقيدة ، والتحديد الذى وضعه مجمع أفسس الأول الذى عقد سنة ٤٣١ ، مع قبول الوضع الذى جاء فى كتاب لاون الأول إلى فلافيانوس خاصا بطبيعة المسيح ، كما رفض كلا من عقيدتى النسطورية والأوطاخية . وانتهى إلى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعتين : كل منهما كاملة فى ذاتها متميزة عن صاحبتها ، وهما مع ذلك متحدتان فى شخص واحد هو فى وقت واحد إله وإنسان .

وقد تبعت الكنيسة المصرية عقيدة أصحاب الاتحاد أو أصحاب الطبيعة الواحدة ، الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم اليعاقبة ، نسبة إلى يعقوب البردعى ، وكان لهم فى سوريا أتباع كثيرون . وكانوا كالنساطرة موضع اضطهاد الامبراطور وكنيسة الدولة ، ولكنهم لم يهجروا الامبراطورية البيزنطية ، بل بقوا داخل حدودها كتلة هامة ولكنها ساخطة أشد السخط . وكانوا كالنساطرة يميلون إلى ترك لغة مضطهديهم ، فاستعملوا اللغتين القبطية فى مصر والسريانية فى سورية .

وإلى جانب هذه المدارس الثلاث كانت هناك مدارس أخرى أثرت إلى حد ما فى هذا النزاع تأثيراً كان غير مباشر فى بعض الأحوال ، منها :

١ — المدرسة التى أنشأها القديس أبنّا فى سلوقيا سنة ٥٥٠ وهو من المتحوّلين

عن الزرادشتية إلى المسيحية النسطورية ، وقد أنشأ هذه المدرسة حين كان جاثليقا على النساطرة وجعلها على نمط مدرسة نصيبين .

٢ — المدرسة الزرادشتية التى أنشأها كسرى أنو شروان امبراطور فارس فى جنديسابور بخوزستان ، وكان يعمل فيها عدد من فلاسفة اليونان الذين هاجروا إلى فارس حينما أغلق يوستينيانوس مدارس أثينا ، وكذلك عدد من أطباء النساطرة ، ومن بين من نشأوا فى هذه المدرسة الحارث بن كلدة وابنه النضر الذى أورد ابن سينا اسمه فى القانون الخامس .

٣ — مدرسة حران الوثنية ، ونحن لا نكاد نعرف عن تاريخ تأسيسها شيئا وكل ما نعرفه أن حران كانت مركزاً للتأثير اليونانى منذ عصر الاسكندر . ثم أصبحت مأوى للديانة اليونانية القديمة عندما أصبح العالم اليونانى كله مسيحيا . ومع أنه يظهر أن حران قد ورثت شيئا عن الديانة البابلية القديمة التى بعثت أخيراً فى القرون الأولى المسيحية فقد طغى على ذلك تقدم الوثنية بعد أن نقحتها الإفلاطونية الحديثة .

كتاب السريان

فى القرن الخامس

كانت المنازعات التى قامت بين المسيحيين حول طبيعة المسيح ومشيئته سبباً فى ازدهار الأدب السريانى فى هذا العصر ، وظهور أجود ما عرفه السريان من آدابهم ، ونستطيع أن نقول إن العصر الذهبى للأدب السريانى يبدأ منذ انقسم المسيحيون إلى جماعتين ، تنسب إحداهما للمسيح طبيعتين ، وتنسب له الأخرى طبيعة واحدة . وعاد أصحاب الطبيعة الواحدة فانقسموا إلى قسمين . أصحاب الطبيعة الواحدة والملكية والملكية هم أصحاب الكنيسة الرسمية . ويلاحظ مع ذلك أن هناك حداً فاصلا فى السريانية بين أصحاب الطبيعة الواحدة فى الغرب وأصحاب الطبيعتين فى الشرق : فقد اتخذ كل جماعة منهم لهجة تختلف عن لهجة الجماعة الأخرى ، ومن المحتمل أن يكون ذلك نتيجة الموقع الجغرافى : ولكن الأرجح أن ما كان بينهما من نزاع على العقيدة قد زهد كل واحد منهما فيما كان عند الآخر ، فاستعمل كل منهما حروفاً مختلفة فى الكتابة ، ونظاماً متبايناً للحركات .

ومنذ بداية القرن الخامس يبدأ انقسام كتاب السريان إلى جماعتين تناصر كل جماعة منهما مذهبا من المذهبين المسيحيين الرئيسيين ، ولذلك فإننا سنفرد الحديث عن الكتاب فى كل قرن من القرون التالية قسما خاصا ، فنبدأ عادة بالحديث

عن كتاب أصحاب الطبيعة الواحدة ثم ننتقل إلى الحديث عن كتاب أصحاب الطبيعتين أو النساطرة .

أصحاب الطبيعة الواحدة :

ربـــولا

كان ربولا هو أول من ظهر من كتاب أصحاب الطبيعة الواحدة في هذا القرن . ولد في قنسرين(١) ، وكان أبوه كاهن الأصنام فيها ؛ ويقولون إن يوليانوس قد ارتد عن المسيحية إلى الوثنية على يديه ، حينما مر بقنسرين عند خروجه لحرب الفرس . وكانت أمه مسيحية ، فأخذت تحبب إليه دينها ، ثم زوجته من مسيحية .

درس العلوم اليونانية ، ودخل سلك الوظائف حتى وصل إلى وظيفة رئيسية ؛ وكانت أمه وزوجه مثابرتين على إغرائه باعتناق المسيحية ، يعاونهما في ذلك أبراهام راهب دير مرقيانوس القريب من قنسرين . وأخيراً تعمد على يدى أوسابيوس أسقف قنسرين ، وأقاقيوس أسقف حلب ، وصلى في قداس استشهاد القديسين فرمان ودميان في حلب . ثم أراد أن يؤكد إيمانه فسافر إلى فلسطين حاجا ليتعمد في نهر الأردن . فلما عاد أراد أن يأخذ نفسه بتعاليم الدين الجديد، فعمل بقول الإنجيل « اترك مالك واتبعني(١) » فترك زوجته وأولاده ، وأعطى أمواله للفقراء ، ودخل دير أبراهام بالقرب من قنسرين ، وبقي به حتى مات

---

(١) قنسرين اسم سرياني مركب من كلمتين (قن + نسرين) ومعناه عش النسور . ومكانها الآن خراب تقوم عليه قرية بسيطة تسمى بالعيس . وقد زعموا أنها سميت كذلك لأن قبر عيسى عليه السلام يقع في جانبها .

(٢) مقتبسة من متى (١٩ : ٢١) « فاذهب وبع أملاكك .. وتعال اتبعني» .

ديوجين أسقف الرها فى أوائل سنة ٤١١ فاختير خلفا له سنة ٤١٢ فبدأ حياته كأسقف بمحاربة المراطقة القدماء الذين حاربهم افريم قبله ؛ والذين كان لا يزال لهم مشايعون فى الرها .

وقد اشترك ربولا فى النزاع الدينى الذى كان قائما فى أيامه ، فحضر مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ وكان فى أول أمره إلى جانب يوحنا الانطاكى مشايعا لنسطوريوس ضد كيرلس ، ولكنه عاد فانضم إلى الجانب الآخر ، وأصبح من أشد المتحمسين لعقيدة كيرلس وأصبح من أقرب أصدقائه ، ولذلك اعتبره أتباع نسطوريوس منذ ذلك الحين معارضا قويا . فقد هاجم نسطوريوس فى القسطنطينية فى خطاب مطول ألقاه أمام ثاودوسيوس الثانى . وقد بلغت به الخصومة حداً دفعه إلى احراق كتابات ثاودوروس المفزوستى ، وقد لقبه إباس فى خطابه إلى مارى بـ « طاغية الرها » . وكان أندراوس السميساطى يشكو من اضطهاد ربولا للنساطرة من الشكوى فى خطاب بعث به إلى الاسكندر أسقف هيرابوليس ومات فى أغسطس سنة ٤٣٥ .

وكان يجيد اللغتين اليونانية والسريانية فترجم عن اليونانية عدداً من الكتابات ، أهمها ترجمة العهد الجديد وهى الترجمة المعروفة باسم « بشيطتا » وكذلك ترجم إلى السريانية رسالة كيرلس التى وجهها إلى القيصر ثاودوسيوس عن نسخة أرسلها إليه كيرلس نفسه ، وترجم لعنات كيرلس الاثنتى عشرة وأضاف إليها شرحا ومقدمة دفاعا عنها . والخطبة التى ألقاها هو فى القسطنطينية يهاجم فيها نسطوريوس ويعدد فيها أخطاءه .

وقد بقى لنا من كتاباته السريانية : ثلاث مجموعات من الرسائل والقوانين والأوامر الموجهة إلى الرهبان ، عنوان الأولى « قوانين » ، وعنوان الثانية « تنبيهات خاصة بالرهبان » وعنوان الثالثة « أوامر وتنبيهات إلى رجال الدين » .

وموعظة عن إخراج الصدقات على أرواح الموتى ، ووقف الاحتفال بالأعياد في مناسبات ذكراهم ، وعدد من التراتيل الطقسية اليعقوبية مقسمة على نظام الأنغام الكنسية الثمانية .

ويذكر كاتب سيرة ربولا أن ربولا كتب باللغة اليونانية عدداً من الميامر و٤٦ رسالة موجهة إلى القسس والأباطرة والأشراف والرهبان ، وأنه يعتزم ترجمتها إلى اللغة السريانية . ومن هذه الرسائل رسالته إلى اندراوس السميساطي يهدم فيها رسالته في الطعن على لعنات كيرلس الاثنتي عشرة . ورسالته إلى كيرلس بشأن ثاودوروس المفزوستي . وكتابه إلى جليانوس أسقف فارين عن الرهبان والجماعة الذين يسيئون استعمال الأسرار المقدسة فيتناولون القربان كأنه طعام عادي . وقد نشرت هذه الرسالة الأخيرة في الفصل الرابع من الكتاب العاشر من تاريخ زكريا . وفي تاريخ ديونسيوس التلمحري . وله كذلك كتاب باليونانية عنوانه « أنت أيها المسيح » .

سيرة ربولا

وبعد وفاة ربولا بوقت قصير قام مؤلف رهاوي مجهول يرجح أنه أحد شمامسة أسقفيته بتسجيل سيرة ربولا في رسالة تعد من روائع الأدب السرياني، أبرز فيها صورة واضحة تمثل شخصية ربولا وما عرف عنه من عطف على المساكين وانكار للذات وحياة كلها حرمان وتقشف . وينسب إلى ربولا ثلثمائة ابتهال (تخشفات) . وقد أطلق عليه كيرلس الاسكندري لقب « عمود الحق » .

سيرة الانسان التقي

وفي ذلك العصر أيضا ظهرت سيرة سريانية لمؤلف مجهول بعنوان «رجل الله» أو « الإنسان التقي » . وقد لقيت هذه السيرة من الذيوع والانتشار ما لم تلقه

سيرة قديس آخر . فقد نقلت هذه السيرة عن السريانية — وهى اللغة الأصلية التى ألفت فيها — إلى اليونانية واللاتينية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى جميع الآداب فى أوروبا المسيحية ، ومن المرجح أيضا أنها نقلت إلى الأرمينية والعربية والحبشية .

وملخص هذه السيرة : أنه كان فى روما شاب من أبناء العظماء اسمه « الكسيوس » وأراد أبوه أن يزوجه ، فلما كان يوم العرس هرب الشاب من عروسه ومن بيت أبيه وسافر إلى مدينة الرها ، وبقى فيها زاهداً يصلى ويعيش على ما يجود به عليه الخيرون ، يتبلغ منه بكسرة خبز وقليل من البقل ، ثم ينفق ما يتبقى منه بعد ذلك على غيره من المعوزين .

وكان ذلك الرجل يصرف وقته كله فى الكنيسة لا يكاد يبرحها ، فعرف فيه خادم الكنيسة رجلا زاهداً صالحا تقيا لم يشهد فى حياته رجلا فى مثل سيرته ، فأنس إليه ، وحبب إلى نفسه مراقبته ومتابعة حركاته ثم إن الرجل مات ذات يوم ودفن ، فأسرع خادم الكنيسة وأخبر أسقف المدينة — وكان ذلك الأسقف هو ربولا — وقص عليه كل ما عرفه من أمره ، وكان صيته قد سبقه إلى ربولا ، وأراد ربولا أن يحتفل بتشييع جثمانه بما يليق برجل تقى ورع ، فتوجه الى المقابر لاستخراجها للاحتفال بتشييعها . فلما فتح قبره ، لم يجد فيه إلا الخرق التى كانت تكسو ذلك الإنسان التقى .

هذا هو ملخص السيرة فى صيغتها السريانية ، ومع أن الحقائق التاريخية تصطبغ عادة ، بالصبغة القصصية متى بلغت أفواه العامة فتطعم بالكثير من الأشياء العجيبة — وبخاصة اذا كانت هذه الحقائق سراً لحياة قديس — فإن هذه السيرة لم تخضع لهذه القاعدة ، وكل ما فيها من الأشياء العجيبة هو الجزء الخاص بزيارة القبر واختفاء الجثة وبقاء الخرق التى كانت تكسو ذلك الإنسان التقى ، وأغلب

الظن أن هذه الفقرة قد زيدت بعد وضع السيرة نتيجة لانتقالها الى الآداب الأوربية .

وكان من أثر انتشار السيرة هذا الانتشار الكبير أن الزيادة لم تقف عند هذا الحد ، فإن العامة تحب أن تسمع العجائب والمعجزات ، وكان لا بد من اشباع نهمهم ، واطلاعهم على ما كان من أمر ذلك القديس الذى اختفت جثته من قبره ، فكان لا بد اذاً من اعادة سبك السيرة ليضاف اليها قسم آخر مجمله : أن ذلك الإنسان التقى قد بعث بعد ذلك ، فلما قام من قبره عاد الى مدينة روما ثانية ، وعمل مع العبيد فى دار أبيه ، ولكن أباه لم يعرفه الا بعد موته ثانية .

ومعروف أن السيرة بقسميها تم نسخها فى القرن السادس على الأرجح ، أى فى عصر قريب من عصر أبطالها .

ولعل أوضح دليل على أن القسم الاول منها هو الأصل أن المخطوطات القديمة الباقية تخلو من القسم الأخير وتنتهى بوفاة الكسيوس فى الرها .

ثم ان القسم الاول سريانى أصلى فى فكرته ، كامل قائم بذاته بينما القسم الثانى من أصل أجنبى ، وظاهر انه لم يلحق بالسيرة إلا فى وقت متأخر ، ولعل ذلك نتيجة للخلط بين هذه السيرة وسيرة قديس آخر .

وأقدم مخطوطات هذه السيرة ثلاث ، وإذا عرفنا ان تاريخ نسخها يرجع إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس وعلمنا أن ربولا يوصف فيها بالطيب مرة والقديس أخرى ، لرجحنا أن هذه السيرة قد كتبت بعد وفاة ربولا سنة ٤٣٥ وأنها ترجع على الأرجح إلى الربع الثالث من القرن الخامس . أما القسم الثانى فيغلب على الظن أنه كتب فى وقت متأخر جدا ، يدل على ذلك أن نسخ المخطوطات التى تشتمل عليه يرجع أقدمها إلى القرن التاسع ، والأمر الذى

لاشك فيه أن هذا القسم لم يكتب إلا بعد وفاة جميع من شاهدوا وقائع هذه السيرة بزمن طويل أى حوالى أواخر القرن الثامن .

بالَى

اسم لشاعر لانكاد نعرف شيئاً عن شخصيته أو تاريخ حياته ولكنه كان يمثل الشعر الكنسى السريانى القديم بعد إفريم ، وكل ما نعرفه عنه مستمد مما جاء فى أحد مداريشه ومما رواه ابن العبرى فى قطعة ذكرها السمعانى فى كتاب المكتبة الشرقية أنه رسم أسقفا (خور إسقبوس) على منطقة فى أبرشية حلب بعد زمان إفريم وقبل مجمع أفزوس الأول سنة ٤٣١ م .

أما عن أعماله الأدبية فقد بقى لنا من القصائد الثابتة النسبة إليه من كتابات القرن السادس ، خمسة مداريش فى ذكرى وفاة أقاقيوس أسقف حلب الذى يقال إنه كان صاحب الفضل الأكبر فى تحويل ربولا عن الوثنية إلى المسيحية . ويقال إنه عمر مائة سنة وعشر وتوفى سنة ٤٣٢ م .

ومدراش سادس فى تدشين كنيسة جديدة بمدينة قنسرين . ونستطيع أن نستنتج من مداريشه أنها كتبت فى القرن الخامس ، وكان مسرحها فى الشمال الغربى من سوريا بين الفرات وشاطىء البحر المتوسط . وله ميامر على المقاطع الخمسة ، منها قصيدة عن القديسين فاوستينوس ومترودورا ، وأخرى عن القديس جرجس ، ومرثية فى مقتل أورياس ، وقصيدة فى رثاء هـــارون أخى موسى على وزن المقاطع الأربعة .

أما من الناحية الطقسية فاسمه يقرن بالسلالم والبواعيث فى الشعر ذى المقاطع الخمسة ، وينسب إليه نشيد ينشده اليعاقبة والموارنة فى صلاة الليل عنوانه «راحم الخطاة» ، ويضاف هذا النشيد إلى افريم أيضا . ويلاحظ فى الأشعار التى تنسب أحيانا إلى بالَى وأحيانا إلى افريم ، أن المخطوطات المتأخرة تنسبها إلى بالى ،

ومنها قصيدة كبيرة فى تاريخ يوسف الصديق مكونة من ١٢ ميمرا تعد من أروع ما كتب فى الشعر السريانى .

سمعان العمودى

كان سمعان هذا أول رهبان الأعمدة ولهذا لقب بالعمودى ، وقد ذاعت شهرته عند أصحاب الطبيعة الواحدة من المسيحيين فى المشرق ولد سنة ٣٨٩ م . بقريه الصيص بالقرب من مدينة نيقوبوليس على حدود سورية الشمالية (١)

وكان أبوه — فيما يقولون — من سراة مقروبين المسيحيين . كان فى صغره يرعى غنم أبيه فاعتاد الوحدة والصمت منذ الصغر ، وترعرع قويا جميل الطلعة ولكنه كان قصيراً . وكان أثناء رعيه يجمع أنواع البخور ويحرقها قرباناً ، ولكنه كان لايدرى لمن يقربها . وربما كان يفعل ذلك منقاداً إلى عادة وثنية قديمة دون أن يشعر . لأنه إلى أن تعمد لم يكن ذا ثقافة دينية . ويقولون إن ذهنه انصرف إلى الناحية الدينية لأول مرة عندما ذهب مع أبويه مرة إلى كنيسة قريته فسمع مثل الانجيل الذى يتحدث عن سعادة الفقراء والمحرومين فتأثر به كثيراً . ويقولون إنه ظهرت له بعد ذلك رؤى دفعته إن ترك العالم والسير حثيثاً فى طريق التنسك . وتسجل له السيرة السريانية بعض العجائب فى هذه المرحلة الأولى من حياته نورد هنا واحدة منها لتصور للقارىء هذا النوع من العجائب : فيروى صاحب السيرة أن سمعان اشتهى السمك بعد صيام دام عشرين يوماً ، فذهب إلى ابنة سماك كان يصيد فى بحيرة قريبة وطلب إليها أن تبيعه خمسة ارطال من السمك . تقول السيرة إن ابنة السماك أقسمت كذباً أن ليس عندهم سمك فانصرف سمعان ، ولكن قوة خفية أستولت على السمك وكذلك على الفتاة ،

---

(١) اسمها الآن إصلاحية وهى بين سوريا وقليقية وهى غير الصيص المعروفة الآن فى اقليم قليقيه .

فأخذ السمك يتقلب زاحفاً خلف سمعان فى الطريق والبنت تعدو من خلفه، فلما رأى سمعان ذلك صرف تلك القوة التى أستولت على السمك، وهدأ من روع الفتاة ووعظها مؤنباً، ثم تابع سيره فوجد فى طريقة سمكة كبيرة بارك الله فيها فأخذها وبقى يأكل منها ثلاثة أيام هو وبعض الرعاة واثنان من الجند.

ودخل سمعان صغيراً دير يوزيبونا فى « تل عدا » فى منطقة أنطاكية وأهدى ماله ونصيبه من تركة عمة له إلى هذا الدير وغيره من الأديرة، ومكث سمعان فى هذا الدير نحواً من عشر سنوات فلما بلغ الثلاثين من عمره طرده رهبان هذا الدير لمبالغته فى التقشف فى معيشته فلم يشأ أن يدخل ديراً آخر ورحل إلى قرية تل نيشى (١) فربط رجله اليمنى بسلسلة طويلة إلى حجر كبير، وكان لاغطاء له وأقام فوق هذا الحجر منذ سنة ٤١٢ إلى أن رجاه مليطيوس الانطاكى فك هذا القيد. فعاش بعد ذلك على عمود فى معبد الآلهة فى منبج. وهو عمود مرتفع كان يتسلقه رجل مرتين فى العام ويمكث مع الآلهة سبعة أيام. ولكن هذه العادة كانت قد اندثرت تماماً قبل عهد سمعان. والراجح أن سمعان كان يجهل كل شيء عن هذه العادة، بل إن جميع المثقفين فى عصره كانوا ينظرون إلى فكرة الأعمدة على انها فكرة جديدة، وقد حاول بعض المستشرقين أن يدللوا أن فكرة عمود منبج كانت مثلا احتذاه قديسو الأعمدة وعلى رأسهم سمعان. ولكننا لا نستطيع أن نجد أى رابط تاريخى بينهما.

أقام سمعان بعد ذلك ثلاثة أشهر على أحجار باب سور المعبد ثم بنى له عموداً ليقيم فوقه ارتفاعه ست أذرع لكى يمكنه أن يخاطب الناس بسهولة. وكان يتحمل فى الإقامة فوقه حرارة الشمس وبرودة الجو، ومع أنه كان فى ذلك نوع من أنواع التعذيب الجثمانى إلا أنه كان فى نفس الوقت يرفعه عن

---

(١) وتقع بين انطاكية وحلب وتبعد مسيرة يوم عن أنطاكية.

سكان الأرض وقد تساءل الناس قديماً عما يقصده سمعان من الإقامة فوق عموده ، وكان بعضهم يهزأ من هذه الحماقة ، ولم يتمكن المدافعون عنه إلا أن يقولوا إنه فعل ذلك لأن الله أراده . ولكن الراجح أن هذا الوضع الشاذ لسمعان قد أثر فى نفوس الكثيرين ، فإنه لو أقام على الأرض كغيره من الناس لما بلغ هذه الشهرة التى بلغها . وقد بنى سمعان بعد ذلك ثلاثة أعمدة خلال سبعة أعوام كان كل واحد منها أكثر ارتفاعاً من سابقه ، حتى كان ارتفاع آخر عمود بناه ٢٠ متراً . وقد عاش فوق عموده الأخير ثلاثين عاماً دون أن يهبط إلى الأرض ، والظاهر أن تلاميذه كانوا يحملون إليه جميع حاجياته من مأكل ومشرب وملبس إما بواسطة سلم ، أو بواسطة قفة يدليها القديس يضع له فيها تلاميذه ما يحتاج إليه . وفوق هذا العمود كان القديس ينام ، ويصلى ، ويقوم بالتبشير لرد الكثيرين عن الوثنية إلى النصرانية ، كما كان يشترك فى السياسة الكنسية . وكان يستقبل الناس بعد الظهر فيخطب من يحضر منهم معلما وموبخاً ومحذراً ، ويفض ما يقوم بينهم من منازعات . ويكفى لكى نتصور قوة احتمال سمعان أن نعلم أنه كان يسمع الناس كلامه من فوق هذا الارتفاع الشاهق ، وهذا يدل على أن صوته كانت قوية .

ويذكرون أنه كان لا يخاف السلطان . ويروى صاحب سيرته للتدليل على ذلك أن « اسكليبيودوتوس » عامل القيصر تاودسيوس الثانى كان يحمل أمراً من القيصر بأن يرد إلى اليهود الكنيس الذى أخذه المسيحيون منهم عنوة وأقاموا فيه شعائرهم . وقد أثار ذلك المسيحيين ، ولم يتخيلوا أن يعطوا للذين صلبوا المسيح أماكن تقام فيها الطقوس المسيحية ، والتجأ الأساقفة إلى سمعان فكتب خطاباً شديد اللهجة إلى القيصر واضطر القيصر تاودوسيوس إلى إلغاء الأمر ، وأرسل إلى سمعان يعتذر له كتابة ، وعزل اسكليبيودتوس صديق الوثنيين واليهود . ولكننا

لا تذهب فى أمر هذه القصة مذهب صاحب السيرة فقد كان أمر القيصر ينص على أن يعوض اليهود عن الكنيس الذى أخذه المسيحيون من اليهود وأقاموا فيه طقوسهم الدينية . وقد صدر هذا الأمر سنة ٤٢٣ م . فى الوقت الذى لم يكن سمعان قد عرف فيه بعد ، ولعله لم يلعب هذا الدور الذى تحكيه السيرة ، وهذا يدلنا على أن السيرة تريد أن تصور سمعان فى صورة صاحب السلطان الكبير والقدرة الفائقة على حل المساكل .

وكان سمعان يكاتب العظماء، وينسب اليه فى هذه الناحية أنه أرسل فى أواخر حياته (٤٥٧ — ٤٥٨ م) مواقفه كتابية إلى القيصر لاون يوافق فيها على ما انتهى اليه مجمع خلقيدونية الذى قرر أن للمسيح طبيعتين ، وأنه كتب فى ذلك المعنى أيضا إلى باسيليوس بطريرك أنطاكية ؛ ولكن الراجح أن السريان من أصحاب الطبيعة الواحدة - الذين يعدون سمعان أحد قديسيهم - يجهلون تماماً مشاركته فى مشايعة أصحاب مجمع خليقدونية . وينسب اليه أيضا أنه كان يعارض تعاليم مجمع أفسس الذى عقد سنة ٤٣١ م . وأنه كتب خطابا فى ذلك إلى يوحنا الأول بطريرك أنطاكية ولذلك يعده النساطرة أحد قديسيهم . ومع أن هذه الرسائل قد وصلتنا فى مخطوط يرجع إلى حوالى القرن الثامن إلا أننا نظن أنها من وضع النساطرة فإننا نشك كثيراً أن سمعان قد فهم مسائل النزاع حول طبيعة المسيح التى عرضت على بساط البحث سواء فى مجمع خلقيدونية أو فى مجمع أفسس .

وكان لسمعان تأثير كبير على الاميين الذين يسمعون عن أعماله ، وبخاصة على البدو من العرب الذين اعتنقوا المسيحية على يديه ، ولكن العدد الذين يروونه مبالغ فيه .

وبعد أن عاش سمعان ٦٥ عاما فى حياه الرهبنة ، قضى منها ٣٧ سنة فوق الاعمدة، توفى فى السبعين من عمره فى يوم الأربعاء ٢ سبتمبر سنة ٤٥٩ م ونقلت

جثته إلى أنطاكية ودفن فى كنيسة قسطنطين. ويروون أن القيصر لاون أراد أن تحمل جثته إلى القسطنطينية لتدفن هناك ولكن أهل أنطاكية لم يقبلوا ذلك، وعملوا على بقائها فى مدينتهم لكى تدفع عنهم شر الزلازل.

ويعرف الموضع الذى بنى سمعان أعمدته فيه الآن باسم قلعة سمعان، وبجانبها دير سمعان وهما بين أنطاكية وحلب، ولا يزال عموده الأخير قائما حتى اليوم، وقد أقيمت حوله خمس كنائس، كما أقيمت كنيسة فى المكان الذى عاش فيه سمعان على تل نيشى وصفها إيواجريوس فى تاريخه، ولا تزال أنقاضها باقية إلى اليوم. وقد نسج كثير من الرهبان على منوال سمعان فعاشوا مثله فوق أعمدة، ولم تبطل هذه العادة إلا منذ القرن السادس عشر.

وكانت لسمعان كتابات منتشرة، كما كان يتلقى كثيراً من الرسائل وقد بقيت لنا نماذج منها بالسريانية لعلها صحيحة النسبة اليه، منها تظلم وتحذيرات كنسية موجهة إلى رجال الدين بمناسبة الزلزال الذى وقع فى أنطاكية سنة ٤٥٩ م وقد بقيت لنا فى مخطوط يرجع إلى القرن السادس. ورسالة إلى الأب يعقوب من كفر رحيما، إلى جانب الرسائل التى مر ذكرها من قبل. ولكن هل هذه الكتابات صحيحة النسبة إلى سمعان؟

ليس لدينا ما يدل على أن سمعان كان يعرف القراءة والكتابة، ويرجح أنه كان أميا وأنه كان يملى خطاباته على أحد تلاميذه، وأن هذا التلميذ كان يقف على أعلى السلم حيث يقف الاخصاء؛ ولهذا فإن ما نشر من رسائل سريانية لسمعان يحتاج إلى التريث فى الحكم عليها فهى إما محمولة عليه، وإما أدخل فيها كثير من الإضافات على النص الأصلى. وتشتمل المكتبة العربية على عدد من الكتب تحمل اسم سمعان: فقد ذكر له أبو البركات بن كبر فى قائمته كتاب المقالات الجامعة ويشتمل على ٢٦ ميمراً من أقوال القديس سمعان؛ وكتاب

أجوبة عن مسائل عدتها ١٤ مسألة و ١٥ قولا. وفى مكتبة الفاتيكان كتاب أعمال القديس سمعان وترجمة حياته فى ٢٨٩ صفحة ، وكذلك فى مكتبة البطريركية القبطية وبعض الكنائس والأديرة القبطية .

ولسمعان سيرة بالسريانية كتبها مجهول إذ يظهر أن العادة كانت أن يتقرب التلاميذ إلى الله بكتابة سير أساتذتهم من القديسين تخليداً لأعمالهم، والغالب أنهم كانوا يعتقدون أن عدم ذكر اسم الكاتب فيه شيء من إنكار الذات وذلك يزيد من ثوابه . أو لعل كتاب هذه السير رأوا أن فى نسبتها إلى أنفسهم — وهم من غير الكتاب المبرزين — حطا لقيمة السيرة ، ومضيعة للفائدة التى يرمون إليها من كتابتها وهى تمجيد المترجم لهم وتعظيمهم. وتنسب هذه السيرة إلى تيودوريت الكاتب والمؤرخ الكنسى أسقف قورا فى شمال سوريا وهو معاصر لسمعان . وقد عرفه فى حياته ومات قبل سمعان . وكلها تقريظ لهذا القديس ، وسرد لمعجزات وقصص تنسب اليه لا يكاد يقبلها العقل من ذلك قوله إنه إذا ذكر اسم سمعان توقف الغزال والجدى السريع عن الجرى بقوته السحرية حتى يمكن صيدها . وهناك سيرة أخرى أطول من السابقة ، كتبت بعد موت سمعان بمدة قصيرة حوالى سنة ٤٧٢ م وهى تكمل السيرة السابقة، وتقوم على المبالغات أيضاً، ولكنها على أى حال تصور لنا محيط التفكير فى البيئة التى نشأت فيها . وفى نهاية هذه السيرة خطاب وجهه قزماس قسيس قرية بانير الى سمعان العمودى كتبه على لسان رعاياه يعدونه فيه بإطاعة أوامره واتباع نظمه، وقد استنتج السمعانى من وجود هذا الخطاب فى آخر السيرة أن قزماس هذا هو مؤلف هذه السيرة ، مع عدم وجود شيء يشير الى ذلك بل على العكس هناك ما يمكن أن يشكك فى هذا الزعم فقد جاء فى خاتمة الكتاب أن هـــذا المخطوط قد نسخ لسمعان ابن أبولون ، وبر حاطر بن أذان فى ١٧ أبريل سنة ٥٢٧ م لبناء أتقنا كية أى سنة (٤٧٢ م) . أى بعد وفاة سمعان بسنوات قلائل ، ولهذا نعتقد ذكر

إيواجريوس فى الجزء الأول من كتابه تاريخ الكنيسة أن هناك سيرة سريانية فى دير تل نيشى لرجل العجائب يظهر أنها من عمل سمعان بن أبولون ، وبر حاطر ابن أذان . وقد أخطأ السمعانى فى فهم هذه النبذة الختامية أيضاً فافترض أن هذه السيرة قد ألفت بناء على طلب هذين الرجلين. وقد لقيت هذه السيرة رواجاً، وتدل النصوص على أنه فى مثل هذه الكتب الشعبية تظهر اختلافات وزيادات. وقد استعان إفاجريوس بهذه السيرة .

ويوجد لسمعان — الى جانب هاتين السيرتين — سيرة أخرى باليونانية يقال إن كاتبها هو أنطونيوس تلميذ سمعان ، وفيها مخاطرات تنم على أن هذه ليست بالقديمة كما أراد لها كاتبها — أما أخبار سمعان المتأخرة فليست لها أية قيمة خاصة .

وقد نظم يعقوب السروجى قصيدة طويلة عدّد فيها مناقب سمعان .

إسحاق الأنطاكى

وكان إسحاق من نجوم الأدب السريانى ، وكان يعرف عادة باسم عظيم أنطاكية وإسحاق الكبير ، والسورى والناسك . وليس لدينا عن مطلع حياته إلا القليل ، ومع ذلك فإن هذا القليل مضطرب : فهو من ضواحى آمد (ديار بكر) ذهب الى الرها فى حداثته حيث تلقى العلم على يد زنوبيوس تلميذ افريم فيما يقول برشوشان الذى جمع شعره فى القرن الحادى عشر . أو على يد افريم نفسه فيما يقول يعقوب الرهاوى الذى كان يشير اليه عادة باسم إسحاق تلميذ افريم وتبعه على هذه التسمية كثير من الكتاب . فقد ذكر يعقوب الرهاوى فى ملاحظة نقلها عنه الأب مارتين أنه يجب التمييز بين ثلاثة يتسمى كل منهم باسم اسحاق ، وقد خلط الناس بينهم جميعا .

الأول : اسحاق الأنطاكى تلميذ افريم الذى ذهب الى روما لكى يرى الكابتول .

والثانى: اسحاق الرهاوى الذى ظهر فى أيام زينون (فى أواخر القرن الخامس) والذى استوطن أنطاكية .

والثالث : اسحاق الرهاوى أيضاً الذى ظهر فى أوائل القرن السادس .

والأمر الذى لا شك فيه أن يعقوب الرهاوى لم يدقق كثيرا عندما وصف اسحاق الأنطاكى بأنه تلميذ افريم ، فإن افريم قد توفى فى يونيو سنة ٣٧٣ م ، ويجب لكى يتلقى اسحاق عليه العلم أن يكون قد ولد فى أواخر الربع الثانى أو أوائل الربع الثالث من القرن الرابع على الأكثر. فإذا علمنا بعد ذلك أن أكثر الذين بحثوا فى أدب السريان يكادون يتفقون على ما رواه جنّاديوس من أن القصيدة التى قيلت عن تخريب الزلازل لأنطاكية سنة ٤٥٩ م هى من نظم اسحاق الأنطاكى ، وجب أن يكون اسحاق قد عاش حتى نيف على قرن من الزمان بما يقرب من عشر سنوات ، وهى سن لا يعقل أن يخصب فى نهايتها خيال شاعر بقصيدة كالتى نظمها اسحاق عن تخريب أنطاكية . وعلى ذلك فإنه لا يعقل أن يكون اسحاق الأنطاكى هو تلميذ افريم الذى يتردد اسمه فى سيرة افريم . انه من المشكوك فيه كثيراً أن يكون اسحاق الأنطاكى قد ولد قبل بوفاة افريم .

انتقل اسحاق من الرها الى أنطاكية . والظاهر أنه قد طوف فى حداثته الى أبعد مما ذهب اليه كثير من مواطنيه اذ يروى زكريا البليغ فى تاريخه أنه زار روما ومدناً أخرى . ويؤكد ذلك ما رواه ديونسيوس التلمحرى فى التاريخ المنسوب اليه أنه نظم قصيدة عن الألعاب التى أقيمت فى روما سنة ٤٠٤ م احتفالا

بالعيد المئوى ، وقصيدة أخرى عن استيلاء ألاريك ملك القوط على روما وتخريبها سنة ٤١٠ م .

ولعل اسحاق قد وجد فى روما من المتعة ما حبب اليه أن يطيل الوقوف بها، اذ أنه لابد أن يكون قد أمضى فى روما هذا الوقت فيما بين سنتى ٤٠٤ م — تاريخ العيد المئوى — و ٤١٠ م تاريخ استيلاء ألاريك على روما . أما العيد المئوى فالظاهر أنهم كانوا يحتفلون به عند بداية جيل جديد على اعتبار أن الجيل هو نهاية جيل سابق بما مر فيه من شرور وكوارث، وكان الاعتقاد السائد حينئذ أن الشرور واللعنات لاتتخطى عتبة قرن جديد، ولهذا كان الناس يفرحون بابتداء كل قرن ، بل لقد كانوا اذا نزلت بهم محنة نادوا أحيانا ببدء جيل جديد اعتقاداً منهم بأن فى طى صفحات الجيل القديم طيا لهذه المحنة التى نزلت بهم . وكان الاحتفال بهذا العيد احتفالا دينيا له طقوسه وشعائره .

وقد احتفل فى عصر الجمهورية الرومانية بمثل هذا النوع من أعياد التكفير سنة ٢٤٩ ق . م . ، ١٤٦ ق . م . . وكان المعنى الذى يرمز له هذا العيد هو أن القيصر أعطى روما عهدا جديدا . ثم تعطل الاحتفال بهذه الأعياد فى عصر الثورة إلى أن أعاد أغسطس قيصر الاحتفال به من وجهة نظر يونانية شرقية ، هى الاحتفال بتجديد العالم بعد أن حطمته الثورة . وقد احتفل به بعده دومتيان سنة ٨٩ م . وسبطيميوس سويروس سنة ٢٠٤ م ، وهناك أعياد مئوية أخرى ترجع إلى تأسيس روما . وقد أدخل البابا بونيفاز الثامن هذه الأعياد فى الكنيسة سنة ١٣٠٠ م . ولا تزال قائمة إلى اليوم فى أعياد اليوبيل .

وقد عاد إسحاق من روما عن طريق القسطنطينية ، وفيها قبض عليه ولكنا لا نعرف سبب ذلك . ويقول يعقوب إنه عمل قسا فى مدينته آمد ، وقال جناديوس إنه رآه قسيساً لكنيسة أنطاكية ، ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه

التحقيق ، غير أن آخر ما يعرف من كتاباته هو قصيدته فى وصف ما أحدثه الزلزال الذى وقع فى أنطاكية فى ٤٥٩ م . والراجح أنه توفى قبل سنة ٤٦١ م .

وكان اسحاق شاعرا منتجا أخصب أيام تاودسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠) وكتاباته كثيرة متعددة النواحى وكانت كلها على وزن المقاطع السبعة ، جمع أكثرها البطريرك اليعقوبى « يوحنا بن شوشان » فى سفر واحد وعلق عليها ، بدأ بذلك فى شيخوخته ، ومات سنة ١٠٧٣ قبل أن يتم جمعها . وقد أورد السمعانى فى المكتبة الشرقية قائمة تشتمل على أكثر من مائة قصيدة من شعر اسحاق مبثوثة فى المخطوطات المحفوظة بمكتبة الفاتيكان . وقد نشر « بيكل » ٣٧ منظومة من شعره ، ونشر « بدجان » ٢٤ قصيدة ، ونشر شابو والقرداحى وأغناطيوس افرام الرحمانى وغيرهم قسماً من الجزء الباقى من منظوماته ؛ ومن هذه القصائد واحدة عن « حب الدرس » ، ١٠٠ ميمر عن الصلب ، والسامرية على بئر يعقوب ، واضطهاد الصديقين ، ومقطوعات من ميامر الصلوات ، وفى الرد على اليهود ، وعن الأموات وقد أدخلها أصحاب الطبيعة الواحدة فى طقوسهم الجنائزية . وله عدد من القصائد الطويلة المسرفة فى الطول منها قصيدة عن الندم تشتمل على ١٩٢٩ بيتا ، وثانية عن ببغاء صاحت فى شوارع أنطاكية « قدوس الله » وعدد أبياتها ٢١٣٧ بيتا ولكن طولها يدعو إلى السأم .

ولإسحاق بعض قصائد وضعت خطأ تحت اسم إفريم نشرها المستشرق « لامى » فى كتابه عن إفريم منها قصيدة فى « معارضة السحرة » وأخرى عن « الديونة » ، وعلى العكس تنسب إليه قصيدة نشرها أوفربك (Overbeck) عن صلب المسيح وهى من القطع التى وردت فى قائمة السمعانى ولكن بيكل يميل إلى بالى أو قوريللونا .

وبعض شعر اسحاق ممتع إلى حد ما لأنه يكشف عن عقيدة المؤلف الدينية ،

فهو يعرض فيه بأخطاء نسطوريوس وأوطاخى . ولكن هذا النوع قليل فى شعره ، فإنه لم يوجه إليه عناية كبيرة ، ولكنه وجه همه إلى الحض على التأدب ، وعيشة الصلاح ، ولوم المفسدين ، وتعنيف من لا خلاق لهم ، فقد كان يشعر فى نفسه بأنه واعظ أخلاق ، وأن مهمته أن يطلع الناس بوجه عام ورجال الدين بوجه خاص على حقيقتهم ؛ فوصف لهم حركاتهم ، وصور لهم طباعهم فجاءت صورة لاذعة أحيانا

وقد سما اسحق بالشعر السريانى ، فمع أن أوزان الشعر قد استعصت عليه ، فلم يسلس له إلا قياد وزن المقاطع السبعة — على عكس ما كان عليه إفريم ، فقد لعب إفريم بالأوزان الشعرية جميعها — إلا أن اسحاق قد فاق إفريم فى سيطرته على اللغة ، ومحاكاته لأسلوب الكتاب المقدس وطرافة تعبيراته طرافة لم يسبق اليها .

ولبعض قصائد اسحاق شيء من القيمة التاريخية كقصيدته عن الصيام التى يحتمل أن تكون قد نظمت بعد سنة ٤٢٠ مباشرة والقصيدتين اللتين كتبتا عن هدم العرب لمدينة بيت حور حوالى سنة ٤٥٧ ، وقصيدتيه فى التنديد بمن يلجأون الى العرافين .

والشعر الذى ينسب الى اسحاق الأنطاكى كثير ولا يمكن أن يكون كله صحيح النسبة اليه ، ولكننا نستطيع أن نقول ان اسحاق قد نظم الجزء الأكبر من المداريش التى تنسب اليه ، وان شهرته هى التى كانت سبباً فى أن يضاف اليه أعمال جميع من تسموا باسمه . ونستطيع أن نتخذ من أسلوب الشعر فى القصائد الصحيحة النسب اليه مقياسا نتبين منه القصائد التى ليست له .

ومع أن نظم اسحاق كان كثيرا إلا أن نثره — فيما يظهر — كان قليلا وتنسب اليه مجموعة من الحكم ، كما ينسب اليه خطأ بعض كتابات عن النسك ،

ومرجع هذا الخطأ ما قام من لبس بين اسحاق الأنطاكي واسحاق النينوى إذ يجب أن تنسب جميع كتابات التنسك الى اسحاق النينوى .

وتشتمل المكتبة العربية على عدد من الكتب تحمل اسم اسحاق الأنطاكي. فقد ترجم الشماس عبد الله بن الفضل الأنطاكي ٤٠ ميمرا و ١٥ نصاً في كتاب عنوانه « الميامر والمواعظ في السيرة النسكية» ذكره أبو البركات في قائمته وميمر لعيد بشارة العذراء نشر في مجلة المشرق سنة ١٩١٤ . ومسائل سأل فيها القديس سمعان العمودى أحد الحبساء القدماء في مبدأ أمر القديس المعلم النفيس اسحاق الأنطاكي وهي خمسة أسئلة في الأمور الروحية .

ومن أقواله في الصوم المزيف

لو تحدثت عن الصوم الذى يمارسه الكاذبون ، لقلت :

ما أرزل صومهم وصلواتهم لدى الله .

فإنهم يصومون ويأكلون الربا ، ويصلون ويشربون ربح الفوائد .

أجل ، إنهم يصومون من المساء إلى المساء ، ولكنهم يأكلون لحم المساكين.

لقد كبلت ياهذا أخاك بالمداد ، فما بالك تلبس الحداد ؟

لقد أحنيت ظهره بسندات ، وعنقك منحن في الصلاة .

لقد لوحت لونه بالفوائد . ولونك قد لوحه للصوم .

لقد أكلت لحمه بالربا ، وتأكل تراباً كالحية .

أجل ، هنالك أناس مكبلون بصكوك ، فكيف لا تحمل الكبول؟

لقد دفنت جثث في سندات ، فكيف إذن تدفن الجثة ؟

لقد أكل الفائدة المسكين ، فكيف لا يأكلنا السيف ؟

لقد باع الربا الأحرار ، فكيف لا نضحى عبيداً ؟
فلنعطين إذن العشور فى الصوم لئلا يعشرنا الغرباء .
ولنطلقن العبيد فى الصوم ، لئلا يبتاعنا التجار .
ولنشبعن الجياع فى الصوم ، لئلا يشبع الطير منا .
ولنسقين العطاش فى الصوم ، لئلا ترتوى الأرض بدمنا .
ولنكسون العراة فى الصوم ، لئلا يعرينا الطير .
ولندفنن المساكين فى الصوم ، لئلا يغمضنا الغرباء .

كتاب النساطرة

إيهيبا

ويسميه اليونان إيباس خلف ربولا أسقفا على الرها سنة ٤٣٥ م . وكان وكان مشايعاً لنسطوريوس. وفى أيامه خمدت الحرب التى شنها ربولا على النساطرة .

ونحن لا نكاد نعرف عن الطور الأول من حياته إلا أنه كان معلما فى المدرسة الفارسية بالرها ، وإليه وإلى تلاميذه تنسب أول ترجمة سريانية لمؤلفات ديودوروس الطرسوسى وثاودوروس المفزوستى، وهى المؤلفات التى أتلفها ربولا وأحرق كل ما وصل إلى يديه من نسخها . ولهذا قام النزاع بينه وبين ربولا لدفاعه عن تيودور المفزوستى

أما الطور الثانى فيبتدىء بانتخابه أسقفا على الرها فى خريف عام ٤٣٥ م . وفى ذلك الحين ظهر جليا أنه يشايع النساطرة . وذلك من الخطاب الذى وجهه إلى مارى الفارسى يشجع فيه الدعوة بين السريان الشرقيين ، والذى كان له الأثر فى تعبيد الطريق أمام النسطورية فى جميع أنحاء الجزيرة .

وقد كان هذا الخطاب وترجمة إيهيبا لكتابات تيودور وبعض أقوال أخرى مما دفعت قساوسته صموئيل وقورا ومارا وأولوجيوس على شكايته إلى دومنوس

الانطاكى ، فلما لم يحرك هو ساكنا شكوه سنة ٤٤٨ م . إلى فلافيانوس أسقف القسطنطينية . كما كان ذلك سبباً فى مهاجمة إيهيبا فى مجمعى صور وبيروت ولكنه برىء وبقى فى عمله الكهنوتى ولم يحرم إلا فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م . هو وابن أخيه دانيال أسقف حران ، فقد حكم عليه فى غيبته أن يتخلى عن كرسيه لنونوس(١) . ولكن هذا الحرمان لم يدم أكثر من عامين التام بعدهما مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١ م وقرر إعادته إلى وظيفته الدينية ، وبذلك يبدأ الطور الثالث والأخير من حياة إيهيبا . وقد قضى إيهيبا بقية حياته فى هذه الفترة فى راحة وهدوء ، حتى توفى سنة ٤٥٧ م . نخلفه نونوس مرة ثانية ، وبقى أسقفاً على الرها حتى سنة ٤٧١ م ، إذ ولى قورا كرسى الأسقفية بعده .

ونستطيع أن نتبين أعماله الأدبية من اللقب الذى أطلقه عليه عبد يشوع فهو ينعته بالمترجم ، ومع ذلك فلم يبق لنا أمثلة لترجمته صحيحة نسبتها إليه ، وينسب إليه عبد يشوع فى فهرسه إلى جانب ترجمته لمؤلفات ديودوروس الطرسوسى وتاودوروس المفزوستى التى مر ذكرها شرحا على سفر الأمثال ، وبعض المداريش والميامر . ومجادلة مع أحد المراطقة . وخطابا إلى المفريان مارى من روردشير مترجم عن اليونانية . وينسب إليه عبد يشوع أيضاً ترجمة لمؤلفات ولكن لم يثبت له شىء من ذلك وكل ما عرف عنه أنه ترجم كتاب ايساغوجى.

وقد حدث بعد وفاة إيهيبا أن نفى جميع من شايعوه من الرها وهم جماعة المدرسة الفارسية معلمين ومتعلمين ، ولكن هذه المدرسة لم تغلق نهائيا إلا سنة ٤٨٩ م . بأمر الامبراطور زينون عن طلب الأسقف قورا . وقد بقيت أسماء

---

(١) لم يؤثر عن هذا الأسقف من الأعمال الأدبية إلا خطاب إلى الامبراطور لاون عن مجمع خلقيدونية .

الذين نفوا من الرها والألقاب التي كانوا يحملونها في المدرسة في الخطاب الذي كتبه سمعان البيت أرشامي حوالي سنة ٥١٠ م. وهو أقدم وثيقة عن الدعاية النسطورية في بلاد الفرس. وقد نشره السمعاني في المكتبة الشرقية، ومنهم معنا وبرصوما وأقاق ونرسى، ولم يصلنا إلا القليل من كتاباتهم جميعا.

بابوى

ولد في تيرَّ، وكان في شبابه يدين بالزرادشتية، ثم اعتنق المسيحية على يد أحد الرهبان فقبض عليه فيروز (٤٥٧ م — ٤٨٤ م) وزج به في السجن حيث نفى عامين. وكان برصوما أسقف نصيبين قد كتب كتابا يبيح فيه زواج الكهنة والرهبان، ورضى بذلك كثير من الأساقفة، ولكن بابوى عارض في ذلك.

ولما رأى بابوى ما يصبه فيروز ملك الفرس من العذاب على المسيحيين وبخاصة في المدائن بعث إلى زينون ملك الروم كتابا يطلب إليه أن يكتب إلى فيروز يسأله الرفق بالمسيحيين المقيمين في بلاده، إلا أن الكتاب ضبط مع الرسول فقبض عليه ثانية في نصيبين، وعذب حتى مات سنة ٤٨٤ م.

أما عن كتاباته الأدبية فلم يصلنا منها إلا رسالة عن التنسك بعث بها إلى القس قرياقس.

برصوما

كان من أقطاب النساطرة في هذا القرن ومن كبار معلميهم، وكانت المدرسة الفارسية في عهده أهم مركز لنشاط النساطرة التعليمي والأدبي، حيث كان برصوما وغيره من المعلمين يعملون جادين في الدفاع عن النسطورية والترويج لعقائدها.

ولم يصلنا من سيرة هذا المعلم إلا ما نقله السمعانى فى المكتبة الشرقية عن سمعان البيت أرشامى ، أحد كتاب أصحاب الطبيعة الواحدة — وهم أعداء النسطورية — وهو كلام أقرب إلى البذاءة والاقذاع منه إلى الحقائق المعقولة ، فهو يذكر مثلا أنه كان عبدا لرجل اسمه مارا ، وأن أهل الرها كانوا يطلقون عليه اسم « العائم بين الأدغال » ، ويقصدون بذلك نعته بالخنزير البرى . وتابعه فى ذلك ابن العبرى والسمعانى . ولذلك وجب علينا أن نأخذ أقوالهم جميعاً بالحذر وعدم التسليم بصحتها قبل تمحيصها .

ولد برصوما فى بيت فردو(١) ودرس فى الرها على أيهيبا ، وكان مقيماً بها سنة ٤٤٩ م . حينما نادى الرعاع بإبعاد النساطرة عنها ، ولكننا لا نعرف متى رحل عنها على وجه التحقيق . والراجح أن ذلك كان بعد سنة ٤٥٧ م . فقد ذكر ابن العبرى فى كتابه تاريخ الكنيسة أنه كان يعمل جادا للدعوة النسطورية فى الشرق فى عهد بابوى الجاثليق (٤٥٧ — ٤٨٣) وفى عهد خلفه أقاقيوس (٤٨٤ — ٤٩٦) وأنه كان فى هذه الفترة أسقفا على نصيبين . وعلى ذلك فليس صحيحا ما ذكره السمعانى فى المكتبة الشرقية من أنه رحل عن الرها فى أيام ربولا . وليس صحيحا أيضا ما ذكره ابن العبرى فى كتابه تاريخ الكنيسة أنه رحل عن الرها سنة ٤٨٩ م . عندما أغلق زينون المدرسة الفارسية فى الرها ، فقد أثبت جويدى المستشرق الإيطالى أن برصوما كان أسقفا على نصيبين سنة ٤٨٥ م . أى قبل اغلاق المدرسة الفارسية بأربع سنوات على الأقل . وكان برصوما هو واضع أول تقويم لمدرسة نصيبين ولكنه ضاع قبل أن يصل الى أيدينا ، وقد وصلنا تقويم خلفه هوشيا .

ومهما يكن من شيء فالأمر الذى لاشك فيه أن برصوما قد رحل عن الرها

---

(١) قرية على الضفة اليسرى لنهر الدجلة مقابل جزيرة ابن عمر .

وأنه عين أسقفا على نصيبين ، وأنه تقرب إلى فيروز حتى رضى عنه وعينه مشرفا على منطقة الحدود الفارسية الرومانية لجعل من هذا المنصب وسيلة لمحاربة دعاة أصحاب الطبيعة الواحدة .

وفى سنة ٤٨٤ م . رأس مجمعا فى بيت لفط قرر المجتمعون فيه إباحة زواج القسس والرهبان واحتجوا لرأيهم هذا بقول بولس الرسول إن الزواج خير للإنسان من الاحتراق بالشهوة ، لأن التزوج أصلح من التحرق (كورنثوس الأولى ٧ : ١٠) ، فعارضه بابوى ، ويقولون إن برصوما هو الذى قبض على الرسول الذى كان يحمل رسالة بابوى إلى زينون ، وإنه هو الذى دفع بالرسالة إلى فيروز . وكان من جراء ذلك أن لقى بابوى حتفه ، ولكننا لا نعرف على التحقيق مدى ما يقع عليه من التبعة فى هذه النهاية المحزنة .

وبعد سنة ٤٨٥ م . ظهر برصوما فى القسطنطينية — إلى جانب أقاق السلوقى خليفة بابوى — سفيراً لفارس فى القسطنطينية . فلما قال أقاق برأى سلفه فى موضوع زواج الرهبان عارضه برصوما وكان ذلك فى سنة ٤٩١ م . ولا يعرف تاريخ وفاة برصوما على التحديد ولكنه توفى قبل سنة ٤٩٦ .

أما أعماله الأدبية فتدور كلها حول الجدل فى سياسة الكنيسة وله مواعظ جنائزية وميامر ومداريش ورسائل . ومن رسائله خمس موجهة إلى أقاقيوس بمناسبة المجمع الذى عقد فى بيت عذرى سنة ٤٨٥ م . ووصلنا كذلك بعض مقتطفات من القوانين التى صدرت عن مجمع بيت لفط الذى عقد تحت رياسته .

أقاقيوس

عاش فى هذه الفترة اثنان عرفا بهذا الإسم الأول الآمدى ، والثانى السلوقى أما أولهما فيذكر السمعانى فى المكتبة الشرقية أنه ألف بعض الرسائل ، وقد

اشتهر بعمل جليل أشار إليه socrates فى حوادث سنة ٤٢٢ م . فيقول : « فى التاسع من ابريل حدث فى آمد بين النهرين أن باع القديس أقاقيوس الأوانى المقدسة التى تستخدم فى الطقوس الدينية لكى يفدى الأسرى الذين وقعوا فى أيدى الرومان فى بيت عربايا . وكان هؤلاء الأسرى من رعايا الفرس فدفع دياتهم وأعادهم إلى بلادهم وهذا يدلنا على إنه كان نسطوريا وقد اعتنى مارى اسقف بيت أردشير بشرح خطاباته .

وأما عن ثانيهما السلوقى فقد اختير جاثليقاً سنة ٤٨٤ م . بعد استشهاد بابوى ، وكان أقاقيوس هذا أحد الذين رحلوا عن الرها إلى الأراضى الفارسية وتابع سيرة سلفه فى معارضة برصوما . يقول صاحب تاريخ النساطرة : وقد كره أصحاب برصوما رياسته وقذفوه بالزنا فلم يتم لهم ما قدروه . ويشير ابن العبرى فى كتابه تاريخ الكنيسة إلى خروج أقاقيوس إلى بلاد الروم فى أيام زينون وسؤاله له أن يرد الأساقفة الذين نفاهم . ومات سنة ٤٩٦ م . وكان أسقف الحيره تلميذه لحمل جسده إليها ودفنه بها .

وله بعض مؤلفات منها أعمال المجمع الذى عقده فى سلوقيا والمدائن سنة ٤٨٦م وخطاب بعث به إلى برصوما فى بدء النزاع الذى قام بينهما ، ومقالة فى الأمانه كشف فيها عوار من يعتقد جوهراً واحداً فى المسيح . وثلاث مقالات فى الصوم وترجمة رسالة اليشع فى العقيدة إلى الفارسية للملك قباذ .

بابى

ليس لدينا شىء عن الدور الأول من حياة بابى وكل ما نعرفه عنه أنه كان كاتباً لمرزبان « بيت أرامايا » وهى بلاد النبط فلما مات أقاقيوس الجاثليق أختار المسيحيون بابى بن هرمز خلفاً له سنة ٤٩٧ م . وكان رجلا كبير السن ذا قرابة لمنجم مسيحى فى بلاط داماسف Zamssp إسمه موسى عقد مجمعا سنة ٤٩٧ م

حضره اثنان وثلاثون من رجال الكنيسة وأصدر قوانين لتدبير البيعة وأبطل المكاتبات التى كانت بين بابوى وبرصوما وأقاقيوس ورفع الحرمان الذى وقع على المسيحيين إبان الاضطراب الكنسى الأخير. وأقر زواج رجال الدين والرهبان، وصحح ما كان أقاقيوس وبرصوما والأساقفة قد رسموه فى أمر الزواج. وبذلك كان النصر النهائى لرأى برصوما.

نَرْسى

هو نرسيس الملفّى أيضا، ولد فى عين الدالية من قرى «معلثا» فى الشمال الشرقى من الموصل، فلما بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة قريته وبقى بها حتى توفى أبواه وهو فى سن التاسعة، فانتقل مع عمه عمنويل راعى دير كفر مارى فى بيت زبدى، وأمضى فيها الشتاء يتلقى العلم فى الدير، فلما بلغ العاشرة ذهب إلى الرها والتحق بالمدرسة الفارسية وبقى بها عشر سنوات رجاه عمه فى نهايتها أن يعود إليه للتدريس بمدرسته دير كفر مارى. ولكنه عاد مسرعا إلى الرها وتلقى العلم على أيهيبا رئيس المدرسة الفارسية ومكث بها عشر سنوات أخرى عاد بعدها إلى كفر مارى ليتولى رياسة الدير بعد موت عمه، ولكنه لم يقم بها إلا عاما واحداً عاد بعده نهائيا إلى الرها، وخلف قيورى فى إدارة المدرسة الفارسية.

ويقولون أنه لقى تاودوروس تلميذ تيودور المفزوستى المعروف بالمفسر مع أقاقيوس وأنه باركه ولقبه بـ «لسان المشرق». وان أصحاب نرسيس من النساطرة الذين تذوقوا شعره وأعجبوا به كانوا يلقبونه بـ «قيثارة روح القدس» أما أعداء النسطورية كسمعان البيت أرشامى فكانوا يلقبونه بالأبرص.

والرواة كلهم مجمعون على أنه أقام فى الرها عشرين عاما ولكنهم مختلفون فى تحديدها: أما ابن العبرى فيقول إنه هرب من الرها سنة ٤٨٩ م. فراراً من اضطهاد الأسقف قورا (٤٧١ — ٤٩٨) وتبعه رايت المستشرق الانجليزى فى

هذا الرأى . وأما السمعانى فإنه يرى أنه رحل عن الرها فى عهد ربولا حوالى سنة ٤٣١ م . ويقول صاحب تاريخ النساطرة إن نرسى عاش فى الرها عشرين عاما ، فلما علم المخالفون أنه يعتقد مذهب ديودوروس وتيودور أرادوا إحراق قلايته فهرب إلى نصيبين ووجد هناك مدرسة صغيرة كان شمعون الجرمقانى أسسها ، فأقام فيها واعتنى بها برصوما المطران وانتقل إليها من كان بالرها من السريان .

ومهما يكن من شىء فإن نرسى كان من زملائه برصوما وعمل معه فى الرها، ثم رحلا سويا منها سنة ٤٥٧ م . وأراد نرسى الاتجاه إلى داخل المملكة الساسانية ولكن برصوما صحبه إلى نصيبين ، وهناك اغتنى برصوما خانا ليجدد فيه نرسى المدرسة التى كان سمعان الكشكرى المفسر قد أقامها هناك من قبل ، وقام نرسى فعلا بإنشاء هذه المدرسة وجعلها من أكبر المراكز التعليمية عند السريان الشرقيين وفيها أمضى القسم الثانى من حياته ماعدا فترة بسيطة لجأ فيها إلى دير كفر مارى . فأقام رئيسا للدير خمس سنوات شاهد خلالها حصار قباذ لآمد سنة ٥٠٣ م .

والرواة مختلفون أيضا فى مدة القسم الثانى من حياته بعد رحيله عن الرها : أما ابن العبرى فيقول إنه عاش خمسين عاما بعد رحيله عن الرها ولكن ابن العبرى يجعل رحيله عن الرها على اثر إغلاق مدرسة الفرس سنة ٤٨٩ م . فتكون وفاته إذا عند ابن العبرى سنة ٥٣٩ م . وذلك فى رأينا غير صحيح .

ويذكر «برحدّ بشبّا» أن نرسى قضى خمسة وأربعين عاما فى نصيبين وتوفى سنة ٥٠٢ م . ولكن برحذ فيما يظهر نسى السنوات الخمس التى قضاها نرسى فى رياسة دير كفر مارى فى أواخر أيام حياته وبذلك يكون نرسى قد توفى سنة ٥٠٧ م . وعن مائة سنة وثلاث وهو عندنا أصح الآراء .

وأما المستشرق « بيكل » فيذكر أن نرسى قد توفى سنة ٤٠٦ م . دون أن يبرر رأيه بسند أو دليل . والراجح أنه يخلط بينه وبين أقاقيوس . وقد تبعه « فلدمان » على رأيه .

وأما صاحب تاريخ النساطرة فإنه يذكر ان نرسى أقام بنصيبين أربعين سنة ، ومات ودفن فى البيعة المعروفة باسمه . وشايعه برمشتارك على هذا الرأى.

وكتاباته كما أوردها عبد يشوع فى فهرسه تنقسم إلى قسمين :

كتابات نثرية وجلها فى التفسير : فقد وضع شروحاً على الكتب الاربعة الأولى من التوراة — أو على أسفار موسى الخمسة فيما يقول صاحب تاريخ النساطرة — وأسفار يوشع والقضاة والجامعه وأشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال والاثنى عشر نبيا الصغار . وله إلى جانب كتب التفسير قداس ، واستعراض اقداس الاحتفال بكسر الخبز المقدس ، والعماد ، وخطب للوعظ والجناز ، وكتاب فى قبح التدبير ذكر فيه ما يفعله كهنة الهراطقة ورهبانهم .

وكتابات منظومة تشتمل على قصائد تعليمية استحق من أجلها لقب « قيثارة روح القدس ». ويقولون انه نظم ما لا يقل عن ثلاثمائة وستين قصيدة رتبها على أشهر العام فى ١٢ جزءا وينقسم كل جزء منها إلى قسمين ويشتمل كل قسم على خمس عشرة قصيدة ؛ ويقولون إنه عارض فى أكثر من ثلاثمائه قصيده منها يعقوب السروجى أحد أصحاب الطبيعة الواحدة ، ولو صح ذلك فإنه يكون قد نظم الشعر حينما تقدمت به السن . وقد استعمل فى شعره وزن المقاطع الاثنى عشر والسبعة والأربعة . ويقول صاحب تاريخ النساطرة « وقد كان المخالفون لما خرج من الرها أحرقوا كتبه بل بعضها » . ولعل هذا هو السبب فى ضياع كثرة كتاباته وبخاصة النثرية منها . أما منظوماته فإن النساطرة يحتفظون ببعضها حتى اليوم فى الطقوس الدينية ولم يصلنا من المجلدات الاثنى عشر إلا قسم ضئيل .

وكل شعره غنائى وقصصى ، وكل موضوعاته دينيه . وينسب إليه من الشعر القصصى ملحمة عن قصه يوسف الصديق وهى فى أربعة ميامر : الأولان على وزن الاثنى عشر مقطعا ويشتملان على القصة كما جاءت فى العهد القديم بشيء من التصرف حتى إحضار يعقوب إلى مصر أما الثالث فقصير وهو على وزن القاطع السبعة ويتحدث عن وصف رحلة يعقوب إلى مصر . والرابع على وزن الاثنى عشر مقطعا وهو محاورة بين يعقوب ودينا ويوسف وفيه يشرح يوسف ما حدث له . والقصيدة فى مجموعها على نمط الملحمة التى تنسب إلى مدرسة أفريم ، ولكنها أقصر منها . وقد نشرهـــا بدجان . ونشر جابوسكى وماكس فايل أجزاء منها .

وقد بقى لنا من منظوماته قصيدتان عن فساد الأخلاق وبعض قصائد الأغراض الطقسية طول العام . ومقطوعات تستعمل فى الصلوات اليومية فى الكنيسة النسطورية . وهو مؤلف منظومات تتركب كل منها من فقرتين تعرف باسم (هفختا) وتستعمل فى أيام الآحاد والأعياد فى نهاية صلاة الليل ، والظاهر أنها بقايا مستقلة من مجموعة شعرية كبيرة . وله كذلك مقطوعات تستعمل فى الطقوس النسطورية الجنائزية تعرف باسم (قاسوقا) والظاهر أنها من مواعظ التعزية الشعرية (بويئاءا) وليست تأبينا نثريا وينسب إليه أيضا تسابيح فى الصلوات اليومية . ويذكر اسمه أيضا فى صلوات الشماس للشعب المعروفه باسم (كاروزوثا) ، وكذلك شرح لطقوس القداس بالشعر ، وشرح لطقوس العماد .

وقد نشر منجانا أكبر مجموعة من كتابات نرسى فى جزأين فى الموصل سنة ١٩٠٥م وتشتمل على أربعين ترتيلا وعشرة أناشيد . وقد ذكر الناشر إنه أهمل نشر التراتيل التى اعتقد أن فيها شيئا من الهرطقة .

☆ ☆ ☆

ويعرف هذا القرن أيضا عدداً من كتاب النساطرة لم يبلغنا عن سيرتهم أو عن أعمالهم الأدبية إلا قدر يسير . ومن بين هؤلاء الكتاب « دَدْ إيشوع » الذى كان جاثليقا على سلوقيا بين سنتى ٤٢١ م — و٤٥٦ م . وقد ضاعت جميع الكتب التى تنسب إليه ، وهى شروح على كتب دانيال والملوك وغيرها .

ومنهم ميخا أسقف لاشوم (١) وكان فى الرها ، ثم رحل عنها مع من رحل من النساطرة إلى بلاد الفرس حيث رسم أسقفا على لاشوم .

ومنهم أيضا يَزْبدَدْ وكان ممن رحل عن الرها إلى نصيبين مع برصوما ونرسى وينسب إليه عبد يشوع فى فهرسه كتاب مختارات .

أما أرّا فلا نكاد نعرف شيئا عن سيرته ولا عن الوقت الذى ظهر فيه على وجه التحقيق ، وتنسب إليه رسالة فى الرد على المجوس وأخرى فى الرد على أتباع ابن ديصان ، أطلق عليها اسم « الخنافس » تحقيراً لهم .

النقل عن اليونانية فى القرن الخامس

يظهر أن ترجمة ربولا للعهد الجديد قد هيأت لحركة نقل علمية من اليونانية إلى السريانية كان مسرحها القسم الرومانى فيما بين النهرين ، وقد ساعد على تهيئة هذا أسباب أهمها : أن المسيحية لما انتقلت إلى اليونان وإلى البلاد التى تسود فيها الثقافة اليونانية كمصر ، أثر اللاهوت اليونانى فى اللاهوت السريانى ، وظهر أثر ذلك فى الجدل الذى ثار بين المسيحيين حول طبيعة المسيح ، وانقسامهم إلى معسكرين رئيسين ، وقد وجد كل من الفريقين فى الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو عدته لتدعيم رأيه . كما وجدوا فى الشروح التى وضعت باللغة اليونانية على الكتاب المقدس جلاء لكثير مما غمض عليهم من أمر هذا الدين الجديد .

---

(١) اسمها الآن لاسيم على مسافة قصيرة جنوب غربى داقوق أو تاءوق فى بيث جرمى .

وكانت أهم هذه الشروح كتابات تيودور المفزوستى وغيره من كبار اللاهوتيين، أمثال أغريغوريوس النزيانزى القبادوقى : وباسيليوس ، وأغريغوريوس اسقف نيصص ، ويوحنا فم الذهب الأنطاكى ، الذى كان لهم شأن فى النزاع الكنسى وانتفع النساطرة وكذا أصحاب الطبيعة الواحدة بما كتبه هؤلاء فى الجدل فى عصر متقدم مما يجعلنا نذهب إلى أن ترجمة هذه الكتابات الى السريانية : كانت متداولة فى القرن الخامس .

وقد عملت أيدى النقلة فى هذا العصر أيضا فى ترجمة رسائل اغناطيوس الأنطاكى السبع ، وخطاب برنابا ، وموعظة لأغريغوريوس الثاولوغى (صانع العجائب) ، المتوفى حوالى سنة ٢٧٠ م . « عن النفس » ، وبعض كتابات أخرى له ضاع أصلها اليونانى ، ومنها رسالته الى ثيوفنفوس . وترجم كذلك السريان خطاب يوليوس الإفريقى الى أرستيدس ، وعرفوا هيبوليتوس الرومى المتوفى حوالى سنة ٢٣٦ م . وترجموا الكثير من كتاباته ، وقد عرفت له بالعربية تراجم لشروح على بعض أسفار الكتاب المقدس . وترجموا كذلك قوانين المجامع وقوانين مدنية ، منها القوانين اليونانية : وكتاب القانون السريانى الرومانى كما ترجموا كتابات الرهبنة لعدد من الكتاب ، أمثال أنطونيوس وأمونيوس ومكاريوس وايواجريوس ويوحنا الأسيوطى ونيلوس ومرقس

ولكتابات الرهبنة هذه قيمة كبيرة فى تاريخ الرهبنة والقيادة الروحية عند المسيحيين الآراميين الشرقيين ، وقد ترجمها النساطرة على الأرجح ، ولكنها وصلت الينا فى مخطوطات يعقوبية ترجع الى عصور متقدمة .

وترجم السريان أيضا عدداً من القصص يدور موضوعها حول الرهبان المصريين فى عصر يرجع إلى ما قبل انقسام الكنيسة السريانية . ثم ترجمت عن السريانية إلى العربية : مثل رسائل القديس انطونيوس ، التى كتبت بالقبطية

الصعيدية أولا ثم نقلت إلى اليونانية ومنها إلى السريانية . والكتاب المنسوب إلى بلاديوس الراهب الغلطى المتنسك الذى زار مصر فى القرن الرابع الميلادى ، وقد نقل هذا الكتاب من اليونانية إلى السريانية قبل نهاية القرن الخامس ، ووضع له مختصر بالسريانية . وكذلك ترجمت الى السريانية سير شهداء اليونان ، وكان لها قيمة أدبية فى لغتها اليونانية . ومن بين ما ترجم إلى السريانية سير شهداء مدينة سبسطية الاربعين ، وسير قزمان ودميان وكبريان ويوسطا ، وأعمال بنتاليون ورفاقه ، وأعمال القديسة صوفيا وبناتها بستس والبس وأغابى ، وسير بعض قديسى أنطاكية وميساط وروما والإسكندرية ومصر وتسالونيكى وقبادوقية .

وكانت المدرسة الفارسية فى الرها هى المركز الأساسى للدراسة اليونانية والنقل إلى السريانية فى هذا العصر . وأول أثر وصل إلينا عنها ترجمة آراء أكليمنس الإسكندرى فى العقيدة ، وكتابات طيطوس البصرى ضد المانوية ، وتاريخ أوسابيوس عن المؤمنين فى فلسطين ، وقد بقيت لنا فى مخطوطة محفوظة بالمتحف البريطانى ترجع إلى سنة ٤١١م . وكذلك تاريخ الكنيسة لأوسابيوس . وقد وصل إلينا فى مخطوط بمكتبة بطرس برج (لننجراد) وتاريخه سنة ٤٦٢ م . كما ترجم ايساغوجى لفرفوريوس ثلاث تراجم على الأقل فيما بين القرن الخامس ومنتصف القرن السابع . وأقدم شروح ايساغوجى السريانية مستقلة عن الشرح اليونانى لأمونيوس ، ويرجع هذا الشرح إلى عصر الازدهار الأول للدراسات السريانية اليونانية الذى انتهى بإغلاق المدرسة الفارسية النسطورية فى الرها سنة ٤٨٩ م .

ونحن لا نعرف شيئا عن أقدم المترجمين ، أما أقدم المخطوطات فكلها رهاوية ، والغالب أن ما تشتمل عليه من كتب قد نقل الى السريانية فى حياة مؤلفى هذه الكتب أو بعدهم بقليل ، فإن أوسابيوس قد توفى سنة ٣٤٠ م .

وتوفى طيطوس سنة ٣٧١ م . وترجمت كتاباتهما قبل سنة ٤١١م . وهو تاريخ مخطوط بالمتحف البريطانى ، وأغلب الظن أن هذا وذاك وأمثالهما من المؤلفين باليونانية كان لهم أصدقاء فى مراكز التعليم السريانية ، وأن هؤلاء الأصدقاء كانوا على استعداد لأن يقدموا لهم نفس الصنيع الذى قدمه ربولا لكيرلس كما ذكرنا من قبل .

وكلما تقدم الزمن ازدادت معلوماتنا عن الكتب المترجمة وأصبحت أكثر دقة فيظهر أولا اسم المترجم ، ثم تزداد معلوماتنا فنعرف بعض مدارس للترجمة تتميز كل مدرسة منها بطابع خاص .

وأول مترجم ظهر اسمه على تراجمه هو « معنا » وهو فارسى الأصل من شيراز . بدأ حياته فى الرها فى المدرسة الفارسية ، وكان يترجم فيها من اليونانية إلى السريانية كتابات تيودور المفزوستى . ثم انتقل إلى مدينة فارس بعد وفاة إيهيبا سنة ٤٥٧ م — فيما يقول سمعان البيت أرشامى حينما تعرض لحديث عنه بين المبرزين من علماء النساطرة الذين جعل منهم موضوعا لسخريته ، وكان يلقبه بـ « شارب الرماد » .

وظهر نشاطه الأدبى فى عصر فيروز الساسانى (٤٥٧ م — ٤٨٤ م) وله مداريش وميامر باللغة الفارسية للأغراض الطقسية ، وثمانية كتب بالسريانية فى شرح الفلك والنجوم ، وقد وصلتنا أجزاء منها .

وقد خلط صاحب تاريخ النساطرة بينه وبين سمى له كان فى الرها ورحل عنها أيام ربولا إلى بلاد الفرس وخلف يبالاها جاثليقا على سلوقيا سنة ٤٢٠ م . وترجم كثيراً من الكتب السريانية إلى الفارسية .

وتقول المصادر إن أعضاء المدرسة الفارسية أتموا العمل الذى بدأه « معنا » ،

والذى لانعرف ما هو على وجه التحقيق ومنهم كومى الذى ترجم شروح تيودور والذى تعد ترجمته من أقدم التراجم ، وقد وصلتنا منه ترجمة غير كاملة لكتاب « ناسوت المسيح » ذكرها جناديوس . ومنهم ثاودوريتوس وهو من أتباع إيهيبا ، اشتهر جدله ضد أصحاب مجمع أفسس ، وأصحاب الطبيعة الواحدة .

وكان النساطرة بدأوا يشعرون بحاجتهم الماسة إلى دراسة فلسفة أرسطو ، وكان بروبا أول من ترجم ارسطوا فيما نعلم ، حين كان رئيس الشمامسة ورئيس الأطباء فى أنطاكية . وليس من اليسير تحديد الزمن الذى عاش فيه على وجه التحقيق . وذكر عبد يشوع إنه كان معاصراً لإيهيبا فى النصف الأول من القرن الخامس وأورد السمعانى اسمه محرفاً « فوبرى أو فوبربوس » وتابعة رينان على هذا التحريف . أما الكتب العربية كالفهرست لابن النديم وطبقات الحكماء لابن أبى أصيبعة فقد ذكرته خطأ باسم القوبرى أبى إسحاق ابراهيم ، وهو ارسطى من السريان العرب عاش حوالى أوائل القرن العاشر الهجرى :

ويرجع إلى بروبا الفضل فى نقل منطق أرسطو إلى الأماكن الارامية الشرقية ، إلى جانب ترجمته لكتاب بارى أرمنياس وأنالوطيقا . ولم يكتف بالترجمة ولكنه شرح منطق أرسطو من وجهة نظر السريان الشرقيين ، وكما شرح إيساغوجى لفورفوريوس الصورى وأنالوطيقا وبارى أرمنياس ، وله كذلك رسالة فى استعمال حروف الأبجدية السريانية لتأديه الأرقام عند السريان . وقد نشر زاخاو بدايتها وتوضيح طريقة استعمالها فى فهرسه للمخطوطات السريانية بمكتبة برلين .

أما المؤلفون الذين كتبوا باليونانية وترجمت كتاباتهم إلى السريانية فكان أشهرهم تيودور المفزوستى . فإنه وإن لم يكتب بالسريانية إلا مقطوعات قليلة : فإن ما كتبه باليونانية كان مرجعاً هاما للمفسرين من السريان فى جميع العصور ،

وقد نقل كله إلى اللغة السريانية . ولم يصل إلينا النص السرياني لكثير من هذه التراجم السريانية . وقد وصف صاحب تاريخ النساطرة تيودور بقوله : « إن الله وهبه فضيلة لم يسبقه إليها غيره فى معرفة البرهان واختراع التأويل ، مستعيناً بجميع الكتب العتيقة والحديثة » .

ولد تيودور من أب من أهل اليسار فى انطاكية . ودرس الفلسفة فى حداثته وتتلمذ على باسيليوس الكبير ، وآثر الرهبنة على غيرها ، ولكن رهبان الدير الذى قصده امتنعوا من قبوله ، فلبث بباب الدير سنة لا يبرحه ، فلما عرف الرهبان فضله أذنوا له بالدخول فمكث فى الدير إحدى وعشرين سنة كان الرهبان خلالها يسألونه تفسير الكتب وهو يجيبهم إلى ما سألوه . ولبث خمساً وخمسين سنة يكد بالنظر فى الكتب والتفسير ومقاومة أهل البدع . حتى توفى سنة ٤٢٩ م . فيما يقول ابن العبرى . وكان له كثير من التلاميذ منهم يوحنا بطريرك إنطاكية ، والاسكندر مطران منبج ، وفلافيانوس بطريرك القسطنطينية ، ونسطوريوس بطريرك القسطنطينية ، وثاودوروس أسقف قورس ، وملاتيوس الذى كان أسقف المصيصة .

وقد عرفنا من شروحه شرحاً على الأنبياء الأثنى عشر فى جزءين ، ومجلداً يشمل شرح سفر الجامعة ، وشرحا على المزامير فى خمسة أجزاء ، وشرحا على أيوب فى جزءين ، وشرحا لصموئيل واشعيا وحزقيال وأرميا ودانيال ، من كتب العهد القديم . وشرحا من العهد الجديد : الأناجيل الأربعة ، وأعمال الرسل وبعض رسائل بولس .

وقد ذكر فوتيوس أنه عرف له ٢٨ كتابا باللغة السريانية لم يعرف لها أصل يونانى وذكر بعض القدماء أن له كتبا يعارض فيها القائلين بالرمزية ، وكتابا فى الرد على أبوليناريوس ، وكتابا فى شرح رمز العماد وسر الأسرار المقدسة ،

ومجموعة من الرسائل فى كتاب يسمى كتاب الجواهر. وكتابا فى تفسير الأمانة التى وضعها مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر ، وتفسير الرازين. وكتابا فى إنسانية المسيح، وكتابا فى كمال التدبير ، وكتابا فى الرد على من قال إن الخطيئة شىء فى الطبع ، وكتابا عن الروح القدس ، وكتابا فى الكهنوت ، وكتابا فى الرد على المجوس ، وآخر فى الرد على أومانيس ، ومقالة عن مجىء الدجال ، وكتابا فى تفسير مذهب آريوس ، وكتابا فى الرد على أهل البدع سماه كتاب الجوهر .

وكان أغريغوريوس النزيانزى المتوفى سنة ٣٨٩ م . أحد الذين ترجمت كتاباتهم من اليونانية إلى السريانية . وعرفت له ترجمة سريانية لرسائله ، وله مواعظ عند النساطرة واليعاقبة وتعرف المكتبة العربية له عدة ميامر ذكرها أبو البركات فى قائمته ، ومقالات فى مجلد ضخم يبلغ نحو الف صفحة ناقص فى أوله . والراجح أن الذى عرب هذه الميامر والمقالات هو عبد الله بن الفضل الانطاكى فى أوسط القرن الحادى عشر . وله أيضا كتاب مسائل القديسين :أغريغوريوس وباسيليوس ، ورؤيا أغريغوريوس وما شاهده فى السماء والجحيم . وتسبيحة التقديس المعروفة بالترياجيون (التقديسات الثلاث) وشرح المفريان شمعون الطورانى على مقـــالة القديس أغريغريوس فيها ، وتفسير ما قاله القديس أغريغوريوس الثاولوغوس لتلميذه مار افرام ، ورسالة للقديس اغريغوريوس فى تشبه الإنسان بطبائع الحيوان ولها عنوان آخر هو الفاظ القديس أغريغوريوس عن الأشياء المخلوقة . ويغلب على الظن أن بعض هذه الكتابات المترجمة محمول على أغريغوريوس .

وكذلك ترجم إلى السريانية كثير من كتابات باسيليوس الكبير أسقف قيصرية (٣٢٩ م — ٣٧٩ م) فى العقيده والرهبنة والمواعظ ، كما ترجم كثير من رسائلة وتعرف المكتبة العربية الكثير من أعماله , منها كتاب الأكساميرون

أى تفسير الأيام الستة للخليقة ترجمة عبد الله بن الفضل الأنطاكى ، وقوانين باسيليوس ونسكياته ، وكتاب ترتيب الرهبان النساك وقوانينهم ، وكتاب صلاح الحكيم وفساد الذميم ، ومسائل باسيليوس وجريجوريوس ، وميامر باسيليوس ، وليتورجيته (قداسه) .

أما جريجوريوس النصيصى الذى كان أسقف نصيص (حوالى ٣٣٥ م — ٣٩٤ م) فقد ترجم له إلى السريانية أعمال مختلفة فى العقيدة والمواعظ والرهبنة والجدل . وتعرف المكتبة العربية عدداً من كتبه ترجمها عبد الله بن الفضل الانطاكى وغيره ، منها تفسيره لنشيد الأناشيد ، وحكمة سليمان ، وسفر الجامعة ، وشرح عنوانات المزامير ، وكتاب خلقة الإنسان ، وهو تتمة كتاب الإكسيماروس الذى وضعه القديس باسيليوس ، وكتاب الفردوس العقلى ، وكتاب مختصر كنز الأسرار ، وكتاب الأبواب فى صفة طبيعة الإنسان ، الذى ترجمه من اليونانية إلى العربية حنين بن إسحاق ، وكتاب مديح القديس اغريغوريوس للقديس إفريم ، وكتاب إيساغوجى ، وهو المدخل إلى قاطيفورياس وهو ذو فائدة فى تقسيم المعانى وتفهيم أصول العقيدة التى عليها أسست المعانى .

وكذلك ترجمت إلى السريانية كتابات يوحنا فم الذهب (٣٥٤ — ٤٠٧م) بطريرك القسطنطينية وإمام الخطباء الكنسيين ، وسمى لعذوبة حديثه بفم الذهب وأكثر كتاباته شروح على الكتاب المقدس ، وجعل شروحه على طريقة التعليم ، وآخر مقالاته مواعظ . وفسر متى ويوحنا فى أربعة كتب ، وله رسائل بولس ، ورسائل الأعياد ومقالات فى الكهنوت ورسائل ينتقد فيها كل من يعتقد مذهبا فاسداً . وتعرف المكتبة العربية كثيراً من كتابات يوحنا جلها من ترجمة عبد الله بن الفضل الانطاكى ، منها شرحه لسفر التكوين وأيام الخليقة الستة وشرحه لإنجيلى متى ويوحنا ، وبعض رسائل بولس ، وكتاب الكهنوت ، وكتاب

المواعظ ، وكتاب الدر المنتخب ، ويشمل ٣٤ مقالة ، وعن أيوب الصديق ، وليتورجيه ، وميامر متفرقة فى الكتب الدينية والمجاميع الروحية وله سيرة من وضع جاورجيوس بطريرك القسطنطينية فى القرن الثانى عشر .

وكذلك ترجمت إلى السريانية بعض مواعظ ورسائل لاثناسيوس الرسولى أو الاسكندرى (٢٩٥ م . — ٣٧٣ م .) وتعرف له المكتبة العربية تراجم لبعض كتب تنسب إليه ، منها كتاب البرهان ، وكتاب الرد على اليهود ، وعدد من المواعظ والميامر والخطب .

وقد ترجم إلى السريانية فى هذا القرن مجموعة قوانين يونانية أستخدمت فى مجمع الجاثليق يب الله ، ككتاب قوانين لمسيحي الفرس ، ويشمل — إلى جانب القوانين الرسولية — قوانين مجمع نيقية ، والمجامع الشرقية المحلية فى انقرة وقيصرية الجديدة (٣١٤ م — ٣٢٥ م) وجنجرا وانطاكية واللاذقية . وقد زيد عليه بعض قوانين مجمعى أفسس وخلقيدونية فى وقت متأخر وعرفت هذه المجموعة فى منبج سنة ٥٠٠ م . وهى فى العربية باسم كتاب الناموس فى قوانين الرسل والآباء والمجامع . ترجمة الياس الدمشقى ابن الجوهرى مطران القدس النسطورى المتوفى فى أوائل القرن العاشر .

وفى هذا القرن أيضا ترجم إلى السريانية كتاب القوانين السريانية الرومانية ، ويعرف باسم كتاب الناموس الذى وضعه القياصرة : قسطنطين ، وثاودوسيوس الأول ، ولاون (ليو) ، وهى قوانين دنيوية وضعت للشئون السريانية الكنسية . ويغلب على الظن أن أحد رجال الدين قد صنف حوالى سنة ٤٧٦ م . كتاب القانون الرومانى باللغة اليونانية ليسد به فراغا ، شعر بضرورة ملحة إلى ملئه . ومع أن المؤلف قد توخى فى وضع كتابه اللباقة والمنهج العلمى إلا أنه كانت تنقصه الثقافة القانونية ، وأكمل جزء فيه الجزء الخاص بالزواج والميراث .

والراجح أن تأليف هذا الكتاب كان فى الفترة التى تقع بين موت لاون سنة ٤٧٤ م ، حيث ذكر اسمه عدة مرات ، وبين ظهور كتاب فى القوانين لزينون (٤٧٤ م — ٤٩١ م) وكان هذا القانون يطبق فى سوريا بين أصحاب الطبيعة الواحدة ، ولا يستبعد مطلقاً أن يكون ذلك القانون غريبا فى نشأته عن هذا الإقليم ، إلا أنه كان معمولا به هناك . وقد سماه العلماء بالقانون السريانى الرومانى نسبة إلى مصدره والجهة التى كان معمولا به فيها . وقد سمى فى مخطوط متأخر باسم « كتاب القوانين الذى منحه المؤمنون والمحبون لله القياصرة « قسطنطين وثاودوسيوس ولاون » . والسبب فى نسبة هذا الكتاب إلى هؤلاء الأباطرة ورود أسمائهم فيه .

ونحن نرجح أن أقدم ترجمة لهذه القوانين السريانية كانت فى الربع الأخير من القرن الخامس بعد سنة ٤٦٨ م . وقد وصلتنا أربعة نصوص سريانية لهذا الكتاب وترجمة أرمنية وأخرى عربية من وضع النسطورى أبو الفرج عبد الله ابن الطيب . وقد عرفت أول ترجمة سريانية له عند أصحاب الطبيعة الواحدة ، والثلاثة الباقية عند النساطرة ، وهى قريبة الشبه من بعضها . ويرى الأستاذ نللينو المستشرق الإيطالى أن هذا الكتاب لم يكن موضوعا للتطبيق العملى ، ولكنه كتاب علمى مدرسى ، كان الغرض منه تعليمى محض ، وأنه وضع باليونانية أولا حوالى سنة ٤٧٦ م . وأن المؤلف ليس من أصحاب الطبيعة الواحدة ولكنه ملكى المذهب من أتباع الدولة الرومانية الشرقية ، غير أننا لا نستطيع أن نجزم أنه كان من رجال الدين . ويرجح الأستاذ نللينو أن ترجمته إلى السريانية وإدماجه فى القانون النسطورى كان فى أواسط القرن الثامن ، لأنه ثابت أن النساطرة لم يعرفوا عنه شيئا قبل هذا القرن . وقد ذكره أبو الفرج حين ذكره لمجمعى الجاثليق جاورجيوس الأول سنة ٦٧٦ م . والجاثليق حنانيشوع الثانى سنة ٧٧٥ م .

وما ذهب إليه الأستاذ نالينو صحيح فيما يختص بالترجمة السريانية النسطورية، ولكن الراجح أن أقدم ترجمة لهذه القوانين كانت ترجمة أصحاب الطبيعة الواحدة فى أواخر القرن الخامس . ثم ترجمها النساطرة بعد ذلك فى أواسط القرن الثامن ، وأخذها الملكيون بعد ذلك باسم قوانين الملوك ، وكان ذلك فى مصر على الأرجح ، وفيها ترجمت إلى العربية فى نهاية القرن الحادى عشر ، ثم اتخذها الموارنة بعد ذلك مع بعض التحوير باسم «كتـــاب الهدى» . أما عند الأقباط فقد استعان به أولا البطريرك المعروف بابن تريك غبريال الثانى (١١٣١ م — ١١٤٥ م) فى وضع نظام الميراث ، ولكنه سرعان ما ظهر عند الأقباط بعد ذلك ضمن كتاب «الكتب الأربعة فى قوانين الملوك» ، وقد أشار الصفى بن العسال إلى ذلك فى مقدمة كتاب المجموع الصغرى . ويشمل هذا الكتاب كما عرفه الملكيون والأقباط ١٣٠ مادة .

القصص السريانى
فى القرن الخامس

فى هذا القرن نرى لأول مرة أن أدب اللغة الآرامية الشرقية بدأ يستخدم القصص ، وكان القصص أول أمره متصلا ببعض النـاحى الدينية : فكان منه ما هو متصل بالتبشير فى الرها كما هى الحال فى سيرة أدى وأعماله ، وقد عرضنا لها عند الحديث عن انتشار المسيحية فى بلاد السريان (ص ٤٤ وما بعدها) ، وما هو متصل بالقصص فى الكتاب المقدس كقصة مغارة الكنوز التى هى مزيج من قصص العهدين القديم والجديد ، وسيرة يوسف الصديق المنظومة التى رأينا لها صورتين تنسب أولاهما إلى بالى والثـــانية إلى نرسى . ومنه قصص محلية وضعت فى الرها لتمجيد أعمال القديسين كسيرة جوريا وشيمونا وحبيب أو قصص وضعت فى الرها وانتشرت فى الغرب بعد ذلك عن طريق اليونانية واللاتينية ، كسيرة الكسيوس رجل الله ، وقصة منظومة عن برص قسطنطين الأكبر وشفائه،

وقصة النائمين السبعة من أهل أفسس التى تعرف فى العربية باسم أهل الكهف ، وقصة برلام ويوسف . ثم قصص غربية دخلت إلى السريانية ، كقصة ظهور الصليب ، وقصة مريم ، وسير شهداء اليونان .

أما قصة مغارة الكنوز فاستمدت عنوانها من المغارة التى يقال إن آدم كان قد اختبأ فيها بعد خروجه من الجنة ، وهى تقوم على أصل كان ذائعا فى الأوساط اليهودية المسيحية للدفاع عن نسب المسيح ضد ما وصمه به اليهود ، وفى الظن أن هذا الأصل يرجع إلى أواسط القرن الرابع وإلى مصادر أقدم من ذلك ، مثل كتاب آدم الذى كان معروفا عند أصحاب شيث والذين مذهبهم تمجيد شيث بن آدم ، وتسلسل النسب من شيث إلى مريم والمسيح وكتاب مغارة الكنوز يملوه أصله السريانى بمواد قصصية مختلفة ، ويظهر فيه حوار قائم على الجدل بين النساطرة وأصحاب الطبيعة الواحدة ، ولذلك فقد اشتهر عند النساطرة واليعاقبة على السواء ، وتنسب هذه القصة خطأ إلى إفريم . وقد ترجمت إلى العربية فى عهد متقدم وقد وصلت إلينا هذه الترجمة على رأس مجموعة تحت عنوان « كتاب المجال » . وترجمت أجزاء منها إلى الحبشية القديمة .

وأما قصة برص قسطنطين الأكبر وشفائه بالمعمودية ، فيرجع نصها المنظوم إلى القرن الخامس ، وهناك نص نثرى يخالف النص المنظوم ، ويتفق مع ما عرف من هذه القصة فى اليونانية واللاتينية ، وهو أن تعميد القيصر كان فى روما . وبعيد أن يكون النص الأخير للقصة كتب بعد منتصف القرن السادس .

ومجمل هذه القصة أنه نزل بقسطنطين برص فلما انتقل إلى مدينة روما هرب من كان بها من المسيحيين خوفا على أنفسهم منه ، فأتاه قوم من الوثنيين وقالوا له : إن أردت أيها الملك أن تبرأ من برصك فاذبح أطفال هذه المدينة واغتسل بدمائهم ، فأمر الملك بذلك . فلما جمعت الأطفال ضجت المدينة بالبكاء ،

ورأى قسطنطين ذلك ، فرق قلبه ، ورجع عن عزمه ، وأعاد الأطفال إلى ذويهم ؛ وفى الليل رأى فى منامه رجلين يقولان له : إنك لن تبرأ من برصك إلا على يدى أوسابيوس أسقف روما الذى فر خوفا منك ، فلما أصبح الملك أمر فأحضر الأسقف ، وقص عليه ما رآه فى منامه . فأخبره الأسقف أن الرجلين هما بطرس وبولس من تلاميذ المسيح ، وعرض عليه صورتهما فعرفهما الملك ، واعتنق المسيحية ، وما كاد يفعل حتى سقط البرص من جسمه مثل قشور السمك ، وبرىء الملك من علته .

أما قصة النائمين السبعة التى تعرف فى العربية باسم قصة أهل الكهف فقد بدأت تتطور منذ منتصف القرن الخامس فكانت ذات صيغتين : إحداهما نسطورية ، والثانية مع أصحاب الطبيعة الواحدة .

أما قصة ابن الملك يوسف ومعلمه المسيحى « برلام » فهى من أخير القصص الروحية فى العصور الوسطى وأشهرها ، وقد أصبحت بفضل اتجاهها الأدبى والأخلاقى من الكتب الدولية الشعبية ، وضع أصلها بالسريانية ، وضعه بعض المبشرين من السريان النساطرة الذين رحلوا إلى الهند ، والراجح أن مادة القصة تعتمد على أصل بوذى وأنها لقيت رواجا فى خلقيدونية وفى مناطق أصحاب الطبيعة الواحدة ، ومع ذلك فإن رواجها فى هذه الأقاليم لا يمكن أن يكون دليلا على أنها من وضع أصحاب الطبيعة الواحدة . والذى نرجحه أنها نقلت من السريانية إلى اليونانية ، وأن الذى وضعها بالسريانية صقلها بالطابع المسيحى لكى توائم ذوق الشعب الذى كتبت له . فلما ترجمت إلى اليونانية صقلت بالطابع اليونانى أيضا ، وعن اليونانية وصلت إلى العالم العربى ، ثم نقلت إلى الأرمنية والعربية والحبشية القديمة . ويعزى النص اليونانى إلى يوحنا الدمشقى ، وهناك من يرى أنه يرجع إلى راهب فلسطينى اسمه يوحنا وأن المؤلف عاش

فى أواخر القرن العاشر . وهناك من يرى أيضا أن أصل النص الذى ترجم إلى اليونانية عربى إسلامى منقول عن ترجمة بهلوية لقصة بوذية ، وأن أول ترجمة عربية كانت فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وكلها احتمالات ضعيفة إذ أن أقدم نص سريانى لهذه القصة يرجع إلى القرن الخامس .

وملخص القصة أنه كان بأرض الهند ملك كبير يحب الدنيا ويعمل جاهداً لها ، ويكره الزهد ، ويحرق الزاهدين . فلما كان ذات يوم سأل عن رجل من خاصته ، فقيل له إنه قد زهد فى الدنيا ، فعظم ذلك عليه ، وأرسل فى طلبه . فلما مثل بين يديه ، أنكر عليه الملك اهلاكه لنفسه ومفارقته لأهله ، فأجابه الناسك بأن الدنيا إلى فناء : لحياتها موت ، وغناها فقر ، وفرحها حزن ، وشبعها جوع ، وصحتها سقم ، وقوتها ضعف ، وعزها ذل ، ولذتها ألم ، وأنها الصاحب المؤذى ، والطريق المهلك ، والمركب الخشن ؛ تجمع لصاحبها الأغانى والمضحكين والمادحين ، ثم تجمع عليه النوائح والباكين والنادبين ؛ واستمر الناسك على ذلك يصف الدنيا وأهلها فى حديث طويل ، وما انتهى منه حتى سأل الملك هل يريد أن يصف له الآخرة فلم يكن جواب الملك إلا أن جازاه بالشقاء والحرمان وبطرده من مملكته .

ويدور الفلك ويرزق الملك بغلام بعد يأس ، فيجمع المنجمين والعلماء فيبلغونه أن هذا المولود سيبلغ مرتبة لم يبلغها ملك من ملوك الأرض ، وأنه سيكون إماماً فى النسك ، فيشيع الحزن والبؤس فى نفس الملك من أجل ذلك ، ولكنه يطرق حيناً ثم يأمر فإذا مدينة قد أخليت ممن فيها ، وإذا بين يديه جماعة ممن نبغوا فى التربية ، وإذا هو يلقى إليهم بأنه سيعهد إليهم بولى العهد ويوصيهم بألا يذكر أحدهم شيئا عن الموت أو الآخرة ، أو الدين أو الزهد ؛ ولا أن يسمحوا لبصره بأن يقع على شىء مادى تستفاد منه هذه المعانى .

وينظر الملك فإذا للنساك منزلة فى قلوب النـاس ، ولـكنه لا يطمئن لذلك ويأمر بنفيهم من بلاده ، ويتوعدهم بالقتل ، فأخذوا فى الهرب والتخفى .

وكبر ابن الملك ونبت نباتاً حسنا ، ونشأ عالما فاضلا ، ولـكنه نظر فإذا أمره إلى جماعة لم ير لهم على نفسه فضل، وإذا هم يحاصرونه فى ذلك البلد وهو لا يفهم لذلك معنى ، فمال إلى واحد كان يأنس اليه من هذه الجماعة وما زال به حتى استوضحه جلية الأمر . فـكاشف أباه بأنه يرى فى مقامه هذا ضيقا وسوء حال ، ويتعال الأب بأنه انما يريد أن يبعد عنه الأذى حتى لا يرى ولا يسمع الا ما يسره ، ولـكنه رأى أن حبسه لن يزيده إلا اغراء ، فأمر المربين أن يخرجوا به الى ظاهر المدينة وأن يجنبوه النظر الى ما يسوء ، ولـكنه سرعان ما يرى الشيخوخة ويعلم أنها بداية طريق الموت ، ثم يسأل عن طول الطريق التى تنتهى بالمرء الى هذه الخاتمة ، فيعلم أنه مهما طال فلن يجاوز المائة عام ، ثم يتدبر الأمر فيرى الأيام تمر سراعا ، وأن الأجل غير طويل ، وأن الأمر لغير ما نشتغل به . فانصرفت نفسه عن الدنيـا ، ثم سأل فعلم أن هنـاك جماعة هم النساك يختلف شأنهم عن عامة الناس ، يرفضون الدنيا ويطلبون الآخرة ، ولـكنه يعلم أن الناس يعادونهم وأن الملك أباه قد نفاهم وأحرقهم بالنار .

تقول القصة إن أمر ابن الملك قد اشتهر حتى بلغ ناسكا اسمه برلام فسار حتى بلغ المدينة التى يقيم فيها وخلع لباس النساك ولبس ثياب التجار واحتال حتى وصل إلى ابن الملك ، وما زال به يشبه له الناسك بتابوت النار المملوء بالذهب ظاهره غث وباطنه ثمين ، ويشبه له المتزينين من الأشراف بتابوت الذهب المملوء بالجيفة القذرة النتنة ، ثم ما زال به يضرب له الأمثال عن الدنيا وغرور أهلها بها وما هم عليه . وعن صاحب الدنيا المغرور فيها بما لا ينفعه ، ويصف له الحـكمة . وابن الملك منصت يستزيده ويتمنى لو يسمع أبوه شيئا من هذا الـكلام

وهو مع هذا مشفق عليه متوجع له . ثم أخذ الناسك يوضح له الفرق بين النساك وبين عباد الأصنام . ولم يزل برلام يتردد على ابن الملك أربعة أشهر وهو يغذيه بلبان الحكمة ويدني نفسه إلى الزهد في الدنيا ، وفي يوم زعم برلام أن له عيداً يريد أن يحضره مع أصحابه . فقال له ابن الملك : أنا أخرج معك . فقال له برلام : إن خروجك معي فيه تحريض للملك عليّ وعلى أصحابي ، وإن بقاءك عند الملك تكفه عن أهل الدين ، وفي ذلك عبادة لك . وخرج برلام بعد أن تعاهدا على أن يرجع لابن الملك قبل أن يحول الحول .

أما قصة العثور على الصليب فالظاهر أنها طارئة على الرها ، دخلت اليها من الغرب ، مما رواه أمبرسيوس وروفينوس عن قصة هيلانة الإصلية ، وهي تعارض هنا ماجاء في سيرة أدى التي ذكرت أن بروتونيكي زوجة القيصر كلاودوس ، هي التي عثرت على الصليب ومن هذه القصة السريانية ، ومن القصة الغربية قصة هيلانة نشأت قصة سريانية تدور حول عثور هيلانة على الصليب . وأن إيهوذا قرياقس أسقف بيت المقدس اليهودي الأصل قد لعب دوراً هاماً في العثور عليه . ولم تكتف السريانية بنقل النص الموجود في اليونانية واللاتينية بل أضافت إليه قصة استشهاد إيهوذا قرياقس .

وقد درس العلماء هذه القصة في لغاتها المختلفة شرقية وغربية ، غير النص العربي فإنه لم يدرس دراسة علمية صحيحة ، والراجح أنه مأخوذ عن السريانية ، وقد أستخدمت العجائب المعزوة إلى الصليب في بعض الأغراض الجدلية ، كما استخدمت في تبرير عبادة الصليب .

وترجع القصة إلى السنة السابعة من ملك قسطنطين حينما خرجت جيوش البربر لغزو بلاد الروم وتخريبها ونزلت على نهر دوبانيس ، ويرى قسطنطين ذلك فيبرز اليهم في جيشه ، وينزل بحيث يقاربهم من هذا النهر ، ويعزم على لقائهم ،

ولكنه يعلم بوفرة جيشهم وكثرة عدته ، فيجبن عن مقارعتهم ، ويزداد اضطرابه حين يعلم بعزم العدو على مباكرته ، وينام مهموماً فيرى فى منامه أنه ينظر إلى السماء فيراها تنفتح عن ضوء عظيم يصدر عن صليب مؤلف من الكواكب ، وإذا هو يقرأ بين هذه الكواكب ، إنك تغلب بهذا الصليب ، فيهب قسطنطين من نومه متعجلا ، ويأمر بصياغة صليب من الذهب بنفس الشكل الذى رآه فى منامه ، ويأمر بوضعه على رأس علمه ، ويتحرك جيشه لملاقاة العدو فيوقع به الهزيمة .

تقول القصة : ثم إن الملك جمع علماء اليهود والوثنيين ليتجادلوا مع المسيحيين فى أمور الدين بحضرته ، فلما تبين له رجحان كفة المسيحية أبعد اليهود والوثنيين عن مراتب الدولة ، ثم سأل عن خبر الصليب فأنبىء به ، ثم سأل عن مكانه فلم يجد من يعلم ، إلا أنه كان فى بيت المقدس ، فكلف هيلانة والدته بالمسير إلى بيت المقدس والاهتمام بالبحث عن هذا الصليب ، فتوجهت إلى هناك فى عسكر جرار ، وزودها بالأموال الوفيرة وستور الديباج الفاخرة ، والأوانى المقدسة للمذابح من الذهب والفضة ، وكان اليهود قد دفنوا الصليب والمسامير فى بئر وجعلوا عليها مزابل أهل البلد حتى صارت مع طول الزمان كالجبل العظيم . فلما وصلت هيلانة إلى بيت المقدس استدعت الكسندروس أسقفها وأعلمته بما جاءت من أجله ، وأمرت باستدعاء وجوه اليهود ، ولما حضروا مجلسها سألتهم عن الصليب — وكان بينهم واحد اسمه إيهوذا كان معروفا أن أباه قد أخبره بموضعه — فأجمعوا على أن الذى يعرف موضعه هو إيهوذا .

تقول القصة : ثم إن هيلانة انطلقت ومعها ايهوذا حتى دلها على المزبلة . فأخذت هيلانة تذر فوقها المال ، والناس يحتفرونها بحثا عن المال ، حتى رفعوا المزبلة من فوق البئر ، وتقدم ايهوذا إلى الموضع واحتفره ففاحت منه رائحة ذكية ، فوصل الحفر حتى وجد ثلاثة صلبان فأخرجها ، ثم سئل عن المسامير

فعاود الحفر حتى وجدها . وبينما كانت هيلانة تفكر كيف تميز صليب المسيح من صليبي اللصين اذ أقبل قوم وبين أيديهم سرير ميت ، فقال ايهوذا الآن تتعرف أيها صليب المسيح ، وأخذ يضع الصليبان واحداً بعد الآخر على جسد الميت ، فلما وضع الصليب الثالث نهض الميت فضج الناس للآية . وأخذت هيلانة الصليب وصفحته بالذهب ورصعته بالجواهر واتخذت له تابوتا من الذهب أودعته فيه وصاغت من المسامير لجاما لفرس ابنها . أما ايهوذا فإنه مال الى المسيحية واعتنقها واتخذ لنفسه لقب قرياقس ، ثم رسم أسقفا على بيت المقدس بعد وفاة الكسندروس أسقفها .

وآخر القصص التي تنسب الى هذا القرن هي قصة مريم ، وقد وضعت حيث المتكلمون بالسريانية ، ووصلتنا في نصين مختلفين حوالى سنة ٥٠٠ م . الأول قريب الشبه جداً من أسلوب رسالة ليوحنا الرسول ، والثاني قريب الشبه جداً من أسلوب ميمر ليوحنا التسالونيكي ويظهر في النص الأول تأثير قصة ابجر وقصة العثور على الصليب .

كتاب السريان

فى القرن السادس

كتاب أصحاب الطبيعة الواحدة

حملت أنطاكية لواء النساطرة فى الاعتقاد بالطبيعتين ، ولقيت آراؤهم معارضة شديدة من الآراء السكندرية التى كانت تقول بالطبيعة الواحدة . ولم يكن القرار الذى اتخذه مجمع خلقيدونية بحرمان النساطرة ذا أثر عليهم ، بل قابلوه بمعارضة وعناد قويين فى الشرق . وقد ظهر أثرهم قوياً إلى حد بعيد على الحكومة فى مناطق الكنيسة الآرامية الشرقية التى لا تتكلم اليونانية .

فلما انتقل النساطرة إلى بلاد الفرس شهد مطلع القرن السادس عصر اضطهاد عظيم لأصحاب الطبيعة الواحدة فيما بين سنتى ٥١٢ ، و ٥١٨ م . حينما كان سويرس الأنطاكى بطريركا على أنطاكية العاصمة الهلينستية فى بلاد السريان فى ذلك الحين . ومع أنه كانت لأصحاب الطبيعة الواحدة كنيسة قومية أعيد تنظيمها تبعا لآراء سويرس الأنطاكى . إلا أن تطور الأدب السريانى الخالص لأصحاب الطبيعة الواحدة قبل الإسلام لم يتعد أراضى الدولة الرومانية . ولم تكن آثارهم الأدبية أقل من الآثار التى خلفها النساطرة . أما الآثار التى ظهرت فى المملكة الساسانية فكانت ممزوجة بعناصر فارسية .

ومع أن أصحاب الطبيعة الواحدة كانوا يقيمون فى الأقاليم التى كان يظلها النفوذ الرومانى إلا أن قوة اتصال حركتهم الأدبية بالثقافة اليونانية كانت أقل مما كانت عليه عند النساطرة ، بل بعد السبق فى هذا الاتصال للنساطرة أيضا . فنحن نرى أن النساطرة هم الذين بدءوا بحركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية فى القرن الخامس ، على حين نرى أن الترجمة ظهرت عند أصحاب الطبيعة الواحدة بعد ذلك فى القرن السادس .

وقد ظهر من الكتاب المجيدين فى هذه الفترة اكسنايا أو فيلكسينوس المنبجى الكاتب الناثر المبدع ، وكان معاصره بوليكاربوس مترجماً ماهراً عن اليونانية ، وكذلك كان سمعان البيت أرشامى . وظهر إلى جانبهم فى هذا العصر يشوع العمودى الكاتب المؤرخ .

اكسنايا (فيلكسينوس المنبجى)

اسمه السرياني اكسنايا ، ومعناه الغريب. أما فيلكسينوس فهو اسمه باليونانية ومعناه محب الغريب . ولد فى المنطقة الفارسيه فى قرية طحل فى بيت جرمى بين الدجلة والزاب الأصغر . وتلقى العلم مع أخيه أدى على ايهيبا بالمدرسة الفارسية بالرها ، ولكنه خرج على تعاليم النساطرة التى كان يلقنه إياها أسقف الرها ، ورفض عقيدة أصحاب الطبيعتين ، وكان متحمساً لعقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة وخصص حياته للدفاع عنها ضد النساطرة وأصحاب مجمع خلقيدونية فى ضواحى أنطاكيا والجزء الشمالى مما بين النهرين على الرغم مما أصابه من الأذى على أيدى أعداء عقيدته ، وهو يتحدث بنفسه عن ذلك فى خطاب أرسله فى سنيه الأخيرة إلى رهبان ديرسنون بالقرب من الرها فيقول : « إن كل ما تحملته من فلابيانوس وما قيدونيس أسقفى أنطاكية والقسطنطينية ، وما قاسيته قبلهما على يد قلنديون معروف يتحدث الناس به فى كل مكان ، وإنى لألتزم الصمت عما لحقنى أيام حرب الفرس بإغراء فلافيان المهرطق وعلى ملأ من الأعيان ، وعما أصابنى فى الرها وفى أفامية وفى انطاكية عندما كنت فى دير القديس ماربسوس ، وفى أنطاكية نفسها ، وكذلك فى القسطنطينية التى شددت الرحال إليها فى مناسبتين . هذه الأشياء وأشباهها أصابتنى من النساطرة المهرطقين ».

بدأ حياته بمهاجمة النسطورية لكسر شوكة الدعاية القوية التى كانت تبثها المدرسة الفارسية فى الرها لعقيدة أصحاب الطبيعتين بما كانت تقوم به من تلقين هذه العقيدة . فطرده « قلنديون » بطريرك أنطاكيا ، فلما عزل قلنديون عن كرسيه سنة ٤٨٥ م . نادى به خلفه بطرس المشائى (القصار) أسقفاً على منبج ، ولم يكد يستقر على كرسيه حتى عاود العمل ضد المدرسة الفارسية فى الرها ، ويقولون إنه حرض الأسقف سيروس على إغراء الامبراطور زينون بإغلاق المدرسة الفارسية ، وقد تم له ما أراد فإن زينون أمر باغلاقها سنة ٤٨٩ م . ولم يكتف بذلك بل بادر بعد وفاة زينون سنة ٤٩١م بالانتفاع بما لأصحاب الطبيعة الواحدة من حظوة عند انسطاسيوس ، فسافر إلى القسطنطينية مرتين فى سنتى ٤٩٩م و ٥٠٦ م ، ليعمل على إيغار صدر الامبراطور ضد أصحاب الطبيعتين ، فكان ذلك سبباً فى استثارة ماقيدونيوس رئيس أساقفة القسطنطينية وفلابيانوس خليفة بطرس على كرسى بطريركية أنطاكيا (٤٩٨ م — ٥١٢م) فحقدا عليه ولم يكتفيا باضطهاده بل حاولا أيضا استئصال تعاليم أصحاب الطبيعة الواحدة بالقوة ولكن اكسنايا نجح أخيراً بمساعدة سوتيريخوس أسقف قيسارية فى قبادوقيا من استصدار أمر سنة ٥١٢ م . بنفى فلابيانوس ثم رأس مجمعا فى نفس العام انتخب فيه سويرس صديق اكسنايا خلفا لفلابيانوس على أنطاكيا . ولكن انتصاره لم يدم طويلا فإن جوستين خليفة انسطاس كان يشايع النساطرة ، فبدأ فى اضطهاد أصحاب الطبيعة الواحدة ، فأصدر سنة ٥١٩ م أمراً بعزله هو ونيف وخمسين أسقفا من أساقفة أصحاب الطبيعة الواحدة ونفيهم لامتناعهم عن التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونية الذى قرر أن للمسيح طبيعتين . واحدة إلهية وأخرى إنسانية ، وكان بين من نفى سويرس ويوحنا التلى ومارا الآمدى ، فنفى اكسنايا أولا إلى فيليبوبوليس مدينة فليبى فى تراقية (ولاية أدرنة) وفيها كتب رسالته إلى رهبان دير ستنوز سنة ٥٢٢ م . ثم نقل بعد ذلك الى غجرا فى

ولاية بافلاجونيا حيث لقى حتفه هناك غدراً فمات مختنقا بالدخان فى غرفته سنة ٥٢٣ م . وتحتفل الكنيسة اليعقوبية بذكراه فى ١٠ ديسمبر و ١٨ فبراير وأول ابريل من كل عام .

ومع أن اكسنايا كان رجل كفاح وجهاد فإنه كان — إلى جانب ذلك — أديباً نابهاً وكاتباً رقيق العبارة ، والسريان يعدونه فى المرتبة الأولى من كتابهم ومع أن السمعانى لم يترك فرصة للحط من قدره ، إلا أنه كان مع ذلك مضطراً إلى ان يعترف بأنه من خيرة كتاب السريان . وكان كفاحه من أجل العقيدة حافزاً له على إخراج هذا القدر من الأبحاث حول المسائل الدينية ، وكانت تغلب على كتاباته هذه طابع المؤمن الذى يدافع عن عقيدته لا طابع المفكر النابه كما يغلب على بقية مؤلفاته .

فمن كتاباته الدينية : ترجمة الكتاب المقدس التى تحمل اسمه ، فالكنيسة السريانية مدينة له بأول ترجمة حرفية منقحة للاناجيل ، ففى العصر الذى كان يعيش فيه كانت الحاجة ماسة إلى نقل صورة سريانية دقيقة للنص اليونانى للاناجيل ، فبدأ حوالى سنة ٥٠٥ م بمعاونة مساعده بوليكاربوس بترجمة الكتاب الكتاب المقدس بعهديه ترجمة حرفية . فأتما فى سنة ٥٠٨ م . ما يعرف الآن بالترجمة الفيلكسينية التى كان لها شأن عظيم فى القرن السادس بين أصحاب الطبيعة الواحدة فإن موسى الأجيلى مثلا يشير إلى ترجمة للعهد الجديد والمزامير على أنها العمل النموذجى لذلك العصر . وقد روجعت ترجمته هذه بعد ذلك فى مطالع القرن السابع حوالى سنة ٦١٦ م . فى أحد أديرة الاسكندريه ، فراجع بولس التلى ترجمة العهد القديم ، وراجع توما الحرقلاوى . ترجمة العهد الجديد .

ومنها شروحه على الأناجيل وقد وصلتنا ناقصة فى مخطوطين من القرن السادس محفوظين بالمتحف البريطانى ورسالة عن الثالوث المقدس ضمنها وجهة نظره فى

العقيدة وتشمل عشرة فصول . وكتاب عن التعاليم الأخلاقية المسيحية ، ويشمل ثلاث عشرة موعظة يدور موضوعها حول حياة المسيحى الحق ، وهى فى مجموعها عبارة عن رسالة الأخلاق الدينية والحياة المسيحية ، ومجموعة من النظم حول التصوف ، ولا نجد فيها أية إشارة إلى الخلافات فى العقيدة التى كان للمؤلف نصيب كبير فيها ، وعنوان هذه الرسائل «رسائل حول صحة الآداب» من تأليف مارفيكسينوس أسقف منبج ، الذى علم كيف يبدأ المرء أن يكون تلميذاً للمسيح، وبأى النظم والأخلاق يكون المرء نفسه لكى يصل إلى مرتبة الحب الروحانى ، وكيف يخلق الكمال الذى يهيئنا للتشبه بالمسيح فى رأى البطريرك بولس . وتقوم الموعظة الأولى مقام الاستهلال للكتاب . وتتناول المواعظ الاثنى عشرة الباقية. العقيدة ، البساطة ، الله ، الفقر ، شهوات اللحم ، الزهد ، الزنا . وليس من شك فى أن المؤلف كان متأثراً فى كتابة هذه المواعظ بمنهج أفرهاط فى مواعظه فقد بحث فى العقيدة ، أساس الدين أولا كأفرهاط ، ولكنه لم يتعرض للحديث عن التضرع والدعاء وهو موضوع موعظة أفرهاط الرابعة . وليست هذه المواعظ كلها شيقة إلا انها مع ذلك أفضل بكثير من مواعظ أفرهاط ، فقد استخدم المؤلف فيها عباراته الموسيقية الطويلة ، وبسط فيها أساليبه المختلفة فى الكتابة التى كانت تعجب يعقوب الرهاوى كثيراً . ولكننا مع ذلك كثيراً ما نلحظ تأثر هذا المؤلف باليونانية ، وذلك فيما يظهر راجع إلى إتصاله بالتفكير اليونانى وقد لاحظ المستشرق الانجليزى بدج (Budge) أن العبارة التى اقتطفها اكسنايا من الكتاب المقدس فى مواعظه تتفق مع نص البشيطا (الترجمة البسيطة) واستنتج من ذلك أن المؤلف وضع هذه المواعظ بعد سنة ٤٨٥ م . بعد تعيينه أسقفاً على منبج بقليل وقبل سنة ٥٠٨ م . وهى السنة التى إنتهى فيها من ترجمته للكتاب المقدس .

وقد ظهرت له رسائل عن العقيدة والرهبنة موجهة إلى القيصر زينون ورهبان

بيت جوجل وآمد وتل عدى وسنون ، وراهب فى دير غير معروف ، والبطاركة إبراهيم واورستس وغيرهم . ومن هذه الرسائل : (١) الإجابة على سؤال كيف يجب أن يعتقد المرء (٢) اعتراف بالعقيدة (٣) فى الرد على الذين يجزئون المسيح (٤) اثنا عشر فصلا فى الرد على الذين يقولون إن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً (٥) رسالة فى الرد على النساطرة (٦) رسالة فى الرد على نسطوريوس (٧) نقض لهرطقة مانى وغيرها من الهرطقات (٨) رسالة عن اسطفان بن صديلى .

وله غير ذلك ثلاث قداسات ، نشر رنودوت ترجمة لاتينية لاثنين منها فى كتابه « مجموعة قداسات شرقية » ، وصلاة ، وأدعية لكسر الخبز المقدس ، واعتراف عن العقيدة ، وخطبة جنائزية ، وصيغة لمنح المعمودية للمرء وهو فى النزع الأخير .

وله كذلك كتاب عن الرهبنة مؤلف على طريقة السؤال والجواب يعالج فيه النواحى المختلفة فى حياة الرهبنة ويعتمد فيه على كتاب بستان الرهبان لبلاديوس وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية فى مطلع القرن الرابع عشر (١٣٠٥ م) ونقله المطران سلامه من العربية إلى الحبشية فى أيام حكم الملك سيف أرعد (١٣٤٤ م — ١٣٧٢ م) .

وله مقالات قصيرة فى الجدل أهمها اثنتان عن التثليث والتجسد : الأولى فى ثلاثة أقسام ، والثانية فى عشرة أقسام ، وهو يذكر فيها أن أحد الأقانيم الثلاثة قد تألم وتجسد . وله حوار بينه وبين راهب نسطورى حول عبارة « إلهنا وسيدنا يسوع المسيح » ، وموعظة عن بشارة العذراء .

وله عدد آخر من الرسائل منها رسالة إلى يعقوب السروجى وأخرى الى راهب عن الصمت فى المدينة الإلهية ، وتنسب إليه رسالة موجهة الى أبى نفر

(أونوفريوس) الحيرى . ورسائله كثيرة ، ولها بعض القيمة فى تاريخ الكنيسة فى عصره . وقد عددها السمعانى ونشر مقتطفات منها فى كتابه المكتبة الشرقية .

وقد ضاع الكثير من كتابات اكسنايا ، ذكر الأقدمون أن له كتابين يعارض فيهما قوانين برصوما النسطورى . ورسالتين فى الجدل ، وكتاب عن الأحكام ، وكتاب يعارض فيه حبيب الزيات فى التجسد ، وبعض الرسائل والمواعظ والأقوال ، ولكن هذه كلها لم تصل الينا .

وقد نقل بعض الرهبان من اليعاقبة بعض كتابات اكسنايا فى الرهبنة : ورسالة فى رتب الرهبان ، وكتاب فى التعاليم الأخلاقية ، وبعض شروح على العهدين القديم والجديد وكثير من الصلوات .

ومن أقواله فى الكمال المسيحى

فإنه يقال ، ان الإنسان يخلع العالم ، متى ابتعد عن كل ما فيه ووزع كل ثراته وماله على أهل الفاقة ، ويبرح العالم وخرج منه عريانا ، بمخمصه نتك ، تماما بالشكل الذى خرج به من البطن . لأن دار العالم للانسان ، انما هى كالبطن الطبيعى للجنين المحبول فيه . وكما أن الجنين الذى فى البطن هو فى ظلام وفى مكان معتم ورطب لا يشعر بأى من أمور هذا العالم ، ولا يخطر على باله ما فى الكون وفى دار العالم الكائن خارج البطن ، هكذا والإنسان الحبيس فى حياة العالم الجسدية والمغلف فهمه أيضا بظلام همومه ، والمغشى عقله بدجى الاهتمام البشرى لا يستطيع أن يشعر بالنعيم والثراء الكامنين فى السيرة المسيحية ، بل لا تتجلى له الامور الروحية ما دام فهمه مغلقا بظلام الأمور الجسدية . وكما أن الجنين ، لا يدخل الكون مالم يولد من البطن ، هكذا وهنا أيضا لا يصير الإنسان الى الحياة الروحية ما لم ينتقل كليا من العالم . وكما أنه هناك يبرح البطن ويضحى خارجا عنه ، هكذا وهنا أيضا يجب عليه أن يبرح العالم ويخرج منه .

بوليكاريوس

كان أسقفاً فى أبرشية منبج . ويقال ان اكسنايا كلفه ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية ، فقام بترجمة العهدين القديم والجديد فيما بين سنتى ٥٠٥م و٥٠٨م . ترجمة حرفية . والظاهر أن هذه الترجمة قد لعبت دوراً هاما فى القرن السادس ، ولكن هذه الترجمة أهملت عندما ظهرت الترجمة السداسية السريانية للعهد القديم ؛ والترجمة الحرقلاوية للعهد الجديد . وقد وصلتنا بعض قراءات متفرقة فى رسائل بولس ترجع الى هذه الترجمة على الارجح . وقد ذكر موسى الاجيلى أن بوليكاريوس ترجم العهد الجديد والمزامير ، ولكن يظهر أن ترجمته اشتملت على أجزاء من العهد القديم . وقد وصلتنا مقطوعات من هذه الترجمة فى مخطوطات محفوظة فى مكاتب فلورنسا وروما والمعهد اللاهوتى فى نيويورك . وتشتمل على قطع من الاناجيل أرخت ترجمتها فى سنة ٥٨٠ م : وتشتمل كذلك على أقدم نصين لرؤيا يوحنا .

وينسب الى بوليكاريوس ترجمة النص السريانى للعهد القديم ورسائل الكاثوليكون السبعة ، وقد أخذت عنها الترجمة العربية .

سمعان البيت ارشامى

هو أحد الرجالات البارزة الذين يمثلون عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة فى

الاقليم الفارسى،وكان يلقب بالجادل الفارسى لأنه كان يمتاز بنشاط عجيب فى الدفاع عن عقيدته وعن معتنقيها فى المملكة الساسانية ، سواء من الناحية العقلية أو فى دفع الأذى عنهم : فكان يطوف بالمقاطعات الفارسية يجادل اتباع مانى والديصانيين والأوطاخيين والنساطرة . وقد أعجب به بابى الجاثليق النسطورى على أثر مجادلة له معه فرسمه أسقفاً على بيت آرشام (١) أى فيما بين سنتى ٤٩٧ م . و ٥٠٢ م على الرغم من انه من اصحاب الطبيعة الواحدة أما عن تاريخ رسامته بالضبط فيذكر السمعانى اعتماداً على ما رواه ديونسيوس التلمحرى أنه كان أسقفا على بيت أرشام فيما بين سنتى ٥١٠ م . و ٥١٥ م . ولكن القطعة السريانية التى يقتطفها لا تشتمل الا على سنة ٥١٠ م . وهو تاريخ غير صحيح . فإذا كان ما رواه يوحنا الأسيوى — والذى يعرفه شخصيا — صحيحا فالمؤكد أنه عين أسقفاً قبل سنة ٥٠٣م . وهى السنة التى توفى فيها بابى الجاثليق ؛ والراجح أنه بقى أسقفاً حتى سنة ٥١٠ م . اذ يؤرخ فى هذا العام استشهاد ثلاثة من المجوس الذين اعتنقوا المسيحية على يديه .

وقد زار سمعان الحيرة أكثر من مرة . ومنها كتب خطابه الى سمعان رئيس دير جبول (٢) سنة ٥٢٤ م ، عن استشهاد أهل حمير المسيحيين الذين اضطهدهم ذو نواس ملك اليمن اليهودى قبل كتابة الخطاب بعام . وزار القسطنطينية كذلك ثلاث مرات ، ومات فيها فى زيارته الأخيرة حينما كان يقوم بزيارة الامبراطورة ثاودورا قبل سنة ٥٤٨ م . بقليل . وقد وصلتنا سيرة لسمعان من وضع يوحنا الاسيوى .

أما كتاباته فتشتمل على صلاة ذكرها السمعانى فى المكتبة الشرقية ،وخطاب

---

(١) قرية بالقرب من سلوقيا والمدائن .

(٢) يقع على الشاطىء الشرقى لدجلة بين النعمان وواسط .

إلى شخصية مجهولة كتب حوالى سنة ٥١٠ م. يعارض فيه برصوما الصيغة الكنيسة الفارسية الرسمية بالصيغة النسطورية، تناول فيه أصل النسطورية وتاريخ انتشارها فى الشرق ولكن من وجهة نظر طائفية ضيقة فى أسلوب فيه كثير من الإقذاع ، ويعد من أقدم الوثائق عن الدعاية النسطورية فى بلاد الفرس .

أما خطابه الثانى إلى رئيس دير جبول الذى أشرنا إليه فيعد الوثيقة الأساسية لاضطهاد ذى نواس لمسيحى اليمن فى القرن السادس . وقد نشر ملخص له ، يظن أنه من وضع يوحنا الآسيوى ، مرات عدة . أما الجزء الأكبر من الخطاب فقد نشره جويدى المستشرق الإيطالى ثم أكسل موبرج (Axel Moberg) المستشرق السويدى .

وقد افتتح خطاب سمعان هذا بمقدمة عن اليهود وفساد معتقدهم ، والحيريين ومن أين جاءتهم اليهودية ، وكيف انتشرت النصرانية فيهم ، اضطهاد الحيريين للمسيحيين . وذهاب توما أسقف نجران على الأرجح إلى بلاد حمير لأول مرة . ثم يورد ملخصاً لخطاب أرسله ذونواس إلى المنذر ملك العرب يحرضه فيه على اضطهاد المسيحيين ويذكر له كيف اغتصب الملك . ثم ينتقل سمعان بعد ذلك إلى وصف تطويق مدينة نجران، وأخذه أهلها بالخاتلة بعد أن استعصى عليه افتتاحها، ويذكر أسماء من استشهد ويصف كيف استشهدوا ، وكيف وقعت مذبحة نجران ويختمه بذكر ما سمعه فى الحيرة من قصص الاضطهاد التى لم ترد فى خطاب ذى نواس . وطلب فى ختام خطابه إلى الأساقفة أن يصلوا من أجل المسيحيين فى بلاد حمير ، وأبدى أمله فى أن يعمل أساقفة العقيدة الأمبراطورية عند الأمبراطور لكى يضع حدا لاضطهاد اليهود للمسيحيين .

اصطفان بن صُدَّيلى

ولد فى النصف الثانى من القرن الخامس ، وكان فى مبدأ حياته يعقوبيا .

رحل فى شبابه إلى مصر ، وأقام بها زمناً تعلم أثناءه على رائد اسمه يوحنا ، وهو — فيما يظهر — الذى لقنه آراء أوريجانوس عن وحدة الوجود التى عاد بها إلى الرها . فابتدأ ينكر أبدية عذاب جهنم ، وأكد أن المذنبين سيعادون إلى الله بعد تطهيرهم فى النار « كى يكون الله الكل فى الكل » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٨) وقد طعن يعقوب السروجى واكسنايا فى هذه العقيدة فى خطابيهما.

فلما شاعت عنه هذه الآراء تمت بالإلحاد وطرد من الرها فرحل إلى دير فى بيت المقدس حيث وجد بين رهبانه عدداً مما يشاطرونه هذه الآراء . واستمر — من بيت المقدس — يراسل تلاميذه فى الرها حتى لا تنقطع الصلة بينه وبينهم .

وينسب الى ابن صديلى كتاب هيروتيوس الذى أراد أن يحمل الناس على الاعتقاد بأنه نقله عن مؤلف يونانى اسمه هيروتيوس ، زعم أنه أستاذ ديونسوس الأريوباغى ، وهذا الكتاب عن أسرار الكنيسة ، وقد استعرض المؤلف فيه سلسلة آرائه . ولكن الأسلوب السريانى الرشيق لهذا الكتاب يؤكد لنا أنه من وضع أسطفان نفسه وكانت الكنيسة فى ذلك الحين تساير فلسفة أرسطو فى شرح العقيدة ولكن أسطفان عمد إلى إدخال آراء الفلسفة الافلاطونية الحديثة فى العقيدة فلم تجد محاولته أرضاً خصبة , لذا لم تتعد دائرة المعتنقين لهذا المذهب ، ولم يجد هذا الكتاب طريقة إلى الانتشار حتى إن ابن العبرى يقول إنه وجد مشقة كبيرة فى الحصول على نسخة منه ، وقد وصل إلينا هذا الكتاب فى نفس المخطوط الذى حصل عليه ابن العبرى والذى يشتمل على شروح تيودوسيوس عليه .

وقد شرح البطريرك ثاودوسيوس (٨٨٧ م — ٨٩٦ م .) هذا الكتاب بعد أن قدم له بمقدمة عامة وشرح كل فصل فيه على حدة بعد أن قدم له بمقدمة خاصة ، وكذلك شرحه ابن العبرى ، وكان شرحه — فيما يظهر — تلخيصا لشرح ثادوسيوس . وقد قدر كل منها قيمة آراء اسطفان فى التنسك الشخصى والزهد . ولذلك حاولا فى شرحهما أن يعدلا آراءه حتى تساير آراء أصحاب الطبيعة

الواحدة . وكان لآراء اسطفان أثر ملموس فى الصوفية الغربية فى القرون الوسطى كما كان لها أثر على حركة التصوف فى الإسلام .

ولاسطفان كذلك شروح رمزية على المزامير بقيت لنا منها مختارات فى مخطوط بالمتحف البريطانى نسخ حوالى القرنين التاسع والعاشر . وله كذلك خطابات ورسائل وشروح صوفية على الكتاب المقدس أشار إليها اكسنايا فى خطابه إلى ابراهيم وأورست الرهاويين ولكننا لا نعرف عنها شيئاً .

وقد نشر المستشرق فروذنهام بحثا وافيا عن ابن صديلى تحت عنـــوان « اسطفان بن صديلى المتصوف السريانى وكتاب هيروتيوس » سنة ١٨٨٦ ضمنه كل ما يعرفه من كتاباته .

يوحنا بن قرصوس

ويعرف أيضا بيوحنا التلى ، وكان من المشايعين لأصحاب الطبيعة الواحدة ، بل لعله أحد الذين مهدوا ليعقوب البردعى فى تحويل السوريين إلى عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة . وبين أيدينا له سيرتان : الأولى من وضع يوحنا الآسيوى فى كتابه « سير الآباء الشرقيين » . والثانية : من وضع الياس ، وهو فيما يظن كان أحد تلاميذه أو أحد زملائه ، كتبها بعد سنة ٥٤٢ م . أى بعد فتح الفرس للرقة .

ولد يوحنا فى الرقة من أسرة شريفة ، فعنيت أمه الأرمل بتعليمه . والتحق بالجيش وهو فى سن العشرين ، ولكنه تركه بعد قليل جاعلا حياته لخدمة الدين ، فترهب ثم رسم أسقفا على تلا أو قسطنطينة سنة ٥٣٣ م . ولما كان فى طريقه منها إلى الشرق طارده أعداؤه فاختفى فى جبال شيجار ، ولكنهم تمكنوا من القبض عليه وحملوه إلى نصيبين فرأس العين فانطاكيا حيث لقى حتفه سنة ٥٣٨ م وهو فى الخامسة والخمسين من عمره شهيداً ، بعد ما سجن نحواً من شام فى دير منسى بأمر افريم بطريق أنطاكية (٥٢٩ — ٥٤٤ م) .

أما كتاباته فهى : خطاب إلى رهبان الأديرة المجاورة لمدينة تلا عن عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة ، و٤٨ قانوناً عن القربان ، و ٢٨ قانوناً أخرى إلى رجال الدين ، وهى ذات قيمة لتاريخ القداسات . ورسالة عن وظيفة الشماس . وشرح للتقديسات الثلاثة وموضعها من القداس . وكلها صحيحة النسبة إليه .

يعقوب البردعى

من البارزين فى تاريخ المسيحية ، فهو المؤسس الحقيقى للكنيسة اليعقوبية ، وإليه ينتسب اليعاقبة ، وهو يعقوب وأبوه تيوفيلوس بن معنى قسيس تلا ، لقب بالبردعى لأنه كان يلبس البرادع . رزق به أبوه فى سن متأخرة ، وبعد أن لقنه قسطاً من العلم أدخله دير فسيلتا بجوار قرية جومثا فى جبل الأزل غير بعيد من تلا .

وحوالى سنة ٥٢٨ م ذهب هو وراهب اسمه سرجيس إلى القسطنطينية للدفاع عن عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة ، وقد استطاع أن يفوز برضى الامبراطورة تيودورا التى أحسنت لقاءهما ، وبقيا بالقسطنطينية ١٥ عاما فى الوقت الذى كان فيه أصحاب الطبيعة الواحدة يلاقون صنوف الاضطهاد وبخاصة خلال سنتى ٥٣٦ — ٥٣٧ حينما قام أفريم بطريرك أنطاكيا باضطهادهم حتى كاد أن يمحو فرقتهم رغم جميع الجهود التى بذلت لاحباط ما يقوم به . ولكن فظاعة هذا الاضطهاد حركت الغيرة فى نفس الحارث بن جبلة ملك غسان العربى فذهب إلى القسطنطينية حوالى سنة ٥٤٣ م . وحرض تيودورا على إرسال عدد من الأساقفة إلى الأقاليم التى تخضع لسلطانها . فأوعزت إلى تيودوسيوس بطرك القسطنطينية ، فنصب تيودور أسقف الاسكندرية المعزول أسقفا على بصرى . على أن تكون له الرعاية على فلسطين والأقاليم العربية ، ويعقوب ليكون أسقفا على الرها على أن تكون له رعاية سوريا وآسيا الصغرى .

منذ ذلك الحين تغيرت حياة يعقوب وأصبحت سلسلة لا تنقطع من المتاعب، فقد أخذ يتنقل سيراً على قدميه بين البلاد التي خصته برعايتها باذلا كل جهده لتقوية الروح المعنوية بين أصحاب عقيدته، لاستعادة من انحرف منهم، واختار لذلك الشمامسة والقسس. ثم وجد إنه لا بد له من وجود أساقفة، وكان تنصيب الأسقف لا يتم إلا بثلاثة من الأساقفة على الأقل، فاختار لذلك قسيسا اسمه «كونون» من قليقيا وآخــــر اسمه «اوجين» من ايزاوريا، وسافر بهما إلى القسطنطينية ثم إلى الاسكندرية لرسمهما أساقفة. فرسم كونون أسقفا على طرسوس في قيلقية، ورسم أوجين أسقفا على سلوقيه في ايزاوريا. وبذلك تمكن في طريق عودته أن يرسم غيرهما من الأساقفة أمثال يوحنا الأفيزوسي المؤرخ الذى رسم على آسيا الصغرى.

تلك الهمة الجبارة التى بذلها يعقوب كانت سببا في انتعاش كنيسة اليعاقبة وقد كللت مجهوداته في النهاية بالنجاح بتتويج صديقه سرجيس بطريركا على انطاكية سنة ٥٤٤ م. ولكن سرجيس لم يعمر بعد ذلك طويلا فمات سنة ٥٤٧ م. وبقي كرسيه شاغراً ثلاث سنوات، فاختار يعقوب وأساقفته بولس راعي الاسكندرية ليكون خلفاً له.

وفي سنة ٥٧٨ م خرج يعقوب وهو في سن الشيخوخة لزيارة دميان بطريرك الاسكندرية (٥٦٩ — ٦٠٥ م.) غير أنه مات سنة ٥٧٨ م. على الحدود المصرية في دير مار روماانوس ودفن به، وبقيت رفاته فيه حتى سنة ٦٢٢ م. حينما أرسل زكايوس أسقف تلا بعض أعوانه فنقلوها إلى تلا واحتفلوا بدفنها في دير فسيلتا.

وقد جمع السمعاني كل ما كان معروفا عن يعقوب حتى أيامه في كتابه المكتبة الشرقية. ثم اتسعت مصادرنا عنه بعد ذلك بعد نشر الجزء الثالث من كتاب تاريخ الكنيسة

ليوحنا الأسيوى وفيه سيرة ليعقوب . ثم نشرت بعد ذلك سيرة أخرى ليعقوب وقد انتفع المستشرق «كلاين» بهاتين السيرتين في وضع كتاب قيم عن يعقوب سنة ١٨٨٢ م .

وقد رأيت أن حياة يعقوب كانت حافلة بالنشاط والحركة ، ولهذا لم يكن لديه متسع من الوقت للكتابة . وكل ما وصلنا من كتاباته قداس نشر رنودوت ترجمته اللاتينية ، وخطابات متفرقة كتبها باليونانية وبين أيدينا ترجمتها السريانية ، وينسب إليه شرح للعقيدة لم يصلنا منه إلا النص العربي وترجمته الحبشية ، كما ينسب إليه ترتيله لعيد البشارة لم يبق لنا منها إلا ترجمة عربية .

* وقد ظهر بعد يعقوب البردعى عدد من كتاب اليعاقبة منهم بطرس أسقف الرقة الذى كان يعيش سنة ٥٧٧ م . فى دير أمياناس على حدود الصحراء ذهب إلى مصر واشترك فى جدل دينى شديد مع بطريركها دميان وتوفى سنة ٥٩١ م . ومن كتاباته ميمر على وزن المقاطع السبعة عن الصلب ، ورسالة إلى أساقفة ما بين النهرين . أما بقية كتاباته فالغالب أنها كتبت باليونانية .

* ومنهم يوليانوس من دير قنسرين الذى رسم أسقفا على الرقة خلفا لبطرس وتوفى سنة ٥٩٤ م . وقد بقيت لنا من كتاباته أجزاء من رسالة يعارض فيها الأسقف سرجيس وأخاه يوحنا .

* ومنهم أحودمة (أى أخو أمه) كان أسقفا على نصيبين سنة ٥٥٤ م . ووافق على قرارات المجمع النسطورى للجاثليق يوسف . وتقول المصادر اليعقوبية إن الجاثليق الأرمنى خرستفوروس الأول (٥٣٨ م . — ٥٤٥ م .) نصبه أسقفا على بيت عربايا . وأنه جادل الجاثليق النسطورى أمام أشراف الفرس وانتصر عليه . وقد نصبه يعقوب البردعى سنة ٥٣٨ م . مفريانا على بعثة تبشيرية يعقوبية فى المنطقة الساسانية . ويقولون إنه تمكن من تعميد أحد أبناء خسرو

الأول تحت اسم جرجس ، فأمر خسرو بقطع رأسه سنة ٥٧٥ م . وله كتابات تظهر فيها مقدرته فى الاتجاه الفلسفى عرف له منها عند النساطرة تعاليم يعارض فيها الفلاسفة والمنجمين كل منها فى فصل ، وكتاب عن المنطق ، ومجموعة من التعريفات ، وميامر عن حرية المشيئتين والطبيعتين ، وكتاب عن الإنسان باعتباره عالما صغيراً . وترجع كلها إلى الفترة التى كان فيها على مذهب النساطرة .

ه ومنهم دانيال الصلحى (الصلحانى) وقد ذكر عن نفسه أنه كتب سنة ٥٤١ م . تفسير المزامير فى ثلاثة أجزاء أهداها إلى يوحنان رئيس دير أوساييوس فى كفر برتا فى منطقة أفاميه ، وله رسالة جدليه اقتبس فيها من كتاب المؤرخ يوسيفوس فلافيوس .

الأدب المنظوم

لم يكن الشعر السريانى أقل من النثر شأنا عند أصحاب الطبيعة الواحدة فى هذا القرن . ولذلك قام عدد من كتابهم بنظم الشعر ، عرف منهم اسحاق الرهاوى الذى خلط الناس بينه وبين اسحاق الأنطاكى . ويوحنان الذى يقال إنه تتلمذ على برصوما الراهب . وله ميمر باسمه على وزن المقاطع السبعة عن المسيح فى الهيكل. وكان أمير الشعراء السريان فى هذا القرن يعقوب السروجى الذى يمثل الميامر السريانية والذى أعجب الموارنة به واعتبروه أحد أقطابهم . وكان له تلميذ اسمه جيورجيس بقى لنا من شعره ميمر على وزن المقاطع السبعة عن المسيح فى الهيكل ومنهم سمعان الفخارى وله طقوس كان يُغنى بها .

يعقوب السروجى

علم من أعلام الأدب السريانى . ولد فى كورتم على الفرات ، وهى إحدى قرى سروج سنة ٤٥١ م . ولذلك لقب بالسروجى ، وكان يلقب أيضاً بقيثارة روح القدس ، وعود الكنيسة المؤمنة . وكان أبوه قسيساً قضى مدة طويلة من

حياته يسأل الله أن يرزقه طفلا ، فلما رزق به بعد مولده جزاء له على صلواته ونذوره .

حصل يعقوب على ثقافته اللاهوتية فى مدرسة الفرس بالرها ، وكانت أيامه كلها تحصيل ومذاكرة حتى تمكن بعد فترة قصيرة من أن يفوز بشهرة واسعة لعلمه وفصاحته ، وظهرت مواهبه الشعرية وهو فى العشرين من عمره ، بدأها بميمر عن رؤيا حزقيال للشاروبيم . وكانت كل جهوده وقفاً على الكتابة والتأليف ولم يقصر جهوده على الشعر بل كتب ميامر نثرية عن أعياد الكنيسة ورثاء نثريا ضم إلى الطقوس الجنائزية .

وانتظم يعقوب كأبيه فى سلك آباء الكنيسة ، فبدأ حياته قيماً فى حَوْرا سنة ٥٠٢ م . ثم عين أسقفاً على بطنان عاصمة منطقة سروج سنة ٥١٩ م . وكان حينئذ فى الثامنة والستين من عمره ، ولكنه لم يعمر بعد ذلك طويلا فمات فى بطنان سنة ٥٢١ م . وهو فى السبعين من عمره . وقد وصلتنا ثلاث سير سريانية ليعقوب : الأولى من وضع يعقوب الرهاوى ؛ والثانية لا يعرف مؤلفها ؛ والثالثة مدح منظوم مطول لمؤلف اسمه جرجس . وقد إختلفوا فيمن يكون جرجس هذا : فيقول البعض إنه جرجس تلميذ يعقوب ، ويقول آخرون بل هو جرجس أسقف سروج .

وكان يعقوب يميل إلى الهدوء ولذلك فإنه لم يشترك فى الجدل الذى استعر فى الشرق فى أيامه حول طبيعة المسيح ، ولهذا سلم من الاضطهاد الذى صبه يوسطانوس الأول على أصحاب الطبيعة الواحدة بعد أن أبطل القانون الذى أصدره زينون بتوحيد الكنيسة البيزنطية مع الميول اليعقوبية ، ومن ذلك قام الشك حول عقيدة هذا المؤلف ، وإن كانت خطاباته الثلاثة إلى رهبان دير مار بسوس فى حاريم ، ورد الرهبان عليها ، وخطابه إلى بولس الرهاوى لم تدع مجالا

الشك فى أن يعقوب كان من أصحاب الطبيعة الواحدة ، وأنه ظل كذلك حتى مات : فإن هذه الرسائل تصوره حاقداً منذ صغره على العقيدة النسطورية التى كانت تلقن فى الرها ، كما تظهره هازئاً بهلينية زينون فى أول الأمر ، ثم مؤمناً معتنقا لعقيدة الطبيعة الواحدة بعد ذلك . وقد كتبت هذه الخطابات كلها فى حورا على الأرجح فيما بين سنتى ٥١٤ و ٥١٨ م . ومما يزيدنا اقتناعا بأنه كان من أصحاب الطبيعة الواحدة أنه كان أحد الأساقفة الذين باركوا سيامة يوحنا التلى أحد المتحمسين من أصحاب الطبيعة الواحدة فى عهد يوسطانوس .

وكتابات يعقوب النثرية قليلة ، أعرفها — إلى جانب خطاباته التى أشرنا إليها — خطاب إلى نصارى نجران يواسيهم فيه حينما اضطهدهم الملك ذونواس . وخطاب آخر وجهه إلى أهالى الرها حينما هددها الفرس بالغزو ، وخطاب ينقض فيه عقيدة أسطفان بن صديلى والمظنون أنه كتبه فى بطنان فيما بين سنتى ٥١٩ و ٥٢٠ م ، وخطاب إلى أهالى أرزون عن العقيدة . وقد بقى لنا عدد من خطاباته فى مخطوطين بالمتحف البريطانى .

وينسب إلى يعقوب أيضا قداس نشر رنودوت ترجمته اللاتينية ؛ وترتيب للعماد ، وست أناشيد للأعياد ، وخطبة موضوعها « يجب أن لاننسى خطايانا أو نهملها » ، وموعظة ليوم الجمعة الثالث من صيام الأربعين ، وأخرى عن الفصح ، وسيرة لمار حنينا أهداها إلى فيلوثيوس ، وسيرة لدانيال الراهب ، وينسب إليه ابن العبرى فى كتابه « تاريخ الكنيسة » شرحا على مثويات أو اجريس السعه بناء على طلب جرجس أسقف القبائل العربية ، ولكن هذا الشرح لم يصل إلينا .

وتقابل قلة كتابات يعقوب النثرية كثرة هائلة من الكتابات المنظومة على أوزان مختلفة أغلبها من ذات الاثنى عشر مقطعا ، وبعضها من ذات المقاطع السبعة ، وله مداريش أدبية ، وطقسية صحيحة النسبة إليه . وله سوغيثا شعرية «

منها واحدة عن رثائه للعالم ، وأخرى عن الرها ، وانشودة المناولة . وله تسابيح ، منها أنشودة الصباح على وزن المقاطع السبعة ، وله ٧٦٣ ميمراً منها ميمر عن تعميد الامبراطور قسطنطين ، وميمر غير كامل عن « والدة الله تحت خشبة الصليب » ، واثنان عن مريم العذراء ، وميمر عن العذارة والفسق ، وكان آخر ميامره عن مارى وجوجلوثا وقد مات قبل أن يتمها . ويقول ابن العبرى إن يعقوب كان يستخدم ٧٠ نساخا فى كتابة نتاجه الأدبى . وقد ضاع أكثر من نصف هذه القصائد ولم يبق لنا منها إلا نحو من ٣٠٠ قصيدة فى عـــدد من المخطوطات الموزعة فى مكتبات أوروبا .

ومن قصائده المستقلة قصيدة عن توما الرسول وسفره إلى الهند للتبشير بالمسيحية ، والقصر الذى بناه فى السماء لملك الهند . وأخرى عن سقوط الأصنام، ذكر فيها بعض البيانات عن الوثنية عند السريان وفيها يظهر كرهه لهذه الوثنية . وله مجموعة من الميامر فى تمجيد القديسين ، منها ميمر عن سمعان العمودى يصف فيه يعقوب كيف حارب سمعان الشر والشرير ، وآخر عن حبيب وجوريا وشامونا شهداء الرها وبعض ميامر فى تمجيد التنسك ، وله مجموعة أخرى تعالج موضوعات من العهدين القديم والجديد ، منها قصيدة عن العصفورين اللذين وردا فى شريعة الأبرص (لاويين ١٤ : ٤) ، وأخرى عن تيس ذبيحة الخطيئة (لاويين ١٦ : ٧) وثالثة عن برقع موسى (خروج ٣٤ : ٣٣) وبعض قصائد فى تاريخ العهد القديم . وله مجموعة من القصائد الطويلة أو الملاحم تربى أبيات بعضها على ثلاثة آلاف فى بعض الأحيان . منها : قصيدته عن الأسكندر وتقع فى ٧٣٠ بيتا ، ومنها قصيدته عن مركبة (بكرة) حزقيال والحيونات (حزقيال ١ : ١ — ٢٨) الذين ظهروا له فى رؤياه ، والتى تنبأ فيها بسقوط آمد فى أيدى الفرس ، وتقع فى ١٤٠٠ بيت ، ومنها قصيدة عن العقيدة وأخرى عن

يوسف الصديق . وثالثة : عن موسى ، وكل واحدة منها مقسمه إلى عشرة ميامر وقصيدة عن أيام الخليقة الستة مقسمة إلى سبعة ميامر .

وشعر يعقوب رقيق عذب وأسلوبه شيق وتعبيره طريف ، ولا يجاريه فى بساطة أسلوبه وسهولته أحد فى تاريخ الأدب السريانى ، وهو من هذه الناحية يفوق إفريم واسحاق الانطاكى إلى حد كبير ، وقد أخذ مادته فى الشعر من تغير الليل والنهار ، والراحة والعمل ، والصلاة فى الصباح والمساء ، وعلى المائدة بعد الأكل ، ومن الطبيعة بكل ما فيها من ماء وريح وغاب . ولذلك فقد انتشرت كتاباته إلى أوسع مدى ، وترجم الكثير من قصائده إلى العربية ثم الحبشية ثم إلى عدد من اللغات الأوربية ، كما وجد لقصائده بعض المقلدين ، كما سترى عند درس سمعان الفخارى . وتستطيع أن تتبين شيئاً من منزلة يعقوب فى الشعر من هذه المقدمة التى تنقلها لك من قصيدته عن سمعان العمودى .

« وفقنى يا ربى لكى أرسم صورة كلها جمال ، لسمعان المختار الذى يعجز كل لسان عن وصف جماله . بعونك أتكلم عن كراماته وكلى عجب ، فليس إلا بك يوصف جماله . شد أزرى لهذه المهمة حتى أفيض فى الحديث عنه ، ذلك المجاهد الذى تفيض الكرامات منه أنا مزمارك ، انفخ فى روحك يابن الله ، أعطى أنغاماً عذبة عن الجبيل . فلتحركنى قوتك مثلما تحرك الريح القصب ، فتخرج منه لحنا جميلا بصوت عظيم . ليس للقصب صوت ولا غناء ، ولكن الريح تهزها فيشجى صوتها السامعين . لن يجد الخطيب كلاما يقوله ، إن لم تحركه كلمتك ، بك يارب تتحرك أفواه المتحدثين فيصدر عنها كل قول جديد ، يفيض إعجازاً وينشد مدحا . تعالوا أيها السامعون ارتشفوا حلاوة العقيدة ، الصادرة عن مصدر حلو يضىء طعميها النفوس تعالوا لتراح نفوسكم إلى سماع حكاية رجل جميل ، تزيد شهرته عن أمواج البحر العظيم . تعالوا انصتوا إلى معجزته الالإلهية

التى عجز اللسان عن وصفها . تعالوا إلى ، لمة جمعت ما طاب من الفاكهة ، منضدة تسركم . تعالوا إلى وليمة لا إفضال لطعامها ، لاتثقل على النفس ، بل تتلذذ النفس من ترتيبها . تعالوا خذوا بالمجان ثروة طائلة خفيفة الحمل ، من كنز لايفنيه كثرة الآخذين . تعالوا أعيرونى أسماعكم فى هدوء ، أعطيكم سر الحياة بصوت عظيم . فإن سيرة سمعان وسيلة كل ربح ، لى ولكم ولجميع السامعين . كان عامل خير بدأ حياته وانتهى منها بجدا ، لم تسؤه عبادة الله . نادى الشيطان رفقاءه ، ثم فتح له كالقائد ليأمرهم . قال يا جنود الآن نقوم للحرب ولا نتخاذل فنحترق . البسوا أقنعة مخيفة واظهروا فى شكل بشع واعملوا . أمامه أعمالا خادعة وتثير الشياطين عواصف شديدة كالجبال ، ويثور الغبار فيحجب لون الهواء . وتهب رياح قوية تهز الأرض ؛ فينتج عنها زلزلة عظيمة كصوت البحر تشبهوا بالحشرات اللاذعة والحيات ، وكونوا طيوراً وزواحف على الأرض ومهاجمين للاسوار . والآن هلم إلى المعركة بنفوس ثائرة لشعل الحرب ولا نتخاذل فنحترق . والآن سهل علينا أن نحاربه فوق العمود ، هلم نلق فى قلبه الرعب بالجيوش المعبأة عساه ينكص على عقبيه عندئذ تجمعت عصابة الشياطين الخطاة ، وتعاهدت وأعطت المواثيق وقامت للحرب . وانقسمت جموع الشياطين إلى فرق ، لكى تصيد فرخ النسر بحيلها . زحفت الحيات المجنحة من أجحارها وهى تفح على الحمامة الساذجة التى تنسج عشها فوق الحجر . نفث الشياطين سما زعافا ليقتلوا القطاة التى كانت تغنى فوق الجبل بصوت رخيم . اجتمعت فرق الصقور على عصفور لتصيده ؛ فطار فى الجو وتركهم مبهوتين » .

ويستمر الشيطان وأعوانه فى مناهضة القديس فيصيبونه فى ساقه لكى يتخلى عن عبادة الله ، ولكنه يبتر ساقه ويضعها أمامه ويرثيها فى عبارات بليغة تنتهى بها هذه القصيدة .

سمعان الفخارى

كان من أثر إعجاب الناس بشعر يعقوب السروجي ظهور كاتب من كتاب التراتيل ذات اللون الشعبي . كان يقلد شعر سمعان فى لغة سهلة دارجة وينشده أثناء عمله على العجلة التى يصنع عليها الفخار ، ذلك هو سمعان الفخارى .

كان سمعان شماساً فى قرية جشير غير بعيد من دير ماربسوس وكل ما نعرفه عنه أنه كان صانع فخار وكان يتغنى أثناء عمله على عجلة الفخار بتراتيل يؤلفها على البديهة . وكان يسجل ما يجول بخاطره على اللوحة التى يعمل عليها أو على أى شىء يقع له ، ويذكر يعقوب الرهاوى أن السروجي سمع عن سمعان الراهب ، وزاره يوماً وسمعه وهو ينشد ترانيمه الدينية هذه أثناء قيامه بالعمل ، فأعجب ومالت أذنه إليه ، وحمل معه بعض هذه الأناشيد ، وشجع المؤلف على المضى فى تأليفه ، وسميت هذه الأناشيد بالقوقايانا (أى الفخاريات) . وقد بقيت لنا تسع تراتيل من هذه الفخاريات عن طبيعة المسيح فى مخطوط يرجع إلى حوالى القرنين الثامن والتاسع .

كتاب النساطرة

ظلت مدرسة نصيبين مركزا للحياة الأدبية عند النساطرة فى المملكة الساسانية، وكان من كبار رجالها الذين خلفوا نرسى ، اليشع بن قوزبايا ، واثنان من أقاربه نرسى هما إبراهام ويوحنان من علماء اللاهوت ، ويوسف الأهوازى من علماء النحو . وترجم ما بقى من كتابات نسطوريوس التى أمكن انقاذها من أيدى أعدائه ، كما ترجمت كتابات نفر ممن عاصروا نسطوريوس .

• أما اليشع فقد سمى بابن قوزبايا ، نسبة إلى قرية قوزبو من أعمال مرجا فى اقليم بيت عربايا التى ولد فيها . هاجر مع نرسى من الرها إلى نصيبين . وتولى رياسة مدرستها سبع سنوات بعد وفاة نرسى . كان نشاطه الأدبى متعدد النواحى. كتب بالسريانية كتاباً عن حقيقة الديانة المسيحية يضم ثمانيا وثلاثين مقالة تكلم فيها على الجوهر الإلهى ، والتثليث ، وأيام الخليقة الستة ، وصفة الإنسان ، وخلق الملائكة ، وهبوط الشيطان ، ومجىء المسيح فى آخر الزمان . وبعث بالكتاب إلى أقاقيوس الجاثليق ، فنقله هذا إلى الفارسية ورفعه إلى قباذ ملك الفرس وكان طلب ذلك . وله عدد كبير من الكتابات حال دون انتشارها شيوع الزرادشتية . منها كتاب فى الرد على الهراطقة ، يريد اليعاقبة ؛ وشروح على بعض أسفار العهدين القديم والجديد ، وكتاب عن تأسيس مدرسة نصيبين ، وآخر عن الشهداء ، وصلاة الشكر ، وطقسيات قداسية القداس ، وميامر شعرية .

* وأما ابراهام برسهدا — ويكنى بالبيت رباني — فكان من معلّمنا . اتصل بنرسى وهو فى الخامسة عشرة من عمره ورأس مدرسة نصيبين ، ويقال إنه بقى فيها ما لا يقل عن ستين عاما ، وتخرج على يديه أكثر من ألف تلميذ ، وإنه زاد فى مبنى المدرسة .

أما عن أعماله الأدبية فله شروح على بعض أسفار العهد القديم ، وأجوبة فى الرد على بعض المسائل اللاهوتية . وله كذلك كتاب عن تاريخ تأسيس مدرسة نصيبين ، وبعض ميامر منظومة ، وتنسب إليه تسبيحة ليلة الاثنين من الصلوات اليومية للكنيسة .

* وكان يوحنا البيت رباني قريباً لنرسى ، وكان ذا أثر ظاهر فى مدرسة نصيبين . وتوفى بالطاعون حوالى سنة ٥٦٧ م . وله رسائل فى الرد على اليهود والمجوس وأصحاب الطبيعة الواحدة ، وأخرى على أسئلة تتعلق بالعهدين القديم والجديد . وله شروح على بعض أسفار العهد القديم ، وميامر منظومة للصلاة ، وميمر عن انتصار كسرى الأول على عرب نجران ، وآخر عن فظائع الطاعون فى نصيبين . ذلك إلى آثار شعرية فى الطقوس الجنائزية . وقد اهتم بالمداريش والتسابيح وله فى ذلك مدراش يتلى فى صلاة الليل يوم الجمعة .

* وكان يوسف الأهوازى أول من برز فى النحو من السريان ، وينسب إلى الأهواز (خوزستان ، وبالسريانية بيت هوزايا) . وكان من تلاميذ نرسى . وقد وضع نظاما للتفريق بين الكلمات المتفقة فى الهجاء والمختلفة فى النطق عن طريق النقط ، ويقال إنه نقل كتاب تكنى لديونسيوس التراقى فى النحو اليونانى وانتفع به فى وضع كتاب فى النحو السريانى .

* * *

وإلى جانب مدرسة نصيبين الأدبية كان « مار أبا » ممثلا لمدرسة نصيبين اللاهوتية القديمة التى يرجع الفضل فى إنشائها إلى مدرسة سلوقية ، وكانت المدرسة المناقسة للمدرسة التى أنشأها نرسى فى نصيبين . ومن ذلك المركز الجديد أطلت تلك الروح التى ترعرعت فى نصيبين على بعض الأقاليم عن طريق إنشاء بعض مدارس محلية لاهوتية كلها تحت إمرة رئيس واحد ، وكان من هؤلاء الرؤساء بولس النصيبينى ، وتوما الرهاوى وخليفته قيورى الرهاوى ، وكذلك المطران تيودور المروزى ، وأخوه جبرائيل الهرمزدشيرى .

الجاثليق مار أبا الأول

ولد مجوسيا من أبوين من أهل قرية « حالا » من أعمال راذان على الشاطىء الشرقى للدجلة ، وكانا يدينان بدين زارادشت ، وكتب لمرزبان النبط الذى كان يقيم فى راذان ، ثم اعتنق المسيحية ومضى إلى نصيبين وأقام بمدرستها ولازم « معنا الأرزنى » ، وتلقى عليه علومه اللاهوتية . ثم رحل إلى المنطقة الرومانية ، واتصل برجل من أهل الرها يسمى توما فتعلم منه اليونانيه ، وبذلك أصبح يجيد الفارسية واليونانية والسريانية ، ثم سار هو وتوما إلى فلسطين ومصر . ودخلا الاسكندرية وجمعا كتب ثاودوروس المفسر . وكان « مار أبا » يترجم بالسريانية ورفيقه توما يفسر باليونانية . فغاظ ذلك اليعاقبة فطردوهما من الاسكندرية ، فمضيا إلى بلاد اليونان فالقسطنطينية وأظهرا بها علومهما ، وفيها تعرف « مار أبا » بالرحالة « كوسماس » الذى زار الهند بين سنتى ٥٢٥ م . و ٥٣٠ م ولما رجع « مار أبا » إلى نصيبين قام بالتدريس والتفسير والترجمة بمدرستها ، ثم رسم جاثليقا سنة ٥٤٠ م . وتمكن من إزالة النزاع الذى ظل مستعراً خمسة عشر عاماً بين نرسى واليشع . وسافر فى رحلة تفتيشية حتى وصل عيلام وفارس ، وأنشأ مدرسة لاهوتية فى سلوقيا . غير أن كراهية المجوس له أخذت تزداد يوما بعد

يوم حرضوا عليه الملك كسرى أنو شروان سنة ٥٤١ م . فنفاه سبعة أعوام فى اذربيجان ، وفيها شهد اجتماعاً عقده الأساقفة سنة ٥٤٤ م . اتفقوا فيه على مجموعة من نظم الكنيسة تقع فى ستة فصول ، ومنتخب من القوانين الكنسية . ثم تآمر المجوس على قتله فى آذربيجان فى شتاء سنة ٥٤٨ م . فتمكن من الهرب إلى العاصمة مع أحد أتباعه ، وفيها قبض عليه وزج به فى السجن ثلاث سنوات . ثم إن ابنا للملك خرج على أبيه سنة ٥٥١ م . واعتصم بجنديسابور وقطع الطريق إليها ، وعاونه أهلها على أن يشق عصا الطاعة على أبيه فأطلق الملك سراحه لكى يحرض أهل جنديسابور على أن يتخلوا عن ابنه الثائر ، ففعل ما أمره الملك ، ومكن هو وأتباعه جند الملك من دخول المدينة . ولكن الملك عاد فغدر به وأمر بقتله سنة ٥٥٢ م .

أما عن كتاباته فله ترجمة للعهد الجديد عن اليونانية يظهر أنه عملها أثناء إقامته فى مصر ، وقد أشارت إليها نصوص سريانية لوقيانية . وتنسب إليه بعض طقوس القداس النسطورية . وله ميامر شرح فيها بعض أسفار العهدين القديم والجديد ، ولكنها ضاعت ولم يبق لنا إلا إشارات عنها . وقد بقى لنا من كتاباته إيضاح عن حق الزواج وفق نصوص الكتاب المقدس ؛ ومعارضة لزواج الأخت عند الفرس ، وتوضيح أسباب هذا الزواج من الأساطير ، وينسب اليه أيضا تسابيح تدخل بعد الآية الأولى من كل مزمور وتسمى بالقانون .

تلاميذ مار أبا

ه كان لمار أبا عدد من التلاميذ ، منهم : بولس الذى رسمه أستاذه مار أبا بعد عودته من سوسه أى سنة ٥٥١ م . مطرانا على نصيبين ، وحضر مجمع يوسف سنة ٥٥٤ م . وأمضى ثلاثين عاما يدير مدرسة فى إربل كان ابراهيم البيت ربانى قد أرسله اليها ، وأقام حينا فى القسطنطينية واشترك فى مناظرة

دينية ذكرها فى رسالة له إلى قسوى طبيب البلاط الساسانى .

ه ومنهم توما الرهاوى ، وقد ذكر بنفسه أنه تولى التدريس فى مدرسة نصيبين بعد مار أبا . ومن كتاباته رسائل عن عيدى الميلاد والغطاس ، ورسائل عن أسباب أعياد الكنيسة ومواعيدها . وله رسالة فى الموسيقى الكنسية ، ومعارضة ضد التنجيم ، ومواعظ رثاء . وينسب اليه جدل ضد الهراطقة .

ه ومن تلاميذه قيورى الرهاوى ، وكان مدرساً فى مدرسة الرها ، ثم أنشأ مدرسة فى الحيرة ، وكتب أثناء تدريسه فى الرها اضافات إلى بعض كتابات توما عن أهم أعياد الكنيسة . وتنسب اليه ميامر وبعض شروح على الكتاب المقدس .

ه ومنهم تيودور المروزى ، وضع كتابا سمى بالكناش ، ولا نعرف عنه غير اسمه ، وتنسب اليه ردود على عشرة أسئلة وضعها سرجيس الرأسعينى ، وله كذلك بعض رسائل موجهة اليه وميامر وشروح على المزامير .

ه أما أخوه الأسقف جبريل الهرمزدشيرى فله كتاب فى الرد على المانوية والكلدانيين ، وله مجموعة من التعاليم والإيضاحات ممزوجة باستشهادات من الكتاب المقدس تقع فى حوالى ٣٠٠ باب ، وقد بقى لنا من كتاباته قطعة منظومة فى تاريخ القديس أوجين نسبها كتاب القرن الرابع عشر إلى أخيه تيودور المروزى .

ه ومنهم سرجيس بن ساحيق وكان مدرسا فى مدرسة الحيرة ، أو فى مدرسة الحوزة فى حذيب ، وقد نسبت اليه شروح على سفر إرميا وحزقيال . ومنهم إيشى الذى تنسب اليه رسالة عن شهداء يوم الجمعة الذى يلى عيد الفصح ، ومنهم موسى الكشكرى الذى عرف له كتاب حسن تدبير البيعة الذى ذكره اليا الجوهرى فى

كتاب له عن مسائل تتعلق بالقداس ومنهم المطرانين يعقوب من بيت جرى وداورد المروزى . والأساقفة نرسى الأنبارى ، وبرشبا الشهرزورى ، وشوبحا لمارن الكفكرى .

الجاثليق يوسف

أقام زمنا فى المنطقة الرومانية حيث درس الطب ، ثم انتقل إلى نصيبين فعاش فى دير بالقرب منها ، فلما مات مار أبا الجاثليق خلفه على الجثالقة سنة ٥٥٢ م . بمساعدة مرزبان نصيبين وموافقة كسرى الأول . وفى سنة ٥٥٣ م . اجتمع هو والآباء فى سلوقية ووضعوا قانونا لتدبير شأن البيعة فى ثلاث وعشرين مادة ، ولكن سرعان ما فسد الأمر بينه وبين الأساقفة فلم يأبه بهم وأخذ يستميل أصحاب السلطة الدنيوية بالرشا لكى يحافظ على المنصب الدينى الذى وصل إليه ، وأخيرا اجتمع الأساقفة وعزلوه سنة ٥٦٧ م . وقد مات سنة ٥٧٥ م .

وقد جمع الجاثليق يوسف كتيبا جامعا للجثالقة إلى عصره يعد أساسا لتاريخ البطارقة فى الكنيسة النسطورية . وقد ذكره عبد يشوع فى فهرسه الذى ضم البطارقة من سنة ١١١ هـ . إلى سنة ٣٥٢ هجرية على أنه تكملة لهذا الفهرس .

° ° °

ظهرت فى المدرسة اللاهوتية للسريان النساطرة آراء حنانا الحذيبى فى عصر الجاثليقين حزقيال ويشوع يب الأول ، خلف ابراهام بن القرداحى فى عصر الازدهار على رأس مدرسة نصيبين ، حيث قامت أزمة لمحاولة تقليد الروح السكندرية فى الكنيسة الشرقية . وفى عصر الجاثليق سبر يشوع الأول ، وجريجور الأول ، استمر النزاع الكنسى وقد عرف فى عصر النزاع جريجور الكشكرى الملقب بالمعلم أو الباذوقا والأسقف نائنيال السرزورى .

• رسم حزقيال جاثليقا سنة ٥٧٠ م . وعقد مجمعا سنة ٥٧٦ وضَّح فيه أصول الإيمان وفقا للعقيدة النسطورية القديمة معارضا لآراء حنانا ، ووضع تسعة وثلاثين قانونا فى تدبير البيعة بعضهـــا ضد الخرافات ، وعادة الحزن . واستهجان تعليم الغناء الدنيوى للفتيات المسيحيات ، وفيها بيانات طريفة عن تاريخ الثقافة . ثم أخذ يعنف بالآباء ، وفقد بصره سنة ٥٧٩ م . فزعم الآباء أنه عقاب السماء على معاملته لهم ، ومات سنة ٥٨١ م .

• أما يشوع يب فكان من بيت عربايا وتعلَّم فى مدرسة نصيبين على ابراهيم المفسر قريب نرسى ، ورأس المدرسة بين سنتى ٥٦٩ و٥٧١م . ثم رُسِّم أسقفا لأرزن بمساعدة هرمزد الرابع له (٥٧٩ — ٥٩٠ م) وفى سنة ٥٨١ م رسم جاثليقا . وفى سنة ٥٨٨ م عقد مجمعاً فى سوقيا أصدر فيه ٣١ قانونا . وفى عهد كسرى الثانى (٥٩٠ — ٦٢٨ م) فسدت الأمور بينه وبين كسرى ثم صفح عنه . وفى آخر أيامه رحل إلى النعمان بن المنذر ملك العرب . وكان قد اعتنق المسيحية . فاعتلت صحته ومات فى قرية بيت قوشى سنة ٥٩٦ م . فدفنته هند بنت النعمان أو أخته ، فى البيعة التى ابتنتها بالحيرة وتعرف الآن بدير هند .

وله من الكتابات خطاب إلى يعقوب أسقف دارى فى جزيرة البحرين ، وعشرون قانونا غير القوانين السابقة لها أهمية فى تاريخ الطقوس ، وقانون للإيمان ، ورسائل فى الرد على اونميوس ، وجدل مع أسقف يعقوبى لم يذكر اسمه ، ورسالة حول أسرار الكنيسة .

• أما ابراهام بن القرداحى ويعرف بالنصيبينى فقد تولى رياسة المدرسة بعد يشوع يب وبقى بها عاماً ، وله رسائل تعرف بالتعاليم . وميامر ومواعظ تلقى على المقابر ، ورسائل فى الرد على مارق اسمه شيستار .

• ودرس حنانا الحذيبى فى نصيبين على ابراهيم قريب رسى ثم تولى

التدريس بمدرسة نصيبين ، وكان نشاطه بها ملحوظا أيام الجاثليق حزقيال ، فلما جاء المطران بولس طرده لضعف في عقيدته النسطورية فقد كان من أتباع اوريجين، الذين يدينون بالآراء السكندرية المتطرفة فى معارضة ثاودوروس المفزوستى ومن أتباع الاتحاديين ، وكان معارضا للآراء اللاهوتية النسطورية القائمة التى كانت لا ترى أن خطيئة آدم أبدية وراثية ، وكان يرى رأى أويجانوس فى القيام بالجسد والعذاب الدائم فى جهنم . ولكنه رجع إلى المدرسة سنة ٥٧٢ م . بعد موت بولس وصار رئيساً لها ، وبلغ عدد تلاميذ المدرسة فى أيامه ٨٠٠ تلميذ . ولم يكن يأبه للقرارات التى تصدرها المجامع ضده لأنه كان يعتمد على حماية الدولة الفارسية ومعاضدة رجال الحكومة له ، ولذلك بقى محتفظا بوظيفته ، وكان له ما يقرب من ثلاثمائة من الاتباع ، وعاش حتى سنة ٦١٠ م .

وبقى لنا من كتاباته لوائح مدرسة نصيبين التى وضعها سنة ٥٩٠ م . ومقالاته فى ذكرى معجزات المسيح . وذكرى صيام نينوى . ومقال فى ذكرى العثور على الصليب . وميمر عن يوم أحد الشعانين ، وشرح للعقيدة . وشروح على بعض أسفار العهد القديم ، ورسائل بولس .

● أما الجاثليق سبر يشوع الأول فكان راعياً فى الجهات الجبلية فى سرزور، ثم ترهب وتعلم فى مدرسة نصيبين ، وكان له نشاط تبشيرى ملحوظ وهو أسقف لاشوم ؛ رسم جاثليقا سنة ٥٩٦ م . وعقد مجمعا فى نفس العام اشتملت قراراته على قانون للإيمان يدحض به آراء راهب من دير برقيطا . ويظهر أنه ألف كتاباً فى تاريخ الكنيسة لم يبق لنا منه إلا نص يتناول فيه مقابلته للقيصر موريقى فى أسلوب قصصى .

● وكان ميخائيل ويعرف بالمعلم (الباذوقا) تلميذا لحنانا ثم مدرسا فى مدرسة نصيبين ، ثم عارض حنانا ، وكان لكتابه الذى ألفه فى ثلاثة أجزاء عن مسائل

من الكتاب المقدس تأثير على أدب التفسير المتأخر . وينسب إليه مقال عن ذكرى العذراء فى اليوم التالى لعيد الميلاد . وله مقالات فى الرد على اليعاقبة ، ورسالة عن الأحلام . وأخرى عن الإنسان كعالم صغير . ومجموعة من التعريفات .

● ودرس نائنيال السرزورى فى نصيبين ، واهتم بدراسة التفسير ، وقد حضر المجمعين اللذين عقدهما يشوع يب الأول واغريغوريوس الأول . سجنه كسرى الثانى ست سنوات قبل سنة ٦٢٨ م ، ثم صلبه لأن الجماعة التى يرأسها طردوا قائداً فارسيا من المدينة اتهم بهدم كنيستهم . وله من الكتابات تفسير للمزامير ، ورسائل فى الجدل فى الرد على المجوس والهراطقة .

* * *

وإلى جانب مدرسة نصيبين كان لمدرسة سلوقيا بعض الشأن فى الحياة الأدبية. فى ذلك العصر ، ومن رجالها الجاثليق جريجور الأول ، وكان أصله من فيرات ، وصل إلى وظيفة مفسر بمدرسة سلوقيا بمساعدة الملكة سيرين ، وكان يعرف عنه الجشع . رسم سنة ٦٠٥ م . وعقد مجمعاً عقب رسامته تدل قراراته على التمسك بالعقيدة النسطورية وآراء تيودور المفزوستى . وكان معارضا لآراء حنانا .

● ودرس اغريغوريوس الكشكرى فى مدرسة سلوقية أيضا . ثم عمل مفسرا فى إربل . وفى سنة ٥٩٦ م . رسمه الجاثليق سبريشوع الأول مطرانا على نصيبين مكان المنجم جبرييل بن روفينا الذى نحى عن وظيفته . أخذ فى مقاومة حنانا بشىء من الحزم ، وخلا به سبريشوع الأول ، وهدد بالخلع ، واضطرته الحكومة الفارسية إلى الانزواء فى أحد الأديرة ، ووقف حياته على التبشير بين الوثنيين . وقد ترك آثاراً أدبية منها تاريخ الكنيسة وكتابات أخرى معظمها فى الرهبنة .

* * *

وإلى جانب الدراسة اللاهوتية فى الدولة الساسانية ظهرت فى منتصف القرن السادس دراسة سريانية جديدة هى الرهبنة النسطورية ، ويعتبر مؤسسها ابراهام الكشكرى الذى عاش متنسكا فى طور عبدين فى جبال الأزل فى شمال نصيبين ، ومن ثم انتشرت منشآته وكان لها نشاط أدبى ، وظهر ابراهام النثفرانى فى الكتابات النثرية فى الرهبنة ، وخلفه بابى بن نصيبنايا ، وبابى الكاتب ، والمطران شوبحا لمارن ، وكذلك ظهر اهتمام بعض هؤلاء الرهبان بالنظم ، وكان يمثلهم فيه باعوث وحنا نيشوع .

• وتنحصر أهمية ابراهام الكشكرى فى تأسيسه للرهبنة النسطورية على نظام قصد هو أن يكون مخالفا لأسس الرهبنة اليعقوبية . وكان مبشراً موفقا بين عرب الحيرة . ثم سافر إلى مصر وتعرف إلى رهبنة أديرة وادى النطرون وسيناء . ثم عاد إلى نصيبين واشتغل بالتدريس بمدرستها مع يوحنا وابراهام قريب نرسى إلى أن اعتكف فى مغارة بالقرب من جبال الأزل حيث أسس الدير الكبير هناك . وتوفى سنة ٥٨٨ م . بعد أن بلغ الخامسة والثمانين من عمره . ومن كتاباته تسبيحة ولوائح وضعها لهذا الدير .

• وقد تابع خليفته دذيشوع عمله ، وكان من بيت دارايا من منطقة بيت أرامايا ، كان ناسكا معاصراً للراهب اسطفانوس فى حذيب فاستغوته شهرة ابراهام الكشكرى فانتقل إلى دير الأزل الذى أسسه ووضع له لوائح أيضا . وتوفى سنة ٦٠٤ م . فى الخامسة والسبعين من عمره .

• وأنشأ الراهب زينى تلميذ اسطفانوس ديراً فى جبل شفوَلىّ فى منطقة نهر الزاب الصغير ، ووضع له لوائح ثالثة للرهبان .

• وأما ابراهام الذى كان يعرف عند النساطرة بالنثفرانى وعند اليعاقبة بالنفترانى أو النفتارى فقد ولد فى قرية بيت نثفرا بالقرب من أربل وهو من

أفلموب الذين استشهدوا فى حذيب أيام شابور الكبير . وكان معاصراً لابراهام الكشكرى ووضعا معا قوانين الرهبنة ورسومها فى بلاد الفرس ، وخالفا بين زى الرهبان من النساطرة وبين زى غيرهم من الهراطقة ، فلم يعد الرهبان يلبسون الزى الذى كان عليه رهبان مصر منذ عهد أوجين . أقام مدة متنسكا فى مغارة بجبل حذيب ثم قصد إلى فلسطين ، وأقام فى إحدى مغاراتها ثلاث سنوات ، ثم زار مصر ، وعاد ثانية إلى مغارته فأقام بها ثلاثين عاما يقتات بالخبز وأعشاب الجبل ، لا تلحقه علة ، ولا يعرض له مرض . ويقول صاحب تاريخ النساطرة إنه قصد جبال حذيب فوجد فيها قوما يذبحون للأصنام فردهم إلى عبادة الله ولم يلبث أن مات بينهم . ويقول عبد يشوع إنه سافر الى الشمال حيث قام بالتبشير فى أذربيجان . وله كتابات فى الرهبنة ، وشرح على الأناجيل ، ورسالة فى الرد على الهراطقة ؛ وتسبيحات ومقالات كثيرة فى التنسك ؛ وله منتخبات مترجمة إلى العربية من كتاباته فى الرهبنة .

● وكان للنثفرانى تلميذ اسمه أيوب من أهل دسم ؛ وكان أبوه يتجر فى الجوهر ، وكان ذات مرة فى رحلة للتجارة فى المنطقة الرومانية ومرض فى دير بالقرب من نصيبين ، فنذر إن عوفى أن يترهب ، فلما من الله عليه بالعافية قصد إلى ابراهيم النثفرانى ودرس عليه ، وأقام فى دير الأزل ، فلما مات استاذه اقام ديراً على مغارته التى كان يسكنها ، وترجم لوائح ابراهام الكشكرى ومقالات ابراهام النثفرانى إلى الفارسية .

● وكان بابى برنصينايا ويسمى بالنصيبينى أيضا نسبة إلى أسرته فى نصيبين ، وعرف بالصغير أيضا . وكان تلميذاً لابراهام ، تنسك فى مغارة بالقرب من أربل ، وعاش أحيانا فى دير زيننَىْ ، ثم صار رئيسا الدير يسمى بالدير الصغير على جبل الأزل ، يقع إلى جانب دير ابراهام المسمى بالدير الكبير ، وله رسائل فى الرهبنة ليست ذات بال ، وله ميامر وتسبيحات .

• أما بابى المصرى المعروف بالكاتب فقد ولد فى مدينة بهقواذ بجانب الحيرة، وكان قبيل الإسلام كاتبا لمرزبان الحيرة، ثم ترهب ومات فى عزلته عن ثلاثة ومائة سنة تاركا كتابه فى الرهبنة « التمييز بين الوصايا ».

• وأنجبت مدينة بيت سلوك (كركوك) المطران شوبحا لمارن، وكان معاصراً للجاثليق جريجور الأول، وقد نفاه كسرى الثانى أيام الاضطهاد الذى وقع بعد موت اغريغوريوس كتب فى الرهبنة، ثم فى الجدل ردا على جبريل الشنجارى اليعقوبى طبيب البلاط، وله عدد من الرسائل، ومجموعة من حكم النساك و « كتاب الأجزاء » فى ثلاثة أجزاء عن تعاليم المسيح فى التواضع والرحمة وعلاقة الإخوة بعضهم ببعض فى العزلة وفى الدير. وبين أيدينا شرح على التوراة لمفسر إسمه شوبحا لمارن يغلب على الظن أنه صاحبنا هذا.

• أما كتاب النظم فى الرهبنة فأبعدهم صيتاً باعوث، معاصر الجاثليق يشوع يب الأول، ومؤسس دير بيت نوهدرا، وإليه تنسب بعض القصائد عن ظهور المسيح، وتحقيق نبوات الأنبياء فى المكذبين للبعث، وكتب فى التسبيحات.

• ومن شعراء الرهبنة الراهب حنا نيشوع، وقبل أن يدخل دير الأزل كان يدعى « عمرى » ومولده فى الحيرة، وهو من أقارب المنذر ملك الحيرة، ويقولون إنه رافق جيورجيس سنة ٦١٢ م. إلى البلاط الساسانى. وأنه كان بعد ذلك مبشراً ومؤسساً لدير داراباد فى بيت جرمى كتب رسالة يعارض فيها التعاليم الكلقدونية التى كان يقول بها إشعيا الطحَلِّى، ومسكينا من بيت عربايا، وهما من أتباع حنانا.

النقل عن اليونانية

رأينا أن المدرسة الفارسية بالرها ترجمت فى القرن الخامس اللاهوت اليونانى إلى السريانية للنساطرة. وقد حدث شىء مثل هذا عند اليعاقبة بعد قرن من الزمان

حين بدأت سياسة العنف الرومانية سنة ٥١٨ م . والتى طرد بسببها أتباع سويرس من الأساقفة خارج ديارهم ، فعمل هؤلاء فى مهجرهم على نقل الكتابات اليونانية إلى السريانية ، فظهر بولس أسقف الرقة الذى ترجم كتابات سويرس الأنطاكى، وموسى الإجيلى الذى ترجم كتابات كيرولس الاسكندرى ، وبر الاها وصديقه شمعون ويوحنا فيلبونس . كما ترجم إلى جانب ذلك كتابات الذين عارضوا نسطوريوس من معاصريه ، وكتابات تيموتاوس أيلورروس ، وكذلك ظهرت ترجمة الكتابات المحمولة على ابوليناريس ، واستمر السريان أيضاً فى ترجمة أدب الرهبنة عن اليونانية .

• أما بولس أسقف الرقة فقد اضطهده الملكية وعزلوه عن منصبه سنة ٥١٩م فلجأ إلى الرها ، وفيها ترجم كتابات سويرس الانطاكى إلى السريانية ،سنة ٥٢٨م ترجم منها خطاباته إلى يوليانوس الهليكرنازى التى كفره فيها فى ثمانى مسائل وخطاباً إلى الرهبان الشرقيين ، وآخر يعارض فيه يوحنا أسقف قيصرية المعروف بيوحنا النحوى عن مجمع كلقدونية ، وله جدل فى الرد على أتباع مانى وقد بقيت لنا كل ترجماته غير جدله ضد المانوية ومن المحقق أيضا أنه ترجمه كتاب آخر عنوانه « المارق النحوى » فى ثلاثة أجزاء . وخطاباً إلى سرجيوس النحوى ، وخطابات أخرى . وكتابات فى الجدل ضد يوليانس فى ٣٣ فصلا . ومي مر فى أربعة أجزاء مترجمة عن سويرس الانطاكى كتبها فيما بين سنتى ٥١٢و٥١٨م

• وأما موسى الإجيلى فقد ترجم من كتابات كيرولس حوالى سنة ٥٦٨ م . رسالته إلى بافنوتيوس ، وقصته عن يوسف وأسنات . كما ترجم له قبل سنة ٥٥٣ م . كتاب ميامر لوقا ، ولم يبق لنا منه الا ترجمته السريانية .

• وأما برالاها فكان ناسكا لزم صومعته ، وترجم شروح إتاميوس .

وكتب إلى سمعان رئيس دير فى الجبال السوداء يسأله شرح المزامير ثم ترجم شرحه إلى السريانية .

• وكان منهم أيضا يوحنا فيلبونس ويعرف عند العرب باسم يحى النحوى الاسكولائى ظهر فى النصف الأول من هذا القرن ، وقد أهملت تعاليمه فى التثليث، واعتبرت كتاباته فى المرتبة الثالثة عند اليعاقبة بعد كتابات كيرلس وسويرس ، وقد حفظت لنا السريانية بعض كتاباته ورسائله ، منها خطابان إلى القيصر يوستنيانوس ، وكتاب يعارض فيه أرسطو ، وشرح لايساغوجى لقيه اليعاقبة بكثير من العناية . وقد ترجم له بالعربية بعض كتابات فلسفية ، وكتاب فى الجدل ضد تعاليم بروكلوس عن أبدية العالم عنوانه والدلالة على حدوث العالم ،

• وقد ترجم فى هذا القرن أيضا بعض كتابات بالسريانية فى معارضة نسطوريوس . منها كتابات كيرلس الاسكندرى المتوفى سنة ٤٤٤ م . وخطاب بروكلوس إلى الارمن ، ورسالة عن العقيدة وثلاث كتب لتيودوتس فى الرد على نسطوريوس .

• كما ترجمت كتابات تيموثاوس ايلوروس بطرق الاسكندرية المتوفى سنة ٤٧٧ م . منها كتاب عن مجمع كلقدونية ترجم قبل سنة ٥٦١ م وصلاه للذين ارتدوا إلى عقيدة اليعاقبة ورسالة فى الرد على النساطرة ، ومجموعة من كتابات الآباء ،ومختارات من كتابات ديودوروس وتيودور المفزوستى ونسطوريوس

• وكذلك ترجم إلى السريانية الكثير من كتابات ابوليناريس الذى كان من اللاذقية وتوفى قبل سنة ٣٩٣ م والذى نشر هو وأتباعه مذهب الطبيعة الواحدة ؛ كما ترجمت إلى القبطية ، وترجم بعضها إلى العربية . والراجح أن جميع هذه الكتابات قد حملت عليه فى عصر متأخر . ومنها كتاب لاغريغوريوس فاعل العجائب ، واتناسيوس ويوليوس الأول التى يشهد فيها لاصحاب الطبيعة الواحدة يريد الدعاية لهم .

• وكذلك ترجمت إلى السريانية فى هذا القرن بعض كتابات الرهبنة اليعقوبية التى كتبها أصحابها باللغة اليونانية مثل كتابات إشعيا الاسقيطى، سمى بالاسقيطى لأنه بدأ حياة الرهبنة فى صحراء الاسقيط، وقضى الجزء الأخير من حياته فى اليوتيرو بوليس (وهى بيت جبرين الآن) فى فلسطين فى ضواحى غزة حيث توفى سنة ٤٨٨ م. وقد كتب فى أواخر أيام حياته فى عصر القيصر زينون، مؤلفات فى الرهبنة اليعقوبية باللغة اليونانية، ثم ترجمت كتاباته إلى السريانية فى القرن السادس فزادت من نشاط الترجمة فى هذا القرن منها مقالات فى ٢٨ فصلا، وقد ترجم الكثير من كتاباته إلى العربية منها وصايا إلى المبتدئين وتعاليم وأقوال.

• كذلك نقـــل إلى السريانية خمس رسائل فى الرهبنة لراهب يونانى اسمه مرقيانوس، وكتاب فى الدرجات يشتمل على ٢١ فصلا، أما الكتابات التى تنسب إلى باسيليوس ويوحنا السينائى فالراجح أنها ترجمت بعد القرن السادس.

* * *

ولم يقتصر أمر النقل عن اليونانية إلى السريانية فى هذا القرن على الكتاب المقدس كما فعل اكسنايا وبوليكاربوس، ولا على اللاهوت وكتابات الرهبنة، بل تعداها إلى نقل العلوم اليونانية الدنيوية وآدابها، وقد تناول السريان فى هذه الناحية الأخيرة مجموعتين: الأولى أثر الدراسات الميتافيزيقية فى الافلاطونية الحديثة إلى جانب منطق أرسطو. والثانية الدراسات الطبية والكيمائية والكتابات التى تحتاج إليها الحياة العملية إلى جانب الدراسات الفلسفية.

وكان ممن عنى بهذه الناحية من معاصرى اكسنايا ويعقوب السروجى، الراهب يوحنا الأفامى واسطفان بن صديلى اللذين أثرت دراستهما الفلسفية للافلاطونية الحديثة على العقائد المسيحية؛ وكذلك كان سرجيس قسيس رأس

العين وشيخ أطبائها متأثراً بهذه الدراسة إلى جانب ما عرف عنه من ترجمته للتاريخ المنسوب إلى ديونسيوس الأريوباجي . وكان هذا الاتجاه هو الذى زود التراث السريانى منذ عصر متقدم بحكمة الحياة الفلسفية الشعبية وبالثقافة العلمية الحيوانية الزراعية اليونانية .

يوحنا الافامى

كان راهبا بدير سمعان العمودى فى تل نيشين ، ولد فى مدينة أفامية على نهر العاصى ، ونعرف تاريخه من معارضة اكسنايا له معارضة شديدة نستطيع أن نتبين عنفها فى إحراق إكسنايا لكتبه ، درس الطب والمنطق فى الاسكندريه ، وضع كتابا سماه « الأساس » طبع فيه الافلاطونية الحديثة بطابع مسيحى شكلى ، وقد لعب فيه ملكيصادق وابراهام دوراً أساسيا . وله كتاب آخر لا يشابه الأول ولكنه متفق معه فى روحه ، ويشتمل على ترجمة سريانية لكتاب أفلوطين المعروف باسم إنيادس ، وكذلك ترجم تاولوجيا أرسطو إلى السريانية وترجمه عبد المسيح بن ناعمة الحمصى إلى العربية ، وكذلك أصلح ترجمته يعقوب بن اسحاق الكندى لأحمد بن المعتصم .

سرجيوس الراسعينى

كان سرجيوس قسيس رأس العين وشيخ أطبائها خير المترجمين عند اليعاقبة وأشهرهم ، وقد تحدث عنه عبد يشوع فى فهرسه بين المؤلفين من النساطرة نظراً لفضله .

يقال إنه تلقن العلم فى الاسكندرية وفيها تعلم اليونانية . بدأ حياته الدينية على أرض يدين أصحابها بمذهب اليعاقبة ، وكانت علاقته بالنساطرة طيبة ، وقد أهدى كثيراً من كتبه إلى تيودورس الذى يظن أنه كان أسقف مرو النسطورى . عين

قسيسا لرأس العين ، وفى سنة ٥٢٦ م . رحل منها إلى أنطاكيا ليشكوا أسقفه اسكوليوس إلى البطرق إفريم الذى كان قد خلف سويرس ، ورأى إفريم أن يستخدمه فى محاربة اليعاقبة فأرسله إلى روما بعدة خطابات إلى البابا أغابيتوس الأول وفى ربيع سنة ٥٣٦م . سافر هو وأغابيتوس إلى القسطنطينية وحصل على أمر بعزل اليعاقبة ونفيهم . ويقولون إن سرجيوس مات بعد ذلك مباشرة وتبعه أغابيتوس بعده بأيام قلائل . ويقول يوحنا الأفزوسى وزكريا البليغ أنهما لقيا حكم السماء لأن تواطؤهما مع الملكية ضد مذهبهما يعد خيانة .

أما أعماله الأدبية فكثرتها تتعلق بالترجمة ، وهو فيما يقول ابن العبرى فى تاريخه السريانى أول من أوقف السريان على مؤلفات أرسطو بواسطة تراجمه وشروحه . وأسلوبه فى الترجمة فيما يقول رسل خير نموذج لفن الترجمة ، يصلك من أضيق ناحية بالنص اليونانى الأصلى . ومن هنا يتضح لنا خطأ ابن أبى أصيبعة الذى ذكر أن سرجيوس كان لايجيد الترجمة ، وأن ترجمته احتاجت إلى مراجعة قام بها حنين بن اسحاق فيما بعد . ومن كتاباته اعترافه « مقال فى العقيدة » ، وقد ضاع هذا الكتاب ، ولكن ورد ذكره فى مقدمته لترجمة كتابات ديونسيوس الاريوباغى ، وكذلك ذكره زكريا البليغ فى تاريخه .

وله كتاب وضعه عن منطق أرسطو فى سبعة فصول كلها متصلة بالأورجانون وله كتابات فلسفية أخرى عرف منها ترجمته للكتاب المنسوب إلى أرسطو . « كتاب أرسطو إلى الاسكندر عن الكون » . وله كتاب عن الكون فى رأى أرسطو . وكتاب عن الجنس والنوع والفرد . وآخر عن قاطيغوريوس ، وكتاب عن بارى أرمنياس ، ذكر فى الفصل الثالث منه العلاقة بين أنالوطيقا أرسطو وبين بقية كتابات أرسطو .

وتعزى إليه ترجمة ايساغوجى لفورفوريوس ، وقاطغورياس ، وكتاب لأرسطو عن النفس ضاع أصله اليونانى ، ومقال فلسفى عن أجزاء الكلام ، ورسالة عن الاثبات والنفى وأخرى عن معنى الجوهر ، ويعزى إليه أيضا ترجمة كتاب الطب لجالينوس ؛ الذى يعتبر أساس دراسات الطب فى الأوساط الطبية الشرقية والذى أصبح قانونا لها ، وقد ترجم إلى العربية عن السريانية فى القرن التاسع عن ترجمة سرجيوس ، وينسب إليه أيضا بعض رسائل محمولة على كبار الأطباء اليونان ، كما أضيف إليه مقال عن حركة الشمس .

ومن الكتب التى بقيت لنا كتابه فى التراكيب (الفارماكوبيا) وبمقارنة نصه يتبين لنا أن سرجيوس ترجم أجزاء من كتاب « فن الطب » ، ورسالة عنوانها « أثر القمر فى رأى المنجمين » .

° ° °

وقد ترجم فى ذلك العصر أيضا كتب فى أدب الفلسفة الشعبية ، ظهر منها تراجم لبلوطرخ ولوقيان وتمستيوس ، وهى فى لغتها وأسلوبها فى الترجمة قريبة الشبه لكتابات سرجيوس الرأسعينى ، ولذلك فإنه من المحتمل أن تكون من ترجمة سرجيوس . ونستطيع أن نستدل من بعض الاستعمالات اللغوية على أن الموعظة التى نسبت إلى ايسوقراطس هى من ترجمة سرجيوس . وإلى هذه الدائرة أيضا ترجع النصوص السريانية لحوار سقراطس التى ضاع أصلها اليونانى ، وسيرة الفيلسوف سكندس الصامت . ويدل وجود بعض حكم ميناندروس فى السريانية على أن مسرحيات ميناندروس كانت مترجمة إلى السريانية ، وربما كانت موجودة أيضا فى اللغة الآرامية الشرقية فى العصر السابق على المسيحية . وهناك حكم لفيثاغورس ، ومجموعتان عن الفلسفة الأفلاطونية ، بهما حوار منسوب لأفلاطون مع أحد تلاميذه ، منه ما هو مترجم عن اليونانية ، ومنه ما

نشأ فى أرض سريانية وهو مجموعه من الحكم لمؤلفين مختلفين . وهناك ترجمة سريانية لحكم نثرية يونانية تحمل اسم Sextos .

ولم تقتصر الترجمة فى هذا العصر على الكتابات الفلسفية ، ولكنها جاوزتها إلى التاريخ الطبيعى ، فقد ترجم منه عن اليونانية كتاب فسيولوجوس : وهو كتاب مسيحى قديم يرجح أنه كتب فى الاسكندرية باللغة اليونانية فى النصف الأول من القرن الثانى ، معتمداً على التاريخ الطبيعى الشعبى فى العصر السابق على ظهور المسيحية ، ولم يذكر مؤلفه ، ويمكن أن نعتبره أكثر الكتب الشعبية انتشاراً فى العصور الوسطى ، فقد ترجم إلى لغات مختلفة ، وتقع ترجمته السريانية فى ٣٢ فصلا ، وله ترجمتان متأخرتان زيدت عليهما عدة إضافات ، والقسم الرمزى ناقص فى الفصل الأول ، ولكنه كتب بتصرف فى النص الثانى وأضيفت إليه عدة إضافات تتصل إتصالا وثيقا بميامر هكسامرون التى كتبها باسيليوس ولذلك فإنه يحتمل أن يكون هو مؤلف هذا الجزء . وقد ضاع النص الأصلى . ويغلب على الظن أنه كان ينقسم إلى ٨١ فصلا ، وقد وصلنا فى نص غير كامل ، مع تغيير فى ترتيب الفصول . وقد استفاد بربهلول فى معجمه من نص نسطورى لهذا الكتاب يظهر إنه كان يحتوى على ١٢٥ فصلا ويعالج هذا النص الأشجار والأحجار إلى جانب حديثه عن الحيوان وتشتمل الفصول من ٨٠ إلى ٨٩ على مواد تتصل بالجغرافيا . وقد عرفت السريانية ترجمة قائمة بذاتها عن وصف الأرض ترجع نشأتها إلى عصر أحد ملوك البطالسة .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية ، وعزى تأليف النص اليونانى فى هذه الترجمة إلى جريجور النزيانزى ، واشتمل النص العربى على بعض زيادات ، وتاريخ بعض الحيوانات ، كما حذفت منه بعض أجزاء ، وذلك يرجح صلته بنص سريانى متقدم . ولم تدرس النصوص العربية لهذا الكتاب بعد درسا علميا وافيا .

وكذلك تناول السريان الفلاحة فى هذا العصر فى كتاب الجيوبونيكا السريانى وهو فى الأصل ترجمة لكتاب يشتمل على ١٢ فصلا ترجع إلى ڤندانيوس أناتوليوس البيروتى من القرن الرابع أو الخامس . وقد كتب ڤندانيوس كتابه فى ١٣ أو ١٤ فصلا ، والفصلان الأخيران إضافات ، يدور الحديث فيها عن تربية الحيوان ، والاستنبات، ولعلها منقولان عن كتاب يونانى آخر عن البيطرة وهذا الكتاب أساس الكتاب العربى « الزراعة اليونانية » الذى ترجمت بعض نصوصه منه ، وقد عرف أنه ترجمة لكتاب يونانى ألفه « كسيانوس باسوس المعلم » . وهو غير كتاب ترجم عن الفارسية وسمى مؤلفه الرومى سرجيوس بن إلياس ، وعرف باسم سرجيس بن هليا الرومى ، وهو المترجم العربى — لا السريانى — لهذا الكتاب . أما صلة النصين العربى والسريانى بالجيوبونيكا اليونانية لمجموعة القيصر قسطنطين ، فنستطيع أن نتبينها من أن أساس الجيوبونيكا هو كتاب كسيانوس ، الذى جمع فيه كتاب أناتوليوس، وكتاب آخر لديديموس.

ولما كان النساطرة هم الذين بدءوا أعمال الترجمة عن اليونانية فى القرن الخامس فقد وصلوا أعمال الترجمة فى هذا القرن أيضا فترجمت كتابات نسطوريوس التى أمكن استخلاصها من أيدى أعدائه : منها مجموعة من رسائله ، ومجموعة أخرى من ميامره ومقالاته . ولا نعرف الزمن الذى ترجمت فيه على التحقيق ، وكل ما نعرفه أن ترجمة بعض هذه الكتابات تعزى إلى عصر الجاثليق بولس حوالى سنة ٥٣٦ م . ومن هذه الكتب كتاب نسطوريوس الرئيس Pragmateia وقد وصل إلينا هذا الكتاب ، وكذلك ترجم له كتاب كفاليا ويقع فى ثمانية وثلاثين فصلا وإن كان يشك فى صحة نسبة هذا الكتاب إليه ، وله اثنتا عشرة مقالة سريانية تحت اسم « لعنات » ولكنها تختلف عن الأصل اليونانى . وقد اقتبس معارضوه الكثير من هذه الكتب فى الرد عليه .

كما ترجمت كتابات بعض معاصرى نسطوريوس : فترجم للفريان اوثريوس من بلدة تيانا مقالات وميامر ، ورسالة فى الرد على إحدى المرطقات ، وشرح للاناجيل . وترجم للقس تيودولوس تلميذ تيودور المفزوستى شروح على الكتاب المقدس ورسالة عن استعمال المزامير . وترجمت بعض الكتب والميـــامر لباسيليوس . وشروح على بعض الأناجيل لأكيلينوس . وشرح على حزقيال ورسالة فى الجدل لفيلوتاوس .

النقل عن الفارسية

كان النساطرة هم أول من عمل على نقل الثقافة اليونانية إلى السريانية فى القرن الخامس وكذلك كانوا — بحكم إقامتهم فى البلاد الفارسية واتصالهم بثقافتها — هم الذين عملوا على نقل الثقافة البهلوية إلى اللغة السريانية . فإلى جانب استمرارهم فى الدراسات الأرسطاطالية التى بدأتها مدرسة إيهيبا فى الرها، اهتم النساطرة بالدراسات الطبية ، ونقل الآداب الدنيوية البهلوية إلى السريانية ولكنهم مع ذلك لم يترجموا إلا قليلا من هذه الكتابات ، لأن السريان عامة كانوا لا يميلون كثيراً إلى الموضوعات اللادينية من جهة ، كما كانوا يتحرجون من قراءة المؤلفات الفارسية ، لأنها — فى رأيهم — تمثل الحضارة الزرادشتية المجوسية . ومع ذلك فقد أحب السريان بعض القصص التى كانت لا تمت إلى الدين بسبب ؛ وكان أبا الكشكرى على رأس القائمين بهذه الحركة التى كانت تتركز فى نصيبين — فيما يظهر — وكان يمثلها إلى جانبه القس بود مترجم كليلة ودمنة ، وكاتب آخر هو مؤلف قصة الإسكندر السريانية .

ولما كان النساطرة قد عرفوا بنشاطهم التبشيرى ، فقد استلزم ذلك قيامهم بترجمة بعض الكتابات من السريانية إلى الفارسية وبخاصة ما تعلق منها بالعقيدة، فنسمع مثلا أن الجاثليق أقاقيوس قد ترجم كتاب اليشع بن قوزبايا السريانى

عن العقائد المسيحية إلى الفارسية ، وقدمه لقباذ ملك الفرس إجابة لرغبته . ونسمع كذلك أن يوسف تلميذ ابراهام النثفراني قام بترجمة لوائح ابراهام الكشكري في الرهبنة ، ومقالات ابراهام النثفراني إلى اللغة الفارسية .

وقد دون « أبا » الكشكري كتاباته في البلاط الفارسي إذ كان له نفوذ شخصي عند كسرى الثاني (٥٩٠ — ٦٨٢ م .) الذي سفر له عند القيصر موريق (٥٨٢ — ٦٠٢ م .) وقام بخدمات جليلة للكنيسة النسطورية لعلاقته بالجاثليق سبر يشوع الأول وجريجور . كان ملماً بالفلسفة والفلك والطب ، واللغات الفارسية واليونانية والعبرية . وله آثار أدبية كثيرة منها رسائل وشرح لمنطق أرسطو ، إلى جانب أعمال الترجمة التي قام بها .

وأما بود فكان قسيسا طوافاً على المسيحيين المقيمين في الفلوات الممتدة بين فارس والصين . له مقالات عن العقيدة النسطورية ، ومقالات في الرد على المانوية والمرقونية ، ورسالة في شرح الكتاب الأول من ميتافيزيقا أرسطو . وينسب إليه أيضاً ترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى السريانية عن الهندية . والأمر الذي لا شك فيه أن أساس هذا النص معروف في كتابات الأدب البوذي أدخله البراهمة في كتاب البانج ترا (أي القصص الخمس) لكصنوسرمان ، والذي وجد طريقه في ملحمة المهابهارتا الهندية : والبانج تترا هي المنبع الذي صدر عنه مجموعة من القصص جعلت أشخاصها من الحيوان . ويخبرنا عبد يشوع في فهرسه أن الترجمة السريانية القديمة لهذا الكتاب من وضع القس بود ، وجعل عنوانه « كليلج ودمنج » على اسم شخصيتين بارزتين في الكتاب لابني آوي . وقد ذهب عبد يشوع إلى أن بود وضع ترجمته السريانية عن أصل سنسكريتي . ولكننا نستطيع أن نصل — عن طريق بعض الخصائص اللغوية — إلى أن الترجمة السريانية قد أخذت عن ترجمة بهلوية وضعها برزويه الحكيم الفارسي لكسرى الأول ملك

فارس ، ومنه نقل بود ترجمته للسريانية قبل الإسلام . وقد نشر بيكل هذه الترجمة .

* * *

وأما قصة الاسكندر الأكبر فقد كتبت نواتها باليونانية فى مصر فى عهد البطالسة ، ولكنها ظهرت فى الأدب العالمى فى القرن الثالث الميلادى أيام حكم قياصرة الروم الشرقيين منسوبة إلى اسم مستعار هو « كلستينس » .

وقد اشتملت هذه القصة على سيرة الاسكندر ، كما كان يراه أهل المشرق القديم ، فإنهم كانوا لا يرون فيه عدوا ولا غاصبا لأوطانهم ، وإنما كانوا يعدونه بطلا من أبطالهم . ولهذا شاعت هذه القصة بينهم ، واصطبغت بالصبغة الشعبية فأقبل الفرس الذين ضاعت مملكتهم بالفتح العربى على قراءتها ، ووجدوا فيها كثيراً من التسلية ، ثم زعموا أن أمه كانت فارسية ، كما زعم المصريون أن أمه كانت مصرية ، وعده الاحباش قديسا ؛ وقد كثرت الروايات عنه ومازالت تتزايد حتى الآن ، فيروى الفلاحون الساكنون فى طور عبدين ، أن رجلا اسمه كندر ذو القرنين كان من أبطال الأكراد ، وأنه كان من أصحاب الشجاعة والمروءة . وكما حرف أهل طور عبدين اسمه فجعلوه « كندر » كذلك حرف العرب اسمه فجعلوه « اسكندر » ظنا منهم بأن الألف واللام التى فى أول اسمه الاكسندروس أداة تعريف .

والترجمة السريانية القديمة لهذه القصة لم تنقل عن اليونانية مباشرة ، وكان المعروف أولا أنها نقلت عن العربية ، وأنها لهذا يجب أن تكون قد وضعت حوالى القرنين العاشر والحادى عشر . ولكن نولدكه أثبت — بعد دراسة لغة الكتاب ، وبخاصة صيغ أسماء الأعلام — أن النص السريانى يجب أن يكون مأخوذاً عن البهلوية ، ويظهر أنه نشأ أولا فى وسط نسطورى فى وقت لا يعدو القرن السابع بحال من الأحوال ، وهو النص الذى ترجم إلى العربية قبل سنة ٨٤٨ م . وقصة الاسكندر المعروفة فى النصين السريانى والعربى هى نفس القصة

المنسوبة إلى كلستينس بعد أن أضفيت عليها مسحة مسيحية ، وأضيفت إليها قصة سريانية عن حملة الاسكندر إلى حدود العالم .

وقد ألحقت بالقصة الأصلية اسطورتان : الأولى عن نبع الحياة . والثانية عن باب النحاس الأحمر على حدود جوج وماجوج . وهما - فى الترجمة السريانية - قسم منفصل عن القصة الأصلية ؛ ولكنهما أقحما فى القصة الأصلية فى بعض النسخ اليونانية ولعل السبب فى نشرهما منفصلتين : أن القصة وثنية محضة ، على حين يظهر الاسكندر فى الأسطورتين كملك يهودى أو نصرانى يعمل بإرادة الله . كما اشتملت النصوص اليونانية على قصص خرافية للحيوان ، وكان السريان يطلقون عليها اسم « خطاب الاسكندر إلى ارسطاطاليس » .

أما الترجمة الحبشية فقد مزجت بين القصة وبين الأسطورتين ، وفيها يظهر الملك المقدونى ، من أولها إلى نهايتها ، لا على أنه ملك مسيحى فحسب ، وإنما على أنه رجل متبحر فى اللاهوت ، ملم بأسرار العقيدة .

وترجع هاتان الأسطورتان - فى أغلب الظن - إلى مطالع التاريخ المسيحى ، فإن المؤرخين يوسف وايرونيموس يعرفان موضوع جوج وماجوج ، وإن كانت الترجمة السريانية لها متأخرة قليلا ، وهما يطلقان اسمهما على التتر الذين اجتاحوا سوريا سنة ٥١٥ م .

* * *

وقد اتخذت الاسطورتان نواة لقصيدة قصيرة عن سيرة الاسكندر ، يغلب على الظن أنها من وضع يعقوب السروجى إذ أنها تنسب إليه فى جميع المخطوطات ومع أن هذه القصيدة لم تصل من الاتقان إلى الحد الذى بلغته أشعار يعقوب السروجى ، إلا أنه يجب أن لا ننسى أن المؤلف كان قد تقدمت به السن عند كتابتها حوالى سنة ٥١٦ م . إذ كان قد بلغ الثالثة والستين من عمره .

تدوين التاريخ

رأينا أن السريان قد تناولوا جميع فنون الأدب التى كانت معروفة فى أيامهم ، ولكن مما لا شك فيه أنهم لم يبرزوا فيها كما برزوا فى الكتابات التاريخية، وبخاصة فى تدوين أخبار الأيام عن الحوادث التى وقعت إبان حياة بعض المؤلفين ، فقد اتخذ المؤرخون هذه الكتابات مراجع يعتمدون عليها فى تدوين تاريخ الفترات التى تعرض لها هؤلاء المؤلفون .

ومن أقدم هذه الكتابات ، تاريخ فيضان نهر ديصان الذى وقع سنة ٢٠١م. وهو من الكتابات السريانية فى العصر السابق على المسيحية ، وقد تعرضنا له من قبل ، فلما قامت المسيحية أكثر السريان من تدوين التاريخ ، وتعد الرها أول مدينة سطر فيها التاريخ المسيحى ، فى سيرتى أدى وأبجر الخامس ، ولكنهما يدخلان فى سلك الأساطير ولا يمكن اعتبارهما من الكتابات التاريخية التى تشتمل على أخبار متواترة .

وقد استتبع قيام المسيحية تعرض بعض معتنقيها لألوان من الأذى وصنوف من العذاب ، وبخاصة بعد قيام النزاع الكنسى ، وازدياد عدد المستشهدين فى سبيل العقيدة ، فأخذ السريان يدونون سير شهدائهم ، ويضمنونها بعض الأخبار. ولما كان الغرض من تدوين هذه السير ، هو إحياء ذكرى الشهداء بقرٰءة

أخبارهم تغنيا بها، فقد توسع الكتاب فى هذه الأخبار ، وكانوا — إذا أعوزتهم الأخبار الصحيحة — يلجئون دائما إلى الحدس والتخمين . واشتملت هذه السير فى بعض الأحيان ، على وصف لحالة الدولتين الرومانية والفارسية من الناحيتين السياسية والإدارية . كما كانت تشتمل على وصف للزمان والمكان الذى وقعت فيه ، وتسجيل للحوار الذى كان يقع بين الشهداء وموظفى الدولة ، وكان هذا الحوار يشتمل عادة على شرح وجهة نظر الشهيد الدينية . ومن أمثال ذلك ما وصلنا من سير شربيل الكاهن الوثنى الذى اعتنق المسيحية ، وبرسميا أول أساقفة الرها ، وحبيب الشماس . وقد كتب السريان فى هذا الباب كثيراً خلال فترة طويلة من الزمن ، ويمكن تقسيم هذه الكتابات إلى ثلاثة أقسام : الأول أخبار شهداء الامبراطورية الرومانية . وقد وصل إلينا منها سير شهداء سميصات ، وهم الذين استشهدوا فى الاضطهادات التى لحقت المسيحيين من الامبراطور مكسيميانوس جاليوس (حوالى ٦ ٣ — ٣١٢) . والثانى سير شهداء الاضطهادات التى كان مسرحها الامبراطورية الفارسية . وكان لهذا النوع من الأدب أهمية كبرى فى هذه الأرجاء ، ومعظمها ترجع إلى اضطهاد شابور الثانى ملك الفرس للمسيحيين ، ومنها قصة كرخ بيت سلوك (كركوك) . والثالث أخبار الشهداء فى غير هذين الاقليمين ، كقصة نوّام أفسس السبعة واضطهاد ذى نواس الملك اليهودى لمسيحى نجران فى اليمن .

إلى جانب سير الشهداء ، اتجه المؤلفون إلى تأريخ سير القديسين ، وأكابر رجال الدين والمتصوفة كسيرة ربولا أسقف الرها ، والكيوس رجل الله ، وسمعان العمودى ، وديوسقورس بطرق الاسكندرية ، ومارأبّا الأول ، وسبر يشوع ، وكثير غيرهم .

وهناك عدد من النبذ التاريخية عن الأديرة النسطورية المشهورة ، أما الأديرة

اليعقوبية فالظاهر أن رهبانها لم يحرصوا على التأريخ لأديرتهم ، ومع ذلك فقد ضاع الكثير من هذه التواريخ ، ولم يبق إلا ما كتبه يشوع دنح وتوما المرجى فى العصر الإسلامى فى القرنين الثامن والتاسع .

أما تدوين التاريخ العام عند السريان فقد بدأ مع القرن السادس أو قبيله بقليل ، فى الوقت الذى بلغت فيه الآداب السريانية الذروة . وأقدم كتاب وصلنا فى هذا الباب هو « كتاب تسلسل الأسباط أو مغـارة الكنوز » وهو كتاب سريانى الأصل لا يعرف مؤلفه ، وإن كان ينسب إلى افريم . ولكن نسبته اليه غير صحيحة ، ويؤكد بتسولد ونولدكه أن هذا الكتاب من نتاج القرن السادس ، وأنه كتب فيما بين النهرين .

والكتاب عبارة عن توسع فى تاريخ الكتاب المقدس ، ويتناول التاريخ الأسطورى لأسباط اسرائيل وتسمى اللغة السريانية فيه ملكة اللغات جميعاً وأنها اللغة العامة التى كان الناس جميعاً يتكلمونها قبل تصدع برج بابل . وأن السريان لم يقوموا بأى دور فى صلب المسيح . والواقع أن عنوان «مغارة الكنوز» لا ينطبق إلا على القسم الذى يخص آدم ، وإخراجه من الجنة ، واعتزاله على جبل مجاور ، والتجائه إلى مغارة وضع فيها الذهب واللبان والمر التى حملها معه أثناء خروجه من النعيم . وقد تطهر آدم والآباء الذين جاءوا بعده بأن قدموا للمغارة التى ستكون قبراً لهم بعد مماتهم قربانا لله ، فلما كان الطوفان قام نوح بنقل رفات آدم مع الذهب واللبان المر إلى السفينة ، وفى نهاية الطوفان توفى نوح ، وقام سام وملكيصادق — بإرشاد أحد الملائكة — بوضع هذه الرفات فى وسط الأرض ، حيث تتجمع نواحى المعمورة الاربع عند جبل الجلجلة الذى ينفتح قليلا على شكل صليب ليضمهم . ولهذا فإن آدم سيعمد بالدم والماء اللذين سالا من جرح المسيح ، وسترفع عنه آثامه فى جبل الجلجلة . وبعد سام لم يعد هناك شأن لهذه المغارة .

فلما ابتدأ القرن السادس ، كانت الآداب السريانية — كما لاحظنا — قد قطعت شوطا بعيداً فى طريق الرقى ، ومع ذلك فلم يكن قد ظهر بين السريان مؤرخ واحد حتى ذلك الحين ولكن اتصال اليعاقبة باليونان جعل اليعاقبة يحاكون اليونان فى انشاء سجلات تاريخية باللغة السريانية إلى جانب استمرارهم فى كتابة السير المستقلة للقديسين والأبطال ، فظهر تاريخ يشوع العمودى ، وظهر يوحنا الأفزوسى الذى ربط بين كتابة السير وكتابة التاريخ الكنسى بأسلوب أدبى ، وظهر قورا ، وظهرت قصة يوليان المرتد التى نحا بها مؤلفها المجهول ناحية خيالية ، وإلى جانب ذلك قام السريان بترجمة بعض كتب التاريخ التى ألفها أصحابها باليونانية إلى السريانية ، منها تاريخ زكريا المدلى المعروف بالبليغ ، وأوسابيوس ، ويؤنس روفوس ، وسرجيس بن كريا .

أما عن السير ، فقد ظهرت مجموعة سير لعظماء الكنيسة من اليعاقبة ، منها نصان ينسبان إلى تلميذ القس برصوما المتوفى سنة ٤٥٨ م . وهو الذى وافق على رد اعتبار اوطيخيوس فى مجمع أفزوس الطمث سنة ٤٤٩ م ؛ وكتب سيرة برصوما وفيها الكثير من العجائب التى تنسب إليه ، وكذلك كتب سيرة استاذه صمويل ، وسيرة ابراهام من الجبل العالى الذى توفى سنة ٤٠٦ م . وسيرة الأسقف اسطفانوس . وتعد سيرة يوحنا التلى التى ألفها إيليا بعد فتح الفرس للرقة سنة ٥٤٢م مصدراً هاما للتاريخ وهناك تاريخ تأثر مؤلفه المجهول بالناحية البلاغية . ولهذا كانت كتابته خالية من الحيوية وهو تاريخ لرئيس دير اسمه يؤنس ابن افتونيا المتوفى سنة ٥٣٧ م . والذى طرد مع رهبانه من دير توما فى سلوقيا الواقعة على نهر العاصى حوالى سنة ٥٣١ م . فذهب إلى شاطىء الفرات الأيمن أمام يوروپوس ، وأنشأ ديراً فى قنسرين ، وكان له نشاط أدبى باليونانية . وفيما بين نهاية سنة ٦٢٨ م . ونهاية الحكم الفارسى ، وصل إلينا تقرير عن حوادث سنة ٦٢٢ م بناء على رغبة الاسقف زاخاى التلى .

تاريخ يشوع العمودى

أما عن كتاب التاريخ العام فقد كان يشوع الراهب العمودى هو أول هؤلاء . ونحن لا نكاد نعرف شيئا عن يشوع صاحب هذا التاريخ إلا أنه كان فى الأصل قسيسا فى دير زوقنين بالقرب من آمد ، وأنه كان يقيم قبل ذلك فى الرها فى مطلع القرن السادس ، وأنه كان يدرس فى مدرستها ثم كان خازن دير . ومن المحتمل أنه عاش مذبذبا فى عقيدته بين أصحاب الطبيعة الواحدة والملكية ، فقد امتدح فى تاريخه اكسنايا (فصل ٣٠) ويعقوب السروجى (فصل ٥٤) وهما من أعلام الطبيعة الواحدة ، وعاب انستاس بعد ذلك على نفيه له .

ونحن لا نعرف من كتابات يشوع إلا تاريخه . ويقول السمعانى إنه ألفه فى شتاء سنة ٥٠٧ م . وسجل فيه الحوادث العصيبة التى طافت بالرها وآمد وغيرهما من أنحاء الجزيرة وسوريا فيما بين أواخر سنة ٤٩٤ و ٢٨ نوفمبر سنة ٥٠٦ م . ويعتبر هذا التاريخ أفضل سجل للحرب التى وقعت بين الفرس والامبراطورية البيزنطية فيما بين سنتى ٥٠٢ و ٥٠٦ م . فى عهد قباذ وانسطاسيوس . ويخبرنا يشوع أنه كتب هذا التاريخ تلبية لطلب القمص سرجيس راعى دير منطقة الرها .

أما عن تاريخ وضع هذا الكتاب فقد ذكر السمعانى أنه ألفه فى شتاء سنة ٥٠٧ م . وسايره على ذلك الرأى نولدكه ورايت وبورمشتارك ، مستدلين على ذلك بعبارات الفصل الأخير من التاريخ أما بوودوفال فيريان أنه ألف حوالى

سنة ٥١٨ م لأن المؤلف يتحدث فى كتابه كثيرا عن عهد انسطاسيوس ، وليس هذا الرأى عندنا وجيها ، لأن المؤلف مع انه تحدث عن عهد انسطاسيوس فليس هناك مايدل على أنه قد تحدث عن نهاية هذا العهد .

ولم يكن هذا التاريخ ليصل إلينا لولا أنه حاز إعجاب مؤرخ آخر جاء بعد يشوع بنحو قرنين ، وهو ديونسيوس التلمحرى ، فضمه بأكمله إلى تاريخه بالحالة التى هو عليها دون أى إصلاح ، بعد حديثه عن بأس زينون .

وكان السمعانى هو أول من اكتشف هذا التاريخ من المحدثين ، وكان كذلك أول من دل المؤرخين على ما جاء فيه فى الملخص الذى نشره له باللاتينية فى كتاب المكتبة الشرقية . وقد عثر عليه ضمن مجموعة يعتقد هو أنها من عمل ديونسيوس التلمحرى البطريرك اليعقوبى فى محوة كتابتها الأصلية باللغة القبطية . وقد نقل السمعانى هذا المخطوط من دير السريان بوادى النطرون بمصر إلى مكتبة الفاتيكان . وهو يؤكد فى فهرسه للمخطوطات السريانية لمكتبة الفاتيكان أن أصل هذا المخطوط كان من بين المخطوطات التى حملها موسى النصيبينى معه إلى دير السريان بوادى النطرون سنة ٩٣٢ م . بعد زيارته لبغداد وطوافه بجزيرة ما بين النهرين .

وقد نشر الأب مارتين هذا التاريخ أولا عن مخطوط غير واضح ولذلك فقد اشتملت النشرة على كثير من الأخطاء . ثم نصره رايت بعد ذلك .

وبعد نشر النص السريانى لهذا التاريخ بدأ البحث يدور حول مؤلفه ، أهو يشوع العمودى كما ذكر السمعانى أم غيره ؟ ولكن الشك بدأ يتطرق إلى أذهان الباحثين فى صحة هذه النسبة . فذكر « نو » فى بحث له عن تاريخ ديونسيوس التلمحرى أن مؤلف هذا التاريخ ليس يشوع العمودى ، ولكنه مؤلف مجهول ، وشاطره نولدكه نفس الرأى .

ومهما يكن من شيء فقد كان المؤلف شاهد عيان لكثير من الحوادث التى يسردها . وهو يبدأ كتابه بإهداء طويل إلى صديقه القسيس سرجيوس ينتهى منه بتلخيص مقتضب الحوادث التى وقعت بعد وفاة يوليانوس سنة ٣٦٣ م . ثم يتعرض بشكل أوسع لعهد فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤ م .) وبلاش (٤٨٤ — ٤٨٨ م .) ملكى الفرس . فإذا انتهى من ذلك بدأ فى موضوع الكتاب عن تاريخ العلاقات المضطربة بين الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية من عهد قباذ الأول (٤٨٩ — ٥٣١ م .) حتى إذا بلغ حديثه عن الحرب بين الفرس واليونان (٥٠٢ — ٥٠٦ م .) ارتقى إلى الذروة فى أسلوب سريانى غاية فى الجزالة .

وقد تعرض المؤلف للنعمان ملك الحيرة فى الفصلين ٥١ و ٥٢ من تاريخه ، ونحن نورد هنا ترجمة الفصل ٥٢ . وقد يكون من الطريف حقا أن نلاحظ فى هذا الفصل أن طريقة جمع الحديد من السكان عند اشتداد الحاجة إليه فى الحروب، التى اتبعتها بعض الدول فى الحرب الأخيرة ، ليست من ابتكارها وإنما هى من ابتكار السريان منذ القدم .

« وفى السادس والعشرين من هذا الشهر جاء النعمان من الجنوب ودخل بلاد الحرانيين وخربها ، ونهب منها عيراً وأسلابا ، وسبى خلقا كثيراً ، ثم سار حتى الرها مخربا ناهبا سابيا فى كل القرى وهو فى طريقه ، حتى بلغ عدد من ساقهم إلى الأسر ثمانية عشر الف وخمسمائة ، هذا غير من قتلوا ، وغير ما نهبه من عير وأسلاب ، وكان الفصل فصل حصاد ، ولهذا كان الناس كلهم بالقرى ، وكان معهم كثير من الحرانيين والرهاويين فوقعوا فى الأسر ، ومن أجل ذلك شددت الرقابة على الرها ، وحفرت الخنادق ، وأصلح السور ، وسدت أبواب المدينة بالأحجار لأنها كانت متهدمة ، ولما أرادوا تجديدها لكى لا يدخل العدو منها ، لم يجدوا من الحديد ما يكفى ، ولذلك صدر أمر أن تقدم كل دار بالرها عشرة

أرطال من الحديد ، وعندئذ أنجز العمل ولما رأى أوجين أنه لا يستطيع مقاومة الفرس كلهم ، سار بمن تبقى معه من الجيش ودهم معسكرهم فى رأس العين وخرب كل ما كان فيه واستولى على المدينة ».

تاريخ الرها

وبعد سنوات قلائل من تدوين يشوع لتاريخه ، قام مؤلف مجهول بكتابة سجل تاريخى يعرف باسم « تاريخ الرها ». ويبتدىء هذا التاريخ بسنة ١٣٢ قبل الميلاد . وينتهى بسنة ٥٤٠ م . وهى السنة التى يرجح أن يكون قد ألف فيها . والقسم الأول منه شديد الايجاز فيما بين سنتى ١٣٢ ق . م . و ٢٠٢ م . ولكنه بعد ذلك أكثر تفصيلا ، وهو يقرن الحوادث بتواريخها ، وهو من هذه الناحية وثيقة تاريخية هامة . والظاهر أن مؤلف هذا الكتاب كان ملكى المذهب ، ولكنه لم يكن متحمسا لعقيدته ، وإنما كان ظاهر الميل إلى النسطورية شأن عدد من السريان فى بداية القرن السادس .

أما المصادر التى اعتمد عليها المؤلف فى وضع هذا الكتاب فهى : الوثائق الرسمية لمدينة انطاكيا حيث يبدأ التقويم عندهم بأول سبتمبر . وتاريخ للامبراطورية الفارسية ، ضاع قبل أن يصل إلى أيدينا . وتاريخ يشوع العمودى والوثائق الرسمية لخزانة مخطوطات أساقفة الرها التى ضاعت تماما . وقد كان السمعانى هو أول من نشر هذا التاريخ فى الجزء الأول من المكتبة الشرقية .

يوحنا الافسسى (أو الاسيوى)

ويوحنا الأفزوسى مؤرخ عالمى ، كان يلذ له أن يلقب نفسه بـ « معلم الكفرة » و « عرّاف الكفرة » و « محطم الأصنام » . ولد فى مدينة أمد فى مطلع القرن السادس حوالى سنة ٥٠٥ م . فيما يرجح المستشرق لاند ، وكان شماسا فى دير القديس يوحنا سنة ٥٢٩ م . وكان فى فلسطين سنة ٥٣٤ م . عند ظهور الوباء

بها فى أيام حكم يوستنيان ، وكان يوحنا فى ذلك الحين قد هرب من آمد إلى فلسطين تجنبا للاضطهاد الذى صبه إفريم الآمدى بطرق انطاكيا (٥٢٩ — ٥٤٤ م .) وإبراهام التلى أسقف آمد (٥٢٠ — ٥٤٦ م) على أصحاب الطبيعة الواحدة . وفى سنه ٥٣٥ م . سافر إلى القسطنطينية ليدافع عن اصحاب الطبيعة الواحدة وهناك التق بيعقوب البردعى ، وعين فى السنة التالية — فيما يقول ابن العبرى — أسقفا لأصحاب الطبيعة الواحدة فى القسطنطينية بعد البطرق انتيموس ومهما يكن من شىء فقد لقيه يوستنيان بكثير من الحفاوة ، ثم أصبح صديقا له، وموضع ثقته ثلاثين عاما ، وعهد إليه إدارة أملاك جماعات أصحاب الطبيعة الواحدة فى المملكة الرومانية ، وفى غيرها من البلاد .

وقد أراد الامبراطور أن يقضى على عبادة الأصنام فى آسيا الصغرى لأغراض سياسية ودينية ، فاختاره لهذه المهمة فلق فيها نجاحا كبيراً . وفى أثناء قيامه بهذه المهمة لق يعقوب البردعى فعينه أسقفا على أفزوس على أن يكون له الإشراف على جميع آسيا الصغرى . وفى سنة٥٤٦ م . استقدمه الامبراطور إلىالقسطنطينية لاتمام مهمته فى القضاء على المتسترين من عباد الأوثان فى القسطنطينية وماجاورها وتحطيم أصنامهم .

ولكن يوحنا لم ينعم بهذه الحياة الهادئة طويلا فقد مات سنده يوستنيان وتغيرت سياسته منذ سنة ٥٧١ م . وتبدل معها حظ يوحنا : فقد استؤنف اضطهاد أصحاب الطبيعة الواحدة ، فلق فى هذا الاضطهاد كثيراً من التعذيب وانتهى به الأمر إلى السجن، ثم هرب وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان ، وظل فى هذه المحنة حتى مات حوالى سنة ٥٨٦ م وكان حينئذ قد جاوز الثمانين من عمره ولكنا لانعرف تاريخ وفاته على التحقيق ، ولا أين توفى .

وكتابه تاريخ الكنيسة هو أكبر أعماله الادبية ، وأقدم كتاب فى تاريخ

الكنيسة وصلنا عن السريان اليعاقبة . ويخبرنا هو نفسه أن تاريخه يقع فى ثلاثة كتب ، ويقع كل كتاب منها فى ستة أجزاء . تناول فى الكتاب الأول باختصار، عصر ما قبل قسطنطين من يوليوس قيصر حتى مجمع افزوس الثانى سنة ٤٤٩ م وتناول فى الكتاب الثانى تاريخ الفترة الواقعة بين هذا المجمع ونهاية السنة السادسة لحكم يوستنيان الثانى سنة ٥٧٢ م وتناول فى الكتاب الثالث بقية الفترة التى تنتهى بسنة ٥٨٥ م . وهى السنة التى يرجح أن المؤلف قد مات فيها أو بعدها بقليل . وكثيراً ما كان يكرر فى الجزء الثالث بعض ما ذكره فى الجزئين السابقين وسنرى بماذا يعلل هو نفسه ذلك .

وقد ضاع الكتاب الأول كله . وبقيت لنا أجزاء هامة من الكتاب الثانى فى مخطوطتين من مخطوطات المتحف البريطانى . يضاف إلى ذلك أن مؤلف التاريخ المنسوب إلى ديونسيوس التلمحرى يصرح بأنه أخذ القسم الثالث من تاريخه عن الكتاب الثانى من تاريخ يوحنا . وقد أثبت المستشرق الفرنسى « نو » أن الذى وصل إلى أيدى هذا المؤلف إنما هو أجزاء متناثرة من هذا الكتاب ، وهى نفس الأجزاء التى بقيت لنا من مخطوطى المتحف البريطانى . وبقى لنا الكتاب الثالث من هذا التاريخ فى مخطوط يرجع إلى القرن السابع محفوظ بالمتحف البريطانى ، ولكن به بعض النقص ، وقد نشره المستشرق الانكليزى كيوريتون .

وكان لابتعاد يوحنا عن وطنه . واضطراره إلى الهرب من مكان إلى مكان أثر شديد فى لغته الأصلية ، وهى اللغة التى ألف فيها كتبه ، فقد ظهر تأثره بالألفاظ والأساليب اليونانية واضحا فى كتابته حتى جاءت عبارته السريانية ثقيلة معقده فى بعض الأحيان . أما الارتباك الشديد الذى نشاهده فى ترتيب تاريخه فقد جاء نتيجة لما لابس حياته من اضطراب فى أواخر أيامه ، وقد أحس هو

نفسه بذلك ، ولم يفته ان يعتذر عنه ، فقال فى الفصل الخمسين « وربما أنحى القارىء المثقف على المؤلف باللائمة عند قراءة هذا التاريخ ، على الخلط الذى يسود سياق الكتاب : كأن يجد حادثة واحدة مكررة أو مشتته فى أكثر من موضوع واحد . ولكنى أرجو أن يلاحظ القارىء أن أكثر هذه الفصول قد كتب فى عصر سادته الفتنة والاضطهادات ، وكان من الضرورى أن ينقل بعض الأصدقاء الأوراق التى كتبت عليها هذه الفصول ليخفوها فى أماكن أمينة ، حيث كانت تبقى فى هذه المخابىء فترة تتراوح بين العامين والثلاثة . وكنت إذا أردت أن أسجل فى مذكراتى حوادث كنت ربما قد تعرضت لها جزئيا أو كليا من قبل ، ولكنى لا أتذكر من جهة ، والمذكرات السابقة بعيدة عنى من جهة أخرى ، لهذا كنت أعاود تفصيلها ثانيا ، وعلى ذلك فقد يتكرر الشىء الواحد فى أكثر من فصل . كذلك لم يكن لدى وقت فيما بعد لتبويب هذه المذكرات أو ترتيبها بطريقة مطردة تبعا لوقوع الحوادث ، ولهذا جاء هذا الكتاب مكونا من قطع متفرقة ، جمعت آخر الأمر فى سجل واحد »

ونستطيع أن نرى ماقاله واضحاً فى الكتاب الأخير فقد سجل سنة ٥٨١ م . فى ورقة ٣٩ من الجزء الأول ، وسنة ٥٧٧م فى ورقة ١٥ من الجزء الثانى ، وسنة ٥٨٢ م . فى ورقة ٢٢ من الجزء الثالث ، وسنوات ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٨٠ و ٥٨٥ م . فى الورقات ١٣ و ١٩ و ٥٣ و ٦١ من الجزء الرابع ؛ ثم سنة ٥٨٤ م فى الورقة ٢٥ من الجزء السادس .

ويوحنا فيما بقى لنا من كتابه هذا مؤرخ واقعى ، يورد معلومات دقيقة عن المحنة التى أصابت كنيسة اليعاقبة خلال القرن السادس -

وليوحنا كتاب آخر يتمم كتابه تاريخ الكنيسة ، وهو كتاب « سير الآباء الشرقيين » ويشتمل على سير آباء الكنيسة اليعقوبية من نهاية القرن الخامس حتى

حوالى سنة ٥٦٦ م كتبها حينما كان راهبا فى دير يوحنا فى آمد ، وتشتمل على سير جماعة من معاصريه من القديسين ، وقد جمعت هذه السير فى مجموعة واحدة حوالى سنة ٥٦٩ م كما يظهر مما أورده عن إدماج أديرة آمد أثناء الاضطهاد الذى وقع سنة ٥٢١ م . والذى سجل سنة ٥٦٧ م ، ومما كتبه عن تاريخ دير القديس يوحنا ، الذى يبتدىء منذ إنشائه سنة ٣٨٩ م حتى سنة ٥٦٨ م . ومن بين أصحاب هذه السير : سمعان البيت ارشامى ، ويعقوب البردعى ويوحنا التلى ، وسويرس وتيودوسيوس ، وأنثيموس ، وسرجيوس ، وبولس . وقد نشر المستشرق لاند هذه السير ، وأضاف إليها ثلاث سير تنسب فى بعض المخطوطات الأخرى إلى يوحنا ، وهى سير : العذراء سوزان ، ومارى ، وملخوس . أما سيرة يعقوب البردعى المطولة التى نشرها لاند ، فالراجح أنها من عمل مؤلف آخر يغلب على الظن أنه مار تيداس العمودى راهب دير فسيلتا .

قورا

ولد قورا فى بَطنْنا ، وكتب — وهو قس فى الرها — تاريخا عن عصر القيصرين يوستنيان الثانى وطيباريوس الثانى (٥٦٥ — ٥٨٢ م) فى ١٤ جزءاً وهو شرح مفصل لتاريخ الكنيسة . ويغلب على الظن أن ميخائل الكبير مؤرخ القرن الثانى عشر قد استعان به وبتاريخ يوحنا الأفزوسى فى تأليف تاريخه .

وهناك مصدران صغيران يرجعان إلى القرن السادس نشأ فى انطاكية ، ثم أضيف إليهما أسماء الخلفاء فى القرن الثامن ، ولذلك فإنهما يعرفان بـ « كتاب الخلفاء » وقد ذكر جامع الكتابين فى سياق حديثه سنة ٥٧٠ م . ويظهر أنهما يتناولان حوادث من القرن الخامس ، فى وصف الزلزالين الكبيرين اللذين وقعا فى انطاكية فى سنتى ٤٥٦ و ٤٦٠ م . ثم ذكر حوادث وقعت سنة ٥٢٩ م . وهى السنة التى رسم فيها بطرس أسقفا على أنطاكية وأضيف اليها تاريخ المجامع

ويظهر لنا من نقض المؤلف لقرارات مجمع كلقدونيه أنه ألف كتابه بعد عهد سويرس الأنطاكى ، وأنه من اليعاقبة .

قصة يوليانوس المرتد

فى أوائل القرن السادس وضعت قصة تاريخية مكونة من ثلاثة أقسام ، هى قصة قسطنطين الأكبر وأبنائه الثلاثة . وقد تناولت هذه القصة أسقفا روميا اسمه أوسابيوس وما تحمله من اضطهاد فى عهد يوليانوس المرتد ، وما لقيه يوبنيانوس (أى جوفيانوس) فى عهده القصير . وكاتب القصة راهب لعله عديل رئيس شمامسة بعض نواحى ماحوزا ، كتبها لمستشار جوفيانوس المقرب واسمه أبلوريس أو أبلولاريس أو لعله أبوليناريس واجماع العلماء على أنها كتبت فى مدينة الرها ، وذلك فيما يقول نولدكه لأن أوصاف المدينة التى وردت فى تلك القصة ، تطابق فى كثير من الوجوه — ما أوردته الكتب الأخرى عن أوصاف مدينة الرها . ويرجع تاريخ تأليفها إلى ما بين سنتى ٥٠٢ و ٥٣٢ م .

وقد بقيت لنا هذه القصة فى مخطوط يرجع إلى القرن السادس محفوظ بالمتحف البريطانى وبه كثير من النقص فى القسم الأول الخاص بقسطنطين وأولاده الثلاثة، فلم يبق إلا الورقة الأخيرة منه أما القسم الثانى ويتناول أوسابيوس أسقف روما ، وما لقيه من المصاعب على يدى يوليانوس المرتد . والقسم الثالث ويتحدث عن جوفيانوس قائد يوليانوس الذى خلفه على الدولة الرومانية فأعاد إليها المسيحية ، وكان المشارقة يسمونه يوبنيانوس . وقد بقى هذان القسمان كاملين تقريبا .

والغرض من كتابة القصة الاشادة بقوة انتصار المسيحية على الوثنية لكى تساعد على حمل الوثنيين على اعتناق المسيحية . وليست هذه القصة تاريخا بالمعنى

المفهوم من كلمة تاريخ ، وإنما هي رواية تاريخية ، أخذ موضوعها من التاريخ وإن كانت لاتشتمل إلا على قدر يسير من الحقائق التاريخية : وإنما تقوم أكثر ما تقوم على المبالغة والاختلاق : فلم ترد فيها حادثة على حقيقتها ، بل أعمل المؤلف خياله في حوادثها ، فحذف من وقائعها حينا ، وأضاف إليها في كثير من الأحيان . وقد نعت المؤلف يوليانوس فيها بآلة الشيطان أو صنيعة الشيطان ، ونعت قائده المسيحي جوڤيانوس بعبد الله .

وهذه القصة – في أغلب الظن – هي التي ينسبها كتاب النساطرة مثل عبد يشوع إلى المؤرخ الكنسي سقراط الذي ينسب إليه في فهرسه وضع تاريخ عن الامبراطورين قسطنطين وجوفيانوس وقد كتبت في أسلوب سرياني غاية في الاناقة ، وصيغت في عبارة واضحة إلى أبعد حد ، واشتملت على أجمل قطعة خطابية في اللغة السريانية ، ونستطيع أن نستنتج منها بسهولة شيئا كثيراً عن تفكير الذين عاصروا المؤلف ، وأسلوبهم ، ونظام حياتهم . وقد كثر قراؤها في المشرق في القرون الوسطى . وكان لها تأثير شديد لا على المؤرخين من السريان كابن العبري الذي نقل عنها في تاريخه فحسب ، بل على المؤرخين من العرب أيضا ، فقد يكون من الغريب أن نعرف أن هذه القصة يجب أن تكون قد وصلت إلى الطبري في ترجمة عربية ، فقد تناولها في الجزء الأول من تاريخه على أنها وثيقة تاريخية صحيحة . ونقل ابن الأثير عن الطبري في الجزء الأول من كتابه « الكامل » ، وكذلك أبو الفدا في كتابه « أخبار البشر » والظاهر أيضا أن ابن واضح اليعقوبي قد نقل عن نفس المصدر أيضا في تاريخه وكذلك المسعودي في الجزء الثاني من « مروج الذهب » .

وكان انتشار هذه القصة حافزاً لمؤلف آخر ، لانكون مغالين إذا نسبناه إلى القرن السادس أيضا على أن يضع قصة أخرى جعل يوليانوس بطلا لها ،

ولكنها أقل قيمة من السابقة . وقد بقيت لنا فى مخطوط من القرن السابع محفوظ فى المتحف البريطانى . وقد نشرها هو فنان مع القصة السابقة وترجمها فونلدكه إلى الألمانية .

تاريخ زكريا المدلى أو البليغ

وفى القرن السادس أيضاً قام يعقوبى من السريان بوضع مجموعه تاريخية ، ضم إليها قسماً كبيراً من تاريخ الكنيسة الذى كتبه باليونانية زكريا البليغ فى نهاية القرن الخامس ، متضمناً أخبار السنوات من ٤٣٦ إلى ٤٩١ م وقد وصلتنا الترجمة السريانية لتاريخ زكريا ضمن هذه المجموعة ، على حين ضاع أصله السريانى ويقول واضع هذه المجموعة إنه انتهى بتاريخه حتى حوادث سنة ٨٨٠ يونانية (أى سنة ٥٦٩ م)

وكان زكريا يلقب بالمعلم نسبة إلى العمل الذى كان يقوم به فى القسطنطينية ، ثم رسموه أسقفاً على جزيرة مدلى لا على ملطية كما كان السريان يخطئون فيها دائماً . وقد وصل إلينا من أعماله الأدبية : حوار تحت عنوان « أمونيوس » ورسالة فى الرد على المانوية ، وهما باللغة اليونانية . وكتب سيرة تيودور من انتينويا ، وسيرة أسقف ميومة بالقرب من غزة الذى توفى سنة ٤٨٨ م ، وقد بقى منها بعض قطع بالسريانية . وكذلك بقى لنا ترجمة سريانية كاملة لرسالة عن سويرس الأنطاكى تشتمل على ذكرياته معه أيام طلب العلم ، وكذلك ترجمة سريانية لتاريخ الكنيسة الذى نحن بصدده ، والذى جاء ضمن هذه المجموعة التاريخيه .

وهذه المجموعة مقسمة إلى اثنى عشر كتاباً ، وقد وصلت إلينا فى مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى ، يرجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن السابع ويشتمل هذا المخطوط على الفصل الأخير من الكتاب العاشر ، وقد سقط منه

الكتاب الحادى عشر بأجمعه ، أما الكتاب الثانى عشر فناقص فى بدايته ونهايته . ويشغل تاريخ زكريا الكتب من ٣ إلى ٦ من هذه المجموعة . أما الكتب الأخرى (الأول والثانى ، ومن السابع حتى الثانى عشر) فمستقاة من مصادر مختلفة كموسى الأجيلى (٥٥٠ — ٥٧٠ م) وسمعان البيت أرشامى ، ومارا الآمدى ، ورسالة سويرس الانطاكى ، وكذلك يبدو أن فصولا غير قليلة من الكتب من ٧ إلى ١٠ قد أخذ بعضها من تاريخ الكنيسه ليوحنا الافزوسى . وقد أعتمد الكتاب الأول وما يليه من هذه المجموعة على نصوص من الأساطير لا تجمع بينها صلة ، ولا يربط بينها رابط . واشتملت الكتب من ٧ إلى ١٢ على قصص أخرى ووثائق مختلفة تصل إلى سنة ٥٦٩ م .

وقد نشر المستشرق لاند هذه المجموعة فى كتابه « القصة السريانية » وقد اشتملت على :

الكتاب الأول — الفصل السادس : سيرة يوسف وأسنات قام بترجمتها إلى السريانية موسى الأجيلى حوالى سنة ٥٧٠ م — الفصل السابع : سيرة القديس سلفستر وتعميد قسطنطين ، والمخطوط السريانى الذى يشتمل على هذه السيرة أقدم من المخطوطات اليونانية واللاتينية التى بقيت لنا فيها نفس السيرة . وقد نقلت هذه السيرة أيضاً فى التاريخ المنسوب إلى ديونيسيوس التلمحرى — الفصل الثامن العثور على رفات الشهيد اسطفانوس .

الكتاب الثانى — الفصل الأول : نائمو افسس السبعة أو أهل الكهف ، وتروى هذه القصة فى اضطهادات عصر دوقيوس . وقد ظهر لها فى الأدب السريانى نصان رئيسيان ، وقصيدة شعرية من وضع يعقوب السروجى . أما أحد النصين فهو الوارد فى هذا الفصل وعنه فيما يظهر أخذ ميخائيل السريانى مؤرخ القرن الثانى عشر . والنص الثانى موجود فى التاريخ المنسوب إلى

ديونسيوس التلمحرى، وهو مأخوذ غالباً عن تاريخ يوحنا الاسيوى ويشتمل على القسم الأول. أما القسم الثانى فقد نشره جويدى الكبير مع غيره من من النصوص الشرقية المتعلقة بهذه القصة: القبطية والعربية والحبشية والارمنية. وفى المكتبة الأهلية بباريس مخطوط يشتمل على نص ثالث به بعض اختلافات عديمة الأهمية. وقد ضمن ابن العبرى كتابه تاريخ الكنيسة ملخصا لهذه القصة فيه بعض الإختلاف فى أسماء الأعلام. وتشتمل قصيدة يعقوب السروجى على تفصيلات لا توجد فى النصوص جميعاً، وربما كانت من وضع المؤلف، وهى من جهة أخرى تلخص بعض ما ورد مفصلا فى النصوص ويرى نولدكه أن النص الثانى هو أصل القصة.

الكتاب الثامن — الفصل الثالث: شهداء حمير، وقد مر بنا موضوعهم عند الحديث عن سمعان البيت أرشامى.

الكتاب العاشر — الفصل الرابع: خطاب ربولا إلى جمليانوس أسقف فارين. الفصل الخامس عشر: استيلاء ملك القوط وطليطلة على روما — الفصل السادس عشر: وصف أبنية روما وفيه وصف لتخطيط العاصمة الإيطالية.

الكتاب الثانى عشر — الفصل السابع: وصف بطليموس للعالم مع استطراد عن انتشار المسيحية فى شمال البحر الأسود وبحر قزوين.

أما الكتب التى تشتمل على تاريخ زكريا والكتب التى تليها والتى تروى فيها الحوادث التى عكرت صفو كنيسة اليعاقبة فى مصر وسوريا فى القرنين الخامس والسادس فتكون قسما هاما من هذه المجموعة لأنها تعد تكملة لتاريخ يوحنا الاسيوى.

وقد اشتمل أحد مخطوطات المتحف البريطانى على قطعة عن موت تيودوسيوس أسقف بيت المقدس، وتاريخ لعيسى الناسك وهما من تاريخ زكريا.

وقد بقيت لنا الترجمة السريانية لتاريخ أوسابيوس مع شيء من النقص في مخطوطين أساسين كانا في مكتبة دير السريان بوادي النطرون . أما أحدهما — وهو من أقدم المخطوطات السريانية — فمحفوظ في مكتبة بطرس برج (لننجراد الآن) وتاريخه سنة ٤٦٢ م . ويشتمل على كتب أوسابيوس العشرة في تاريخ الكنيسة ما عدا الكتاب السادس . يضاف إلى ذلك أنه لم يبق من الكتابين الخامس والسابع غير قطع قليلة . وأما ثاني المخطوطين فهو الآن في المتحف البريطاني ، ويشتمل على الكتب الخمسة الأولى . ومع ذلك فهناك بعض النقص في الكتاب الأول كفهارس الفصول الثلاثة الأول . وإلى جانب هذين المخطوطين هنالك عدد من القطع متناثرة في بعض مخطوطات المتحف البريطاني . وأهمها الفصول السادس عشر والسابع عشر والخامس والعشرين من الكتاب السادس التي يشتمل عليها المخطوطين .

وقد عملت هذه الترجمة عن أصل يوناني يظهر أنه كان يشتمل على كثير من الاختلافات التي تجعله في بعض الأحيان أفضل من النص اليوناني الذي وصل إلينا لأنها تتميز بدقتها . وعن هذه الترجمة السريانية أخذت ترجمة أرمنية تمتاز بقدمها ودقتها ، إلى جانب كونها كاملة ، ولهذا فهي ذات فائدة عظيمة في إكمال الترجمة السريانية . وهناك ما يحمل على الاعتقاد أن الترجمة السريانية يجب أنه تكون قد وجدت قبل ظهور الترجمة الأرمنية بقرن على الأقل ، بل لعلها عملت في حياة أوسابيوس نفسه أو بعد موته بقليل .

وكان المستشرق الانجليزى رايت قد أعد الترجمة السريانية للنشر ، ولكن الموت عاجله قبل أن يتم اخراجها ، فقام المستشرقان ماكلين ومركس بإخراجها — مع مقارنة الترجمتين السريانية والأرمنية — في كمبردج سنة ١٨٩٨ .

وقد ذكر عبد يشوع فى فهرسه أن هناك ترجمة سريانية لتاريخ أوسابيوس من عمل سمعان البيت جرمى الذى عاش فى مطلع القرن السابع ، ولكن يظهر أن هذه الترجمة قد ضاعت .

* * *

ولم يقصر كتاب السريان من النساطرة قبل الإسلام فى كتابة التاريخ . فظهر تاريخ مشيحا زخا من حزيب . وتاريخ كرخ بيت سلوك (كركوك الآن) لكاتب مجهول ، وهما يمثلان التاريخ المحلى . وترجم تاريخ الكنيسة لبرسهدا وشمعون برقايا عن اليونانية . وظهر تاريخ تأسيس المدارس اللاهوتية والنزاع الكنسى فيما بين القرنين الرابع والسادس ، فى كتابات مؤلفين تسمى كل منهما باسم برحذ بشبا . وظهرت سير مستقلة لكبار رجال الكنيسة على نسق سير الشهداء . وكذلك ألف بابا الكبير سيراً أدبية للرهبان . والظاهر أن كلا من الجاثليقين سبر يشوع الأول وجريجور الكشكرى قد ألف تاريخا للكنيسة ، ولم يبق لنا منهما إلا نص من التاريخ الأول عن مقابلة سبر يشوع للقيصر موريقى .

● أما مشيحا زخا(١) فكان من رهبان دير جبل الأزل ، فلما طرده بابى رئيس الشمامسة من الدير هو وكثير من رفقائه رحل إلى مقاطعة داسن وأسس ديراً هناك كان يعرف باسم بيت ربن زخا إيشوع ، أو على سبيل الاختصار باسم بيت ربن . ألف ـــ بعد عودة مار أبا من سوسه ، وقبل موت ابراهام قريب نرسى أى بين سنتى ٥٥١ و ٥٦٩ م ـــ تاريخا لكنيسة حذيب بوجه خاص ، وصل الينا فى مخطوط ينقص من أوله وآخره ويتناول تاريخ مطارنة

---

(١) يسمى أيضا إيشوع زخا أو زخا إيشوع .

أربل ، وهو يظهر نشأة المسيحية على الشاطىء الغربي لدجلة . ويذكر عبد يشوع أن المؤلف كان دقيقا فيما سجله . ويظهر أنه اعتمد على معلم قديم اسمه هابيل على معرفة تامة بالعصر الأرشكي ، وهو يتحدث في بعض رواياته عن الماضي ، وقد عاصر هابيل جيلين من الناس بعد سنة ٣٥١ م إن صح أنه بكى أبناء أبنائه الذين كانوا في طليعة من استشهدوا في اضطهاد شابور الكبير . وقد نشر منجانا هذا التاريخ مع ترجمة له في ليبزج سنة ١٩٠٨ . ونشر زاخاو ترجمة المانية له مع مقدمة هامة في برلين سنة ١٩١٥ .

● أما تاريخ كرخ بيت سلوك وشهدائها فلا يعرف مؤلفه ، ويشتمل على تاريخ مطارنة مقاطعة بيت جرمي . وكان أحد المصادر التي اعتمد عليها مشيحا زخا في تاريخه . ويتضمن تاريخ مدينة الكرخ منذ أسسها الآشوريون ، وتاريخ أساقفتها المسيحيين . وسرد مطول لما لقيه المسيحيون من تعذيب وآلام سنة ٤٤٦م في عهد يزدجرد الثاني . وانتهى المؤلف من كتابه هذا في بداية القرن السادس . وقد نشره المستشرق موسنجر ، ونشر بروكلمان بعضه في مختاراته السريانية .

● أما برسهدا فكان من كرخ بيت سلوك . وقد ذكر عند يشوع أنه كتب رسالة في الرد على الزرادشتية ، وتاريخا للكنيسة ، بقيت لنا منه نبذة عن اضطهاد المسيحيين من أهل حير . أما المقتطفات التي تنقل عنه في كتب أخرى فالغالب أنها كتبت في العصر الإسلامي ولهذا نرجح أنها ليست صحيحة النسبة اليه . وليس فيما لدينا من المصادر ما يبرر ما ذهب اليه السمعاني من أن برسهدا قد ألف كتاباته في أيام الجاثليق فثيون (٧٣١ — ٧٤١ م) . وقد نشرت بعض مقتطفات من هذا التاريخ في المجلة الآسيوية .

● أما سمعان برقايا أو الجرمقاني نسبة إلى بيت جرمي فيذكر عنه الياس بن شينايا في تاريخه أنه ألف تاريخا في كتابين على الأقل في عهد كسرى الثاني

برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) والراجح أنه ترجمة عن اليونانية وأنه أصبح مرجعا للنساطرة .

• أما عن برحذ بشبا فالمقول أن هناك اثنين بهذا الاسم ، وأن كلا منهما ينعت بأسقف حلوان ، وأنهما عاشا فى عصر واحد تقريبا ، وأن كلا منهما وضع كتابا فى التاريخ وأن موضوع الكتابين واحد تقريبا .

أما الأول فقد شترك سنة ٦٠٥ م فى المجمع الذى عقده الجاثليق جريجور . وهو مؤلف كتاب عن سبب تأسيس المدارس . وقد رجع فى كتابته عن هذا الموضوع إلى آدم وتعليم الله له . والقسم الأخير من هذا الكتاب له قيمة كبيرة فى سرد تاريخ مدرسة نصيبين . وقد نعت برحذ بشبا نفسه بأنه تلميذ حنانا ، وأنه كتب كتابه فى الفتره التى كان حنانا فيها مديراً لمدرسة نصيبين ولكنه لم يذكر شيئا عن الجدل الذى قام حول حنانا . وقد نشر أدى شير هذا الكتاب .

• أما الثانى فهو برحذ بشبا من بيت عربايا (وينعت أيضا بأسقف حلوان) كتب كتابا سماه كتاب الكنوز فى ثلاثة أجزاء ، ولم يعرف مضمونه ، ورسالة فى الرد على الوثنيين والهراطقة ، وشروح على انجيل مرقس والمزامير ، ومقالات فى ذكرى أعياد المعلمين اليونان ، وكتاب فى تاريخ الكنيسة فى ٣٢ بابا ، وقد ذكر فى العنوان أن المؤلف هو معلم مدرسة نصيبين وأن الكتاب هو « حقيقة تاريخ الآباء المضطهدين » من عهد التضليل الآريوسى إلى ابراهام قريب نرسى . وهو فى الواقع تاريخ لمدرسة نصيبين ، ولذلك فقد اختلط الأمر بينه وبين كتاب للمؤلف السابق . ومهما يكن من شىء ، فإن التفريق بين كاتبين باسم واحد ، تناولا موضوعاً واحداً ، مشكلة تنتظر الحل . هذا إلى جانب أن الآراء تختلف فى دوائر مدرسة نصيبين حول الترتيب الزمنى للذين تولوا الإشراف على المدرسة فى أواخر السادس .

• وكان بابى الكبير أكثر كتاب النساطرة إنتاجا فى هذه الفترة . ولد لأبوين من أثرياء المسيحيين فى قرية بيت عيناثا (أو باعيناثا) من أعمال بيت زبدى . درس ١٥ عاماً فى مدرسة بيت زبدى ، ثم درس فى مدرسة بالقرب من نصيبين ودخل دير الأزل أيام إبراهام الكشكرى . ثم رجع إلى وطنه حيث أنشأ ديراً هناك ، ومنه عاود الرجوع إلى دير الأزل ليخلف دذ يشوع فى رياسة الدير . ولما توفى الجاثليق أغريغوريوس الكشكرى سنة ٦٠٧ م . تبع ذلك فترة اضطهاد فنع الملك انتخاب خلف له . فاجتمع الأساقفة وألحوا على بابى فى أن يتولى إدارة الكنيسة مع رئيس الشمامسة . ولما قتل خسرو سنة ٦٢٨ م . انتخب بابى جاثليقا ، ولكنه لم يقبل الجثلقة ، وتوفى بعد ذلك بقليل فى السابعة والسبعين من عمره .

وقد ذكر عبد يشوع أن له ٨٣ مجلداً ، وذكر توما المرجى أنها ٨٤ مجلداً . وقد بقى لنا منها : كتاب فى العقيدة يدافع فيه عن المذهب النسطورى : ومقال فى حياة الرهبنة . وكتاب فى تاريخ الراهب جيورجيس الذى استشهد سنة ٦١٢ م . ومجموعة من سير الشهداء ورجال الدين كتبها خلال ٣٣ عاما ، وشروح على الكتاب المقدس ، وقوانين للرهبان ، وتنسب إليه مقالات فى ذكرى بعض الأعياد ، ورسالة بعث بها الأساقفة إلى الملك سنة ٦١٢ م . عن شرح العقيدة . أما كتاباته المنظومة فله بعض التسابيح ، وميمر عن آباء الكنيسة اليونان .

• وقد استشهد جماعة فى هذا القرن أيام كسرى الأول حوالى سنة ٥٤٢ م وسجلت سيرهم فيما بعد ، أمثال جريجور ويزدپاناه ، ولهذه السير قيمة تاريخية ، وإن كان مؤلفوها من غير المعاصرين . وهناك سير يغلب عليها الطابع القصصى ، ترجع نشأتها إلى هذا القرن وتتضمن حوادث الاضطهاد الذى وقع أيام شابور الثانى ، وتتناول أبطالا من عظماء الفرس وأمراء البيت المالك ممن اعتنقوا المسيحية،

وتكشف عن أسباب تأسيس بعض الأديرة ، إلى جانب بعض التفاصيل الجغرافية والتاريخية القيمة فى تاريخ «قردج» حاكم حذيب الذى اعتنق المسيحية ، وأستاذه عبد يشوع . وسيرة الأمير جوبر لاها وأخته قازو . وقطعة عن استشهاد داذو . وسير مارمعين ، ومار سابا فرجشنسف ، والمبشر سابا جوشتزدذ الذى استشهد سنة ٤٠٨ م . ولكنها كتبت بعد ذلك بقرن ونصف بعد تولى شروان بن كسرى سنة ٦٢٨ م .

● وإلى جانب سير الشهداء ، سجلت منذ منتصف القرن السادس سير اثنين من رؤساء الكنيسة هما : مار إيباس الأول ، وسير يشوع الأول . الأولى كتبها مؤلف مجهول فى صورة خطبة ، والثانية كتبها بطرس الراهب وقد نشرهما بدجان .

خاتمة هذا العصر

ينتهى العصر الذى نؤرخ للأدب السريانى فيه فى هذا الكتاب بالفتح الإسلامى للبلاد التى كان أهلها يتكلمون السريانية ، أى حوالى منتصف القرن السابع . وقد ظهر فى (هذه الحقبة من الزمن عدد من كتاب النساطرة) كانت كثرتهم من المؤرخين ولذلك عرضنا لهم فى الصفحات القليلة الماضية . وكذلك قام عدد من اليعاقبة فى مصر ببعض الأعمال الأدبية : فتحدثنا المصادر أن البطرق أثناسيوس الأول كلف بولس التلى ، وتوما الحرقلى بعمل ترجمة سريانية للكتاب المقدس عن النص اليونانى . وأن أهرون القس كان يؤلف فى الطب فى نفس هذا العصر . وفى قبرص تابع بولس الرهاوى ترجمة الأدب اللاهوتى . وأنه عنى فى هذه الفترة أيضاً بشرح الكتاب المقدس وكتابة القصص والشعر .

● وكان البطرق اثناسيوس الاول يسمى جمالا . ولد فى سميساط ، وترهب فى قنسرين ورسم بطرقا سنة ٥٩٤ م وكان يقيم وهو بطرق فى دير مار زكى

بالقرب من الرقة عمل سنة ٦٠٩ م على التوفيق بين الكنيستين اليعقوبية والقبطية في مصر . ولعله عاد إلى مصر ثانية فى شتاء سنة ٦١٦ م . كتب سيرة لسويرس الأنطاكى ، بقيت لنا منها بعض مقطوعات بالقبطية ، وترجمة حبشية كاملة .

واشتغل بولس التلّى بترجمة الطقوس ، فقام بترجمة طقس للعماد من وضع سويرس الأنطاكى ؛ وله طقس أصلى ، وظن العلماء أنه أول من ترجم العهد القديم عن اليونانية ترجمة جديدة فى الاسكندرية بتعضيد أثناسيوس الأول فيما بين سنتى ٦١٥ م و ٦١٧ م .

وقد ترجم الحارث بن سنان نصا سريانيا للتوراة من القرن السابع إلى اللغة العربية .

• ودرس توما الحرقلى اللغة اليونانية فى قنسرين ، وترهب فى دير ترعيل ، ثم رسم أسقفا لمنبج ، وطرده القيصر موريقى قبل سنة ٦٠٢م . فهاجر إلى مصر وفى سنة ٦٠٩ م . لعب دوراً فى التوفيق الذى قام به أثناسيوس بين الكنيستين اليعقوبية والقبطية . وفى سنة ٦١٥ م قام فى دير القديس أنطونيوس بالاسكندرية بمراجعة الترجمة الفلوكسينية للعهد الجديد مع بعض المعاونين الذين لم تصل إلينا أسماؤهم .

وألف أهرون القس فى عصر القيصر هرقل (٦١٠ م — ٦٤١ م) . كتابا فى الطب ، اسمه كتاب « الكناش » يشتمل على ٣٠ فصلا ، وقد ترجمه ماسرجويه إلى العربية وكان ماسرجويه ، فارسيا يهوديا يجيد السريانية . وزاد عليه فصلين ، وقد بلغ شهرة واسعة . وقد اعتقد العرب أن أصله سريانى ، ويذكر ابن العبرى أن هذا الكتاب موجود بالسريانية ، وقد تحمل هذه العبارة فى طياتها أن الترجمة العربية مأخوذة عن أصل يونانى لا سريانى ؛ ويذكر بعض مؤرخى

العرب أن جاسيوس هو الذى ترجم هذا الكتاب من اليونانية إلى السريانية ، وذكر بربهلول أن أهرون لم يكن سريانيا وأنه كان يكتب باليونانية .

ورسم بولس الرهاوى أسقفا على الرها سنة ٦٠٢م . وهرب أمام الفرس عند احتلالهم للرها سنة ٦١٩ م ، والتجأ إلى قبرص ، وفيها ترجم بعض الطقوس ترجمة راعى فيها جرس الموسيقى الكنسية . وقد سماه اليعاقبة مفسر الكتب .

وقد ظهرت فى هذه الفترة شروح لمؤلف غير معروف للعهد القديم والأناجيل ورسائل بولس يغلب على الظن أنها كتبت فيما بين سنتى ٦١٧ و ٦٥١م

كذلك ظهر فى هذه الفترة ميمر شعرى يعقوبى عنوانه «ترنيمة الاسكندر» أضيف خطأ إلى يعقوب السروجى وهو مكون من فقرات تشتمل كل واحدة منها على أربعة أبيات من ذات الاثنى عشر مقطعا ، تناول فيه الحديث عن الاسكندر وحربه فى الهند ولكنه صبغ القصة بالصبغة المسيحية ، والراجح أنه ألف فيما بين سنتى ٦٢٨ و ٦٣٧ م .

وهناك ميمر آخر على وزن الاثنى عشر مقطعا عن بعض آباء الكنيسة المصرية ولكن لا يعرف مؤلفه على وجه التحقيق .

وفى هذه الفترة أيضا انتشر القصص فى الأدب السريانى عند اليعاقبة والنساطرة على السواء . وعرفت كذلك سير قصصية : منها سير القديس مارينا ، وهيلاريا الذى عاش فى دير مصرى كانت ترهب فيه ابنة القيصر زينون ، وقد تسمى باسم الراهب يوحنا ، وأرخليدس الذى ظهرت له أيضا منظومة من شعر المآسى فى مصر ، عن هربه من روما إلى أديرة فلسطين . وقد عرفت هذه القصة فى النثر العربى والحبشى .

أما فى جنوب غربى سوريا فقد ظهرت قصة بهنام وسارة ، وهما طفلان

للملك الآشورى سنحاريب ، وسيرة مار متى الذى سمى باسمه دير على جبل أفيفة بالقرب من الموصل ، وسيرة أهرون السروجى الذى كان يعيش فى الجبل المبارك بالقرب من ملطية ، ويرجع الفضل فى بقاء هذه القصة إلى الطبيب دومتيوس الذى كان يعيش فى عصر القيصر واليس ؛ وسيرة يعقوب المصرى الذى أنشأ نظام الرهبنة المصرية فى اقليم ما بين النهرين ، وهو منافس « أوجين » الذى ظهر حوله بعض القصص النسطورى ، وسيرة سمعان من كفر عبدين ، وهو من دير بالقرب من الرها ، وسيرة أها الذى كان بطلها معاصراً للقيصر مرقيانوس ، وقصة نهاية حكم القيصر موريق سنة ٦٠٢ م . وليس هناك شك فى أن نصوص هذه السير قد ظهرت فى العصر الذى انتشرت فيه الدعوة اليعقوبية فى الدولة الساسانية ، فى السنوات القليلة السابقة على ظهور الإسلام .

الجزء الثانى

من ظهور الاسلام الى العصر الحاضر

تمهيد

بعد أن غزا الإسلام سورية وما بين النهرين في القرن السابع الميلادى تضاءلت الإمبراطورية الساسانية واختفت من الوجود ، كما انكمشت الإمبراطورية الرومانية في آسيا الصغرى وتأكد الفتح العربى في سورية وبابل في موقعتى اليرموك والقادسية ، واستسلمت الحصون وفتحت أبوابها في العام التالى . ووضع الفتح العربى في فترة حكم العرب لسورية في العصر الاموى نهاية للفرق الدينية الكبيرة وواجه المسيحيون حماية عقيدتهم وممتلكاتهم ضد ساداتهم الجدد .

تميز الأدب منذ بداية هذا العصر تميزاً واضحاً بأنه أدب كنسى كتب بلغة رجال الدين ، وقد كان فيما قبل الإسلام تعبيراً مباشراً عن الحياة العقلية للشعب الذى يمثله ، مع ارتباطه فى جوهره بالديانة المسيحية ، أساسا وتحت الكتب التعليمية فى معالجة العقائد والمبالغة فى كتابة حياة القديسين مبالغة أدت إلى فقدان الموضوع الأساسى وهو الكتابة فى دراسة العقيدة . ويتصل بذلك الصيغة السليمة والنطق الصحيح لنص الكتاب المقدس ، واتجهت الدراسة وجهه نحوية وفقهية ، كما وأصبح تعلم اللغة العربية وهى اللغة الرسمية ، المثل الشعبى الأعلى وصارت السريانية الأدبية تعلم فى المدارس فقط .

وفى ذلك الوقت دخل كل من الأدب النسطورى واليعقوبى مرحلة جديدة من

التمييز خطياً من ناحية ولغوياً من ناحية أخرى . فقد كان الأدب النسطورى متأثراً بأسلوب النطق السريانى فى الشرق القديم ، ومستقلا فى تحديده لحروف العلة عن الكتابة اليونانية . وكان مسرح حياته الرئيسى الأجزاء الشمالية الشرقية والوسطى والجنوبية من بلاد مابين النهرين ، كذلك الأقاليم الواقعة شرق نهر دجلة . بينما كان الأدب اليعقوبى الذى تمركز جغرافياً فى المناطق الغربية يميل إلى استخدام حروف العلة اليونانية متخذاً لنفسه فى ذلك تعديلا فى النطق يختلف عن المناطق السريانية الغربية .

وفيما عدا هذه الأمور أو الاختلافات الظاهرية لا نعثر بين نوعى الأدب الكنسى هذين على خلافات داخلية عميقة . والشىء الذى نستطيع أن نلفت النظر إليه هو أن الرهبنة فى كلا الجانبين أخذت تضيق نطاقاً وهو الأمر الذى يميز تقلص القوة المسيطرة داخل الكنيسة ، ويميز الحياة الأدبية بشكل عام . ويمكننا أن نعتبر أنه لم يطرأ على هذه الحياة سواء هنا أو هناك تحلل أو تفكك أو انهيار كنتيجة مباشرة للتغييرات السياسية التى طرأت فى القرن السابع .

القرن السابع

اليعاقبة :

تأثر الأدب اليعقوبي باليونانية بدرجة أكثر من تأثر الأدب النسطوري بها ، منذ سيطرت جحافل العرب المسلمين على آسيا الصغرى ، فقد أدى التزايد المستمر للتراث اليوناني المسيحي المنقول إلى جمل المؤلفات السريانية تأخذ بشكل متزايد صورة تراث هلليني مسيحي في ثوب لغوي آرامي . وقد ترتب على عدم تأصل الحياة الأدبية في اللغة المتوارثة عن الآباء أن ازدهر استخدام اللغة العربية في مجال التأليف في أحضان الكنيسة اليعقوبية أسرع بكثير منه عند الكنيسة النسطورية .

وقد ساهم الأدب السرياني اليعقوبي إلى جانب الأدب النسطوري في توصيل التراث القديم الكلاسيكي إلى الثقافة الإسلامية ؛ وإن كانت مساهمة الأدب اليعقوبي في هذا الصدد قد جاءت أسرع وأقوى . ومن الحقائق التي تميز الأدب اللاهوتي السرياني اليعقوبي أن اللغة العربية حلت في بعض الأحيان محل اللغة السريانية تماماً .

وأعمال اليعاقبة في هذا القرن أقل عدداً من أعمال النساطرة ولنا بهم معرفة أوضح . وإليك أهم الأدباء اليعاقبة في القرن السابع :

بولس التلى : كان رئيسا لأحد الأديرة — الذى التحق به توما الحرقلاوى — وتركه هربا من الغزو الفارسى ، ثم لجأ إلى جزيرة قبرص . وهناك اشتغل بأعمال الترجمة فى كتاب اغريغوريوس النزيانزى إلى السريانية (١) . وأتم هذه الترجمة فى مجلدين سنة ٦٢٤ ويوجد منها عدة مخطوطات فى المتحف البريطانى (٢) . كما ترجم العهد القديم . وقد عرف بعد سنوات كتب اغريغوريوس النزيانزى وكتب أوطاخى وكتب سويروس (٣) . وإلى جانب هذه المجموعة تسند إليه ترنيمة عن الروح القدس وتفسير عن « المجد لله فى الأعالى » (٤) .

توما الحرقلاوى : تعددت محاولات المؤرخين فى الأديرة لملاحقة أحداث العصر المشحون بالاضطرابات ونذكر منهم على سبيل المثال توما الحرقلاوى فقد اشتهر بإنتاجه فى هذا المجال ، كما يتمتع اسمه بصدى واسع فى المعسكر اليعقوبى (٥) . عمل ترجمة للعهد الجديد وصنف ليتورجية ويقال بأنه ترجم من اليونانية إلى

---

(١) السمعانى ج ١ ص ١٧١ ، مجلد ١ ج ١ ص ٢٣ .

(٢) انظر مسلسلات المخطوطات التى وضعها رايت فى فهرسه ص ٤٢٣ ، ٤٣٥ ، أحد هذه المخطوطات مؤرخ بسنة ٧٩٠ والثانى بسنة ٨٤٥ وبقية المخطوطات فى نفس الفهرس ص ٤٣٦ — ٤٣٨ انظر السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ٢٤ هامش ١ .

(٣) المتحف البريطانى رقم ١٧١٢٤ مؤرخة بسنة ٦٧٥ . انظر فهرس رايت ص ٣٢٠ وما بعدها وقد وصف المترجم خطأ فى المخطوطة على أنه أسقف الرها وكان ديره غالبا دير قنسرين .

(٤) رايت ص ١٢٥ ، ١٣٦ ، ودوفال ص ٣٧٤ .

(٥) بومشتارك ص ٢٤٧ .

السريانية خمس ليتورجيات لاغريغوريوس النزيانزى وباسيليوس وديونيسيوس الأريوباغى ويوحنا فم الذهب . وقام هو وبولس التلى بتنقيح ترجمات العهدين القديم والجديد بالإسكندرية (١) .

ماروثا التكريتى : ارتبط اسمه بالاستكمال النهائى للتدرج أو التسلسل الكهنوتى فى مناطق التبشير الفارسية الشرقية التابعة للكنيسة اليعقوبية قبل الفتح الإسلامى بوقت وجيز ، ويمكننا أن نقول على الإطلاق بأن المواقع أو المراكز اليعقوبية هناك قد تلقت تدعيما أو تقوية عامة فى آخر حكم الساسانيين مما جعل تلك المنطقة تلعب دورا أبرز فى الحياة الأدبية (٢) .

ولد ماروثا فى مملكة إيران فى « بيت توهادرا » وكان أول المطارنة الذين لقبوا بالمفارنة والذين كانوا يديرون شئون المسيحيين كالاعتراف المنتشر بين النساطرة وكان منظما للكنيسة اليعقوبية فى الشرق التى سريعا ما اتسعت فى العدد والنفوذ حتى أنه دعى ليعين أساقفة لمثل تلك المناطق البعيدة مثل سجستان وحيرات . عين قسيسا فى بيت ناردى ، وعاش عشرين سنة عيشة الرهبنة فى دير زكى بجوار الرقة وبعدها ذهب إلى الرها للدراسة . وعند عودته إلى المشرق أقام فى دير مار متى بالموصل ، واشتغل بصياغة قوانينه ولوائحه من جديد . وانحاز إلى أصحاب الطبيعة الواحدة فى البلاط الفارسى ، وكان موضع اعتبار بفضل الطبيب جبرييل . وبعد وفاة جبرييل انعزل فى العاقولى (كوفة العرب) وانتخب مطرانا لتكريت عام ٦٤٠ بعد إقامة السلام بين اليونان والفرس وتوفى عام

---

(١) بومشتارك ص ٢٤٤ ، دوفال ص ٣٧٤ ، رايت ص١٤ وما بعدها ، ص ١٣٤ .

(٢) بومشتارك ص ٢٤٥ .

٦٤٩ (١) . وقد كتب خلفه دنحا تاريخ حياته بعد وفاته (٢) .

كتب ليتورجية وشرحاً للاناجيل وكلاهما كان ينسب خطأ فى بعض الأحيان لماروثا الأكبر من ميافرقاط (٣) ، وكان كذلك مؤلفا لمواعظ قصيرة عن أحد القيامة وعن تقديس الماء ويرجع إليه بعض التراتيل والسدرات الموجودة بالمتحف البريطانى (٤) .

سويرُوس سبخت : إن سويروس من الأشخاص الذين يدل لقبهم على أصل فارسى (٥) ، وكان عاملا على الوصول إلى الذروة فى صبغ الحياة الثقافية بالصبغة الهلينية وازدهار الأدب السريانى اليعقوبى .

كان معاصراً لماروثا تحت رئاسة البطريرك أتاسيوس جمالا المتوفى سنة ٦٣١ (٦)

---

(١) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٢١ ، ١٤٩ ، السمعانى جـ ٢ ص ١٤٦ ، ٤١٩ بومشتارك ص ٤ / ٢٤٣ ، دوفال ص ٣٧٥ ، رأيت ص ١٣٦ .

(٢) فهرس رأيت ص ١١١٣ ، التاريخ السريانى الطبعة الثامنة ص ١٣٧ ، المتحف البريطانى رقم ١٤٦٤٥ ورقة ١٩٨

(٣) رأيت ٤٦ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، دوفال ١١٧ ، كتالوج السمعانى مجلد ٣ جـ ٢ ، فهرس رأيت ص ٩١٠

(٤) رقم ١٤٧٢٧ ورقة ١٤٠ أ ، ١٧٢٦٧ ورقة ١٧ ب ، ١٧٢٥٤ ورقة ١٦٤ أ ، ١٧١٢٨ ورقة ٩١ ب .

(٥) عن الاسم الفارسى سبخت انظر نولدكه فى تاريخ اردشير فى رسالة عن اللغات الهنديه الأوربية عدد ٤ ص ٤٩ هامش ٤ ، تاريخ الفرس والعرب له أيضا ص ٣٩٦ هامش ١

(٦) تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٢٧٥ ، السمعانى جـ ٢ ص ٣٣٤ ويذكر ديونيسيوس التلمحرى وفاته بسنة ٦٤٤ ، دوفال ٣٧٥ ، رأيت ١٢٧

وخلفه يوحنا . وهو من تصيبين(١) . عين أسقفاً لدير قنسرين وهو أحد المراكز الرئيسية لتعليم اليونانية فى سوريه الغربية (٢) . اشتغل بالدراسات الفلسفية والرياضية واللاهوتية (٣) وبقى لنا من دراساته الفلسفية نماذج منها : أنالوطيقا لأرسطو وشروحه على بارى أرمنياس لأرسطو وخطاباته إلى القسيس «آبةالله» الموصلى عن بعض الاصطلاحات فى بارى أرمنياس ، وإلى المفريان يوحنا عن بعض ملاحظات فى المنطق لأرسطو (٤) . أما عن دراساته الفلكية والجغرافية فهناك بعض الأمثلة فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٤٥٣٨ الصفحات ١٥٣ — ١٥٥ (٥) مثل «هل السماء تحيط بالأرض على هيئة عجلة أو كرة» . وعن الاماكن الصالحة للسكنى وغير الصالحة من الارض وعن قياس السماء والارض والفضاء الذى بينها وعن حركات الشمس والقمر (٦) . وفى المكتبة الملكية ببرلين مؤلفات قصيرة له عن الاسطرلاب (٧) . ومهما يكن من شىء فالصبغة الدينية كانت مسيطرة عليه يظهر هذا من خطابه للقسيس باسيليوس القبرصى فى ١٤ نيسان سنة ٩٧٦ يونانية (٦٦٥ م) فهو خطاب دينى فى طبيعته ، ومنه

---

(١) رايت فهرس ص ٩٥٨ع ١ بومشتارك ص ٢٤٦/٧

(٢) السمعانى جـ ٢ ص ٣٣٥ ، تاريخ الكنيسة لابن العبرى جـ ١ ص ٢٧٥

(٣) انظر رينان «المؤلفات الفلسفية عن السريان» ص ٢٩ ، ٣٠ ، دوفال ص ٢٥٧ ، ٢٨٢

(٤) فهرس رايت ص ١١٦٠ — ٦٣ . ويوجد بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٤٦٦٠ ، ١٧١٥٦

(٥) فهرس رايت ص ١٠٠٨

(٦) زخاو «رسائل سريانية غير معروفة» ص ١٢٧

(٧) رايت ص ١٣٩ .

رسالة عن أسابيع دانيال (١) . أما خطاباته إلى سرجيوس رئيس دير سنجار فهما عن موعظتين لاغريغوريوس النزيانزي وقيل أنه كتب ليتورجيه (٢)

يوحنا الأول : يمثل البطريرك يوحنا الاول على الجانب اليعقوبي ظاهرة ذات أهمية تاريخية أدبية متميزة بوجوده على عتبة العصر الإسلامي . وهو يشبه في هذا يشوع يب الثالث النسطوري (٣) .

كان بطريرك أنطاكية وقد دعي من دير إيزوبونا في تل عدىّ إلى كرسي البطريركية في سنه ٦٣١ وتوفي في ديسمبر سنة ٦٤٨ م (٤) ترجم الاناجيل إلى العربية تلبية لطلب الامير عمرو بن سعد (٥) بن ابي وقاص فقد جاء في كتاب ميخائيل السرياني الكبير (ص ٤٢٨) ما ترجمته « في هذا الزمان أوفد عمرو بن سعد (ابن أبي وقاص) في طلب يوحنا بطريركنا ولما وافى إليه جعل يناقشه بكلام يخالف ويناقض الكتب وأخذ يوجه إليه أسئلة عويصة فرد البطريرك عليها بأدلة سديدة من أسفار العهدين القديم والحديث وبأدلة طبيعية . فأعجب الامير بشجاعته ووفرة علمه وأمره قائلا : أنقل لي انجيلكم إلى اللغة العربية » وهو يعرف بأنه مؤلف العديد من السدرات وغيرها من الصلوات الكنائسية التي

---

(١) فهرس رايت ص ٩٨٨ ع ٢

(٢) السمعاني جـ ٢ ص ٤٦٣ ، رايت ص ٢٣٨/٩ ، كتالوج رايت ص ٤٣٢ ، ٩٨٨ ، دوفال ٢٧٥

(٣) بومشتارك ص ٢٤٣

(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري جـ ١ ص ٢٧٥ . السمعاني جـ ٢ ص ٣٣٥-٤٢٥ وقد ذكر ديونيسيوس التلمحري أنه توفي سنة ٦٥٠

(٥) التاريخ الكنسي جـ ١ ص ٢٧٥ ، السمعاني جـ ٢ ص ٣٣٥

بفضلها تلقب باسم يوسنا السدراتى ، كما كتب ليتورجيه (١)

وأثناء الربع الثانى من هذا القرن أى من ٦٣٣ — ٦٣٦ فتح المسلمون سورية والممالك العربية الصغيرة للخميين فى الحيره والثعلبيين والكنديين والغسانيين وتلاشت القبائل المتنقلة بين النهرين ، وتراجع الفرس إلى بلادهم منهزمين . وقد شهدت سنة ٦٣٨ المحاولة الاخيرة للامبراطورية الرومانية فى اغتصاب سوريه ولكن الحكم الإسلامى لم يتزعزع .

وبدأت سريعاً تأثيرات تلك الغلبة تظهر نفسها بوضوح فى أدب البلد وكلما ازداد استعمال اللغة العربية كلما تضاءلت السريانيه ، وكلما انتشر الادب الإسلامى كلما هزل وتضاءل الادب المسيحى ، ومنذ ذلك الوقت أصبح من الضرورى تأليف النحو ووضع القواميس للسان السريانى القديم ، ووضع الاصطلاحات وتسجيل القراءة الصحيحة ونطق الكلمات فى الكتب المقدسة والكتب الاخرى حتى لا يضيع فهمها (٢) أو يدخلها اللحن .

يعقوب الرهاوى :

ظهر النتاج الادبى فى ذلك الوقت فى إطار الهلينية المسيحية بلغة آرامية . وكان متمثلا فى يعقوب الرهاوى . وأوضح سبيل لفهم شخصيته أو طبيعته وأهميته تشبيهه بإيرونيموس ، يتميز شأنه شأن إيرونيموس بالميل إلى الاسلوب الشخصى للخطاب كوسيلة للتعبير عن اتجاه علمى ذى طابع فقهى لغوى . وقد تمتع مثله بمعرفة اللغة العبرية ومقدرته الفائقة على الترجمه ، ومراجعة الترجمات القديمة عند اشتغاله بدراسة العهد القديم ، ولو أننا نلاحظ اهتمامه الخاص بيدان

---

(١) بومشتارك ص ٢٤٣/٤ ، دوفال ص ٣٧٥ ، رايت ص ١٣٨

(٢) رايت ص ١٤٠/١

النصوص الليتورجية ، وقد أضاف إلى المعالجة اللاتينية لتقويم أوسابيوس جهداً خاصاً أساسياً فى مجال كتابة التقاويم ، بل إن المضمون المتنوع الخصب لأعماله النثرية الأخرى وبخاصة فى النحو والفلسفة والعلوم الطبيعية يجعله من حيث التنوع متفوقاً على أوسابيوس (١) .

ويعتبر يعقوب ظاهرة فذة غير عادية ، وكان يمثل مع البعض نواة جماعة ذات اهتمام فكرى مشترك . ومن بين أفراد هذه الجماعة خليفته أتناسيوس والأسقف العربى جرجس ويوحنا الأثاربى ومعاصرهما الأسقف يونان التلاوى الكنديداتى والأب أتناسيوس النصيبيى .

هذا وقد شهدت حياته جانباً من تطور الماسورا السريانية الغربية بينما تأثر الجانب الآخر من هذا التطور بعد مماته بالدراسات النحوية والجهود التى بذلها فى معالجة نصوص الكتاب المقدس (٢)

ويعقوب هذا من بين طائفة العلماء اليعاقبة الذين شهروا أنفسهم أثناء النصف الأخير من القرن السابع ، وكان مبجلا عند كتاب عصره بسعة معارفه العلمية وتنوعها إلى جانب موهبته الأدبية . ولد حوالى سنة ٦٤٠ م (٣) فى بلدة عين

---

(١) تاريخ الكنيسة — ج ١ ص ٢٨٩ ، السمعانى ج ١ ص ٤٦٨ ، ج ٢ ص ٣٣٥ . حاول السمعانى جاهدا فى ج ١ أن يثبت أنه لم يكن من اليعاقبة ص ٤٧٠ وما بعدها ولكنه فى ج ٢ ص ٣٢٧ ترك المحاولة يائسا . بومشتارك ص ٢٤٨ ، ص ٢٥٦ .

(٢) بومشتارك ص ٢٥٦

(٣) السمعانى ج ١ ص ٤٦٩ ويذكر رايت ص ١٤١ ان التواريخ المعطاة لمولد هذا المطران فى ذلك المرجع كلها خطأ .

ديرنا لأسقفية أنطاكية . وتتلمذ على سويروس سبقط فى الدير المشهور فى قنسرين حيث درس اليونانية فى الإسكندرية وبعد عودته نصبه البطريرك اثناسيوس رفيقه القديم — مطراناً للرها فى سنة ٦٧٩ (١) وقد ذكر ديونيسيوس التلمحرى أنه عين سنة ٦٧٧ . أما ابن العبرى فيذكر أنه رسم بواسطة البطريرك أثناسيوس الثانى سنة ٦٨٤ — ٦٨٧ . ويرجح رايت (٢) هذا التاريخ معللا ذلك بأنهما كانا صديقين حميمين .

كان يعقوب شديد الدقة فى تنفيذ القوانين الكنسية ، ولهذا أدان بعض رجال الدين التابعين له حاولا بذلك إعادة النظام فى أديرة أسقفيته ولكنه فشل (٣) وفى أعقاب هــــذا الفشل ترك مقره بالأسقفية وانعزل فى دير القديس يعقوب القيسومى (٤) وعين شخصاً يدعى حبيب بدلا منه فى الرها . وبعد فترة عين مدرساً فى دير إيزوبونا فى أبرشية أنطاكية . وهناك علم لمدة أحدى عشرة سنة المزامير وقراءة الكتب المقدسة باليونانية ، تلك الدراسة التى كان قد أبطل استعمالها وقد جدد وأحسن تعليم اليونانية فى هذا الدير . وبسبب النزاع مع بعض الإخوان الذين يكرهون اليونان ترك هذا الدير وذهب إلى الدير الكبير فى تل عدّى حيث اشتغل تسعة أعوام أخرى فى مراجعة ترجمة العهد القديم (٥) وبعد وفاة حبيب اليعقوبى دعى ثانية إلى الرها حيث أقام أربعة أشهر ، وفى نهاية تلك المدة عاد إلى تل عدى لإحضار كتبه وتلاميذه ولكنه توفى هناك فى

(١) السمعانى ج ١ ص ٤٢٦

(٢) ص ٤٢

(٣) دوفال ص ١٧١ ، ٣٧٦

(٤) مدينة بالقرب من سميساط .

(٥) رايت ص ١٧ ، ١٤٣ ، دوفال ص ٧٠ ، ٣٧٦

الخامس من يونيو سنة ٧٠٨ م ويذكر ديونيسيوس التلمحرى والسمعانى (١) أنه توفى سنة ٧١٠ ولكن إلياس بن شينايا (٢) يؤكد التاريخ الأسبق .

كان يعقوب ذا ثقافة عالية وسعة اطلاع لاتصاله الوثيق باليونانية وكتاب السريان القدامى ، لذا نراه مؤلفاً مرموقاً ومعلم لاهوت وفيلسوفا ومؤرخا ونحويا ومترجما لمختلف أعمال اليونان ، كما نراه لايمل المراسلة مع كثير من الطلبة الذين كانو يلتمسون نصيحته أو مساعدته من قريب أو بعيد (٣)

اعماله :كتب يعقوب شروحا على العهدين القديم والجديد استشهد بها بعض الكتاب المتأخرين مثل ديونيسيوس بن الصليبى وابن العبرى (٤) . وتعتبر مراجعته للعهد القديم التى أتمها سنة ٧٠٥ م — حينما كان أسقفا مقيما فى دير تليدا — أول عمل منظم فى الماسورا اليعقوبية (٥) . قسم الكتاب إلى فصول ووضع فى مقدمة كل فصل ملخصا لمحتوياته ووضع له فى الهامش قاموسا يحتوى على كلمات عديدة . وأحيانا يضع النطق الصحيح لبعض الكلمات ، وبعض الملاحظات مشتقة من سويروس الانطاكى . كما نجد كذلك بعض معانى الكلمات داخلة فى النص وتوجد فى المكتبة الأهلية بباريس مخطوطتان تشتملان على أسفار موسى الخمسة فيما عدا بعض مقطوعات قليلة ، وكتاب دانيال . ويضم المتحف البريطانى

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ١ ص ٤٢٦

(٢) بيتجن : مقتطفات تاريخية سريانية وعربية ص ٤٠ ، ١٢١

(٣) رايت ص ١٤٣

(٤) السمعانى جـ ١ ص ٤٨٧/٨ ، فهرس الفاتيكان رقم ١٠٣ ص ١٠٧ ، المتحف البريطانى مخطوطة رقم ١٢١٤٤ ، فهرس رايت ص ٩٠٨ . وتحتوى المخطوطة السابقة على مقتضب للأسفار الخمسة وايوب ويوشع والقضاة .

(٥) دوفال ص ٧٠ ، رايت ص ١٤٣/٤

مخطوطتين أيضا يتضمنان كتابى صموئيل وبداية عصر الملوك وإشعيا ولكن هناك بعض النقص فى كتاب صموئيل الأول . هذه المخطوطات مؤرخة تسنة ٧١٩ — ٢٠ أى بعد وفاة يعقوب بعشرين سنة . وقد وصلت الماسورا إلى نهايتها فى دير قرقفتا ثم فى دير رأس العين بعد ذلك ولهذا تسمى الماسورا اليعقوبية باسم الماسورا القرقفية وتحمل عنوان « الأعمال القرقفية » فى كتاب ابن العبرى « مخزن الأسرار » وفى مخطوطات الماسورا اليعقوبية . وقد عثر الكاردينال وايزمان على هذه الماسورا فى مخطوط الفاتيكان رقم ١٥٢ (١) . وله مواعظ عن الستة الأيام الأولى لبدء الخليقة نجدها فى مخطوطتى ليون وليدن (٢) . وقد كان ذلك آخر أعماله ولكنه لم يتمه وبعد موته أكمله صديقه الأسقف جرجس أسقف القبائل العربية .

ومثل كثير من أحبار الكنيسة السريانية ألف نافورا أوليتورجية (٣) موجودة فى مخطوطات عـــدة . وراجع ليتورجية القديس يوسف أخى

---

(١) دوفال ص ٧٠/١

(٢) ليدن مخطوطة ٦٦ قسم أول ، مخطوطة شرقى رقم ٥ ص ٦٩ ، لاند القصة السريانية جـ ١ ص ٢ — ٤ ، ليون مخطوطة رقم ٢ ، مخطوطة رقم ٢ ، مخطوطة باريس هى تقريبا نسخه جانبية لمخطوطة ليدن وهى موضوعة تحت رقم ١٤٧٣١ المتحف البريطانى ورقة ١٨ ب ، فهرس رايت ص ٨٥٤ع ٢٩ فى الهامش ، وفهرس بودلين ص ٤٦٢ رقم د ، وهناك مخطوطة أخرى فى باريس فهرس زوتنبرج ص ٢١٣ وتشمل على التنقيط وشرح الكلمات والجمل الصعبة فى هذا المؤلف .

(٣) السمعانى جـ ١ ص ٤٧٦ ، دوفال ص ٣٧٧ ، رايت ص ١٤٥

أخى الوب(١) . كما ألف أوامر التعميد لتقديس المياه(٢) ، والاحتفال بالقربان(٣) والتى بواسطتها نستطيع أن نقرن بين ترجمته لأوامر التعميد لساويرس(٤) وبين النبذة الموضوعة عن الدرجات الممنوعة للبطاركة(٥) . كذلك وضع كتاب الكنوز(٦) ويحتوى على شروح العشاء الربانى وتقديس المياه، وطقس العماد ، ومن المحتمل أن يكون مماثلا لتلك التى توجد منفصلة فى المخطوطات المختلفة(٧) . كما نظم قياس الوقت أو الساعات القانونية الخاصة بأيام العبادة(٨) . ووضع قائمة للأعياد وأيام القديسين على مدار السنة(٩) . وقام بترجمة سدرات سويروس من أجل التعميد ، ويحتوى على خدمات ساعات الاسبوع وتقويم لأيام الأعياد على

---

(١) توجد فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٤٦٩١ ص ٢٦ ولا يستطيع رايت أن يؤكد إذا كان هو مترجم نافورة اغناطيوس أم غيره .

(٢) فهرس رايت ص ٤٨٦ ع ١٠

(٣) فهرس زوتنبرج ص ٦٦/٧

(٤) فهرس روزن ص ٦١ ع ٢٠

(٥) مخطوطة الفاتيكان ٣٧ كتالوج جـ ٢ ص ٢٤٤

(٦) السمعانى جـ ١ ص ٤٨٧

(٧) عن العشاء الربانى برلين زخلو ص ٢١٨ القسم الرابع ، المتحف البريطانى رقم ١٤٤٩٦ ورقة ١ ا ، فهرس رايت ص ٢٢٤ ، عن تقديس المياه ، فهرس الفاتيكان ص ٢٠٥ ، وطقس العماد . ويوجد فى المتحف البريطانى رقم ١٤٤٩٦ ورقة ٢٢ ا .

(٨) المتحف البريطانى رقم ١٤٧٠٤ ومتحف باريس رقم قديم ٧٣

(٩) انظر فهرس الفاتيكان جـ ٢ ص ٢٥٠ — ٢٧٢ وقارن برلين زخاو ٣٩ القسم الرابع .

مدار السنة . وكان مؤلفا لبعض الترانيم الشهيرة التي تتصل بتقديم القرابين الكنسية من أجل استعمال الخبز المقدس ضد أصحاب الطبيعتين وضد أعداء قوانين الكنيسة . أما الترانيم المنظومة فقليلة جداً إحداها تتناول الثالوث والتجسد وأخرى تتناول الإيمان موجهة ضد النساطرة (١) .

أما عن قوانينه الكنسية فكثيرة (٢) . فقد وضع تاريخا الكنيسة وقوانينها ولما وجد أن الرهبان لا يريدون العمل بهذه القوانين أحرق نسخة منها . طبعت هذه القوانين عن مخطوطة باريس ٦٢ وطبعها بول دى لاجارد تحت عنوان « قوانين الكنيسة السريانية » ص ١١٧ — ١٣٤ وبواسطة م . لامى فى كتابه Dissertatics de syrorum fide . ثم طبعها « كيزر » طبعة أكثر كمالا لأنه نقدها مع ترجمة ألمانية وضعت على أساس مخطوطة باريس رقم ٦٢ ، ١١١ وعلى أساس ثلاث مخطوطات فى المتحف البريطانى (٣) .

ووضع يعقوب شروحا وتفاسير عن الكتابة وعالج قطعا مختلفة من الكتاب المقدس فى خطاباته المختلفة (٤) .

---

(١) دوفال ص ٣٧٧ ، رايت ص ١٤٦

(٢) انظر السمعانى جـ ١ ص ٤٧٧ .

(٣) دوفال ص ١٨١/٢ .

(٤) توجد هذه الشروح فى كتابات سويروس وفى كتابات ديونيسيوس ابن الصليبى وفى ابن العبرى . وقد طبع فيليبس ورايت وشريتر ونسله بعض تفاسيره من المخطوطات فى المتحف البريطانى . والبعض الآخر يوجد فى شروح القديس افرايم من وضع الراهب سويروس . انظر : دوفال ص ٧٧ ، رايت ص ١٤٦ فى الهامش .

ألف كذلك مواعظ بقى منها القليل فى مخطوطة(١) على سبيل المثال :

(١) لا يجمل بالمسيحى أن يقدم حملا على النظام اليهودى ، لا ثيرانا ولا شاة من أجل المتوفى ، ولا يستعمل الخبز الصافى أو الخبز غير المخمر فى العشاء الربانى.

(٢) ضد استعمال الخبز غير المخمر .

(٣) ضد الأرمنيين القائلين بالطبيعتين ولأنهم اعتدوا على هذه التعاليم .

(٤) ضد بعض الرجال الكفرة والمعتدين على فريضة الله والذين يطأون بأقدامهم قوانين الكنيسة(٢) .

وكان ليعقوب كثير من المراسلات مع أعضاء الإكليروس فى عصره فمثلا بعث برسالة إلى أسقف سروج عن هجاء الكلمات السريانية المختلفة والكلمات اليونانية المكتوبة بحروف سريانية . وقد افتتح الخطاب برسالة ليعقوب مقسمة إلى خمسة فصول عن العيار وعن الحالات وعن الزمن وعن صيغ الكلمات وعن النبرات (٣) . كما بعث برسالة إلى بولس الانطاكى عن الأبجدية السريانية رداً على خطاب عن النقص المزعوم فيها بمقارنتها بالأبجدية اليونانية (٤) كما بعث برسالة أخرى إلى القس أدى عن موضوع التعميد ، وتقديس الماء . وللشماس برحذ بشبا ضد مجمع خلقيدونية(٥) وليوحنا العمودى من دير ليثاريا بالقرب

---

(١) رايت ص ١٤٧/٨ .
(٢) فهرس رايت ص ٩٨٤ ع ٢٠ ، ٩٩٦ ع ٢٠
(٣) دوفال ص ٢٩٣ ، رايت ص ١٥١
(٤) السمعانى جـ ١ ص ٤٧٧ رقم ٧
(٥) المتحف البريطانى رقم ١٤٦٢١ ورقة ١٤ ب

جن حلب ، ولأوسطاطيوس الدارى ولكريزونا الدارى وللقس ابراهام وللشماس جرجس والنحات توما(١) .

وله رسالة عن العلة الأولى خالقة أبدية قوية غير مخلوقة وهى الله الحافظ لكل الأشياء وقد ضاعت هذه الرسالة ولكن المعتقد أنها وجدت فى الأعمال السريانية المعروفة تحت اسم « سبب الأسباب (٢) » . كما وضع رسالة عن الاصطلاحات الفنية الفلسفية التى بقيت فى مخطوطة المتحف البريطانى(٣) . ويرجح أن يعقوب هو المترجم لقاطيغورياس وبارى أرمنياس لأرسطو (٤) . ألف كذلك رسالة فى الفلك ولكنه لم يتمها وأتمها جرجس أسقف القبائل العربية وينقسم هذا المؤلف إلى سبعة رسائل بدأه المؤلف بحوار بينه وبين تلميذه قسطنطين(٥) .

---

(١) هذه الخطابات محفوظة فى مخطوطة رقم ١٢١٧٢ بالمتحف البريطانى

(٢) طبع كايزر هذا الكتاب وذكر أنه لا يمكن أن يكون مؤلفه يعقوب الرهاوى وموجودة أيضا فى رقم ١٤٧١٥ ورقة ١٧٠ أ ، ٢١٤٤ ، ورقة ٤٧ أ ، ٥٢ ب . وطبع رايت اثنين منها فى جريدة الأدب المقدس . الطبعات الجديدة . انظر دوڤال ص ٣٧٨ ، السمعانى ج ١ ص ٤٨٦ رقم ١١

(٣) رقم ١٢١٥٤ ويعتقد رايت أن هذه المقطوعة عن بعض المؤلفات الفلسفية مشابهة لتلك التى فى مخطوطتى الفاتيكان رقم ٣٦ ، ٥٩ والتى تظهر فيها المخطوطة تحت اسم يعقوب السروجى .

(٤) دوڤال ٢٥٨

(٥) الحوار فى مخطوطتين الاولى فى ليدن والثانية فى ليون أما مخطوطة باريس ٢٤٠ سريانى فهى نسخة جزئية من مخطوطة ليدن التى كتبها جبريل=

وحمه يعقوب اهتمامه للترجمة من اليونانية ، فقام بترجمة بعض الأعمال الارسطالية كما ترجم الموميليا الكاتدرالية لسويرس وهو كتاب ذو أهمية عظيمة أتمه سنة ٧٠١ م(١) . ثم راجع وصحح مستعينا بالمخطوطات اليونانية عمل بولس رئيس الدير لترجمة سويروس الثانية (٢) . ويذكر رايت (٣) أنه هذب ترجمة الآب بولس إذ من المحتمل أنه أضاف بعض ملاحظات وشروح من كتابات سويرس وأثناسيوس .

أما عن كتاباته الفلسفية فنذكر له رسالة عن المصطلحات الفلسفية (٤)

= الصهيونى . انظر فهرس زوتنبرج ص ١٩٧ ونسخة أخرى يظهر أنها مستخرجة من باريس موجودة فى جلاسجو . انظر المجلة الاسيوية . نوفمبر — ديسمبر ١٨٩٨ ص ٥٥٠ ونشر الاب مارتن بعض القطع وحللها كما نشر الاب Hjllt الرسالة الثالثة مع ترجمة لاتينية وهى رسالة مخصصة للجغرافية ولكن ليس فيها أى جديد كما يعتقد مارتن ولكنها مأخوذة من جغرافية بطليموس . أنظر نولدكه « أدب العصور الوسطى » سنة ١٨٨٨ ص ١٧٤٣ ، جيمس الدمشقى « مجلة الدراسات اليونانية » سنة ١٨٨٩ ص ١٨٠ — ١٨٨ .

(١) مخطوط الفاتيكان ص ١٤١ « المتحف البريطانى رقم ١٢١٥٩ . مؤرخ بسنة ٨٦٨ . انظر السمعانى ج ١ ص ٤٩٤ ، كتالوج رايت ص ٥٣٤ وما بعدها

(٢) مخطوطة الفاتيكان ص ٩٤ وتدخل فيما بين سنتى ١٠ ، ١ ١٠٣٣ ، المتحف البريطانى رقم ٧١٣٤ مؤرخة بسنة ٦٧٥ ، انظر فهرس رايت ص ٥٢٤ وما بعدها ، السمعانى ج ١ ص ٤٨٧ .

(٣) فهرس ص ٤٢٣ — ٤٢٧

(٤) المرجع السابق ص ٨٩٤

والمؤلفات المنظومة فى نفس الموضوع(١) .

أما دراساته النحوية(٢) فقد كان ليعقوب مكانة مرموقة فى الأدب السريانى . ولم يكن هناك شك فى أن الباحثين النساطرة مثل نرسى وتلاميذه وبخاصة يوسف الأهوازى قد أتقنوا نظاماً للشكل والنقط نافس ما كان لليهود فى ذلك الوقت ، ومن المحتمل أنهم بدأوا يودعون نتائج دراساتهم فى مخطوطات الماسورا للكتاب المقدس ، ولكن يعقوب كان هو الأول فى التأثير على من تبعه من السريان الغربيين وإغراء رهبان إيزوبونا وتل عدى ليصنفوا فى الماسورا مثل تلك التى كانت لإخوانهم المشارقة وأن يهتموا بضبط نقط الإعجام وعلامات الترقيم . فمن ذلك نجد رسالة ليعقوب إلى جرجس أسقف سروج عن ضبط الإملاء السريانى(٣) وكراسة عن تنقيط الصيغ الفعلية والإسمية وعلامات الترقيم والنبر ، إلى جانب كراسة عن نفس العلامات بتاريخ أقدم فيما يظهر مع قائمة بأسمائها لتوما الشماس (٤) .

وكانت معرفة يعقوب للغة اليونان ومخطوطات اليونان سبباً فى تبسيط الحركات التى كانت فيما يظهر قد بدأت تعرف عند المشارقة(٥) . فرأى أن جميع

---

(١) يذكر رايت ص ١٥٠ فى كتابه أنها موجودة فى مخطوطة الفاتيكان ص ٣٦ ، ٩٥ وربما تكون له ، وهى تنسب المخطوطات إلى يعقوب السروجى

(٢) رايت ص ١١٥ وما بعدها ، ص ١٥٠

(٣) السمعانى ص ٤٧٧ رقم ٦٠ ، ص ٤٧٨ رقم ٨ . انظر رايت ص ١٥١

(٤) طبع فيليبس الخطاب تحت عنوان خطاب ليعقوب الرهاوى عن ضبط الإملاء السريانى رايت ص ١١٠ ، ١٥١

(٥) المتحف البريطانى رقم ١٢١٣٨ ، فهرس رايت ص ١٣ ، رايت ص ١ ١

أصوات الصوائت للغة السريانية كما ينطقها الرهاويون يمكن أن يمثلها حروف الصوائت للغة اليونانية وكطريقة للإشارة يمكن أن تكون أكثر وضوحا للقارىء من مجموعة النقط الصغيرة وبذلك وضع هو أو مدرسته العلامات الآتية والتى تمسك بها السريان الغربيون أو اليعاقبة خلال حياته(١) .

u = oy , i = H , e = E , ā = O , a = A

والمطالعة الدائمة للمخطوطات اليونانية عودته على أن يرى الصوائت على حد سواء مع الصوامت كجزأ مكمل للأبجدية لحاول تطبيق ذلك على السريانية لهذا نظم مجموعة من علامات الصوائت لتكتب على السطر مع الصوامت وبينها (٢) ولكى يشيع تلك الطريقة بين قومه كتب نحواً سريانيا(٣) واستخدم هذه العلامات فى الأمثلة بكثرة . ولكن لم يجد هذا الاقتراح استحسانا وبهذا قرر له أن يضيع نهائيا . وقد اكتشف رايت ودكتور نوبباور Neubauer قصاصات قليلة منها

---

(١) ينسب هذا العمل إلى توفيلوس الرهاوى المتوفى سنة ٧٨٥ على الرغم بأن وايزمان يذكر براهين مقنعة فى كتابه Horoe Syriacoe ص ١٠١ - ١٨٨ فضل يعقوب فى هذا . انظر السمعانى جـ ١ ص ٦٤ ، ٥٢١ . وهناك مخطوطة ليعقوب نفسه بها هذه الصوائت اليونانية مستعملة فى الكلمات السريانية موجودة فى المتحف البريطانى رقم ١٧١٣٤ ورقة ب انظر كتالوج رايت ص ٢٣٧ ع ٢٠، رايت ص ١٥٢

(٢) ابن العبرى فى كتاب الأشعة كما اقتبسه مارتن فى المجلة الاسيوية ١٨٦٩ مجلد ٨ ص ٤٥٨/٩ أما ص ١٩٤/٥ من طبعة مارتن .

(٣) السمعانى جـ ١ ص ٤٧٥ — ٤٧٧

جزء على هيئة طروس(١) .

وليعقوب تاريخ حولى كتبه سنة ٦٩٢م لكى يكون متمماً لتاريخ أوسابيوس وتواريخ المؤرخين التالين له (٢) . أى من السنة العشرين من حكم قسطنطين حتى عصره هو . وكانت المقدمة مقسمة إلى أربعة أقسام . القسم الأول ويبحث فى قانون أوسابيوس وغلطة الثلاث سنوات فى حسابه ، والثانى عن الأسرات المعاصرة للإمبراطورية الرومانية ولكنها حذفت بواسطة أوسابيوس ، والثالث يشرح فيه يعقوب أى الأسرات ارتبطت عند يعقوب بالإمبراطورية الرومانية، والرابع يشتمل على تواريخ منفصلة لكل واحدة من هذه الأسرات . ثم أتبع ذلك القانون الحولى الذى يبتدىء بالأالميادال ٢٧٦ بالملوك الأواخر الذين يذكرون فى المخطوطات المشوهة وهم هراقليوس الأول من القسطنطينية ، وأردشير الثالث من الفرس ، والخليفة أبو بكر . هذا الكتاب هو الذى أتمه المؤلف سنة ٦٩٢ م وأدخله عبد يشوع فى ثبت كتبه(٣) .

---

(١) موجودة فى المتحف البريطانى رقم ١٧٢١٧ ورقة ٣٧ ، ٣٨ ، وفى فهرس رايت ص ١١٦٨ — ١١٧٣ . وأعاد رايت طبعها مع قصاصات أكسفورد (بودلين ١٥٩) فى فصلته النحو السريانى ليعقوب الرهاوى سنة ١٨٧١ .

(٢) يعتقد رايت — فى فهرس كتالوجه ص ١٠٦٢ — أنه عثر على قطع بسيطة من هذا التاريخ فى المتحف البريطانى فى المخطوطة رقم ١٠٦٨٥ وتحت هذه القطع يوجد عنوان التاريخ الذى وضعه أوسابيوس والذى يبتدىء بيعقوب. ويعتقد نو على العكس فى الحديث عن يعقوب إذ يعتقد أن يعقوب هذا هو يعقوب فيليبونوس وهو مؤلف عن يعقوب الرهاوى .

(٣) السمعانى ج ٣ ص ١ ، ٢٩٩ ، دوفال ص ٢٠٢ ، رايت ١٤٧/٨

أثناسيوس البلدى : يرجع إليه الفضل فى أن يعقوب الرهاوى رسم على مطرانية هذه المدينة . أتم دراساته فى دير قنسرين الذى كان يشرف عليه سوبروس سبقط وكرس نفسه لترجمة الأعمال اليونانية فلسفية ولاهوتية فى دير مالكوس فى طور عابدين ومارس الكهنوت فى تصيبين حيث خدم لفترة من الوقت كقسيس ، ورقى إلى البطريركية عام ٦٨٤ م وظل بها حتى توفى عام ٦٨٧ أو ٦٨٨ (١) .

أعماله : فى سنة ٦٤٥ م ترجم إيساغوجى لفورفوريوس الصورى مع مقدمة يظهر أنها اقتبست أساساً عن مقدمة الشارح اليونانى أمونيوس(٢) . كما عمل ترجمة إيساغوجى لمؤلف مجهول توجد فى مخطوطة فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٤٦٦٠ (٣) . وبناء على طلب متى أسقف حلب ودانيال أسقف الرها أخذ على عاتقه فى عام ٦٦٩ م ترجمة رسائل مختارة لسورس الأنطاكى بقى منها الكتاب السادس فى مخطوطتين(٤) . كما شغل نفسه بترجمات أغريغوريوس النزيانزى(٥) وله رسالة عامة عن علاقات المسيحيين بالمسلمين ، وبعض الصلوات الليتورجية(٦) .

---

(١) السمعانى ج ٢ ص ٣٣٠ ، التاريخ الكنسى ج ١ ص ٢٨٧ ، ٢٩٣ بومشتارك ص ٢٥٦ ، رايت ص ١٥٥ ، دوفال ص ٣٧٨

(٢) موجودة فى مخطوطة الفاتيكان ١٥٧ باريس . انظر رايت ص ١٥٥

(٣) فهرس رايت ص ١١٦١

(٤) المتحف البريطانى رقم ١٢١٨١ ، ١٤٦٠٠ ، فهرس رايت ص ٥٥٨ — ٥٦٩ .

(٥) دوفال ص ٣١٢ ، ٣٢٠ ، فهرس رايت ص ٤٤١

(٦) فهرس زوتنبرج ص ٢٨ ، ٤٧ . فهرس رايت ص ٢١٨

جرجس أسقف القبائل العربية : وهو من بين الباحثين المشهورين فى ذلك الوقت ، وصديق أتناسيوس الثانى(١) عين مطراناً لجماعات العرب أصحاب الطبيعة الواحدة فى عام ٦٨٧ أو ٦٨٨ أى بعد شهرين من موت أتناسيوس وقيل أنه توفى فى السنة الأولى لأتناسيوس الثالث الذى ولى فى إبريل عام ٧٢٤ . وتضمنت أبرشيته العاقوليين والطائيين والتنوخيين والتغلبيين والعرب البدو عامة وذلك فيما بين النهرين ، وكان مقر أسقفيته العاقولى (الكوفة)(٢) .

أعماله : أما عن أعماله فأكثرها أهمية هى ترجمته لأورجانون أرسطو الذى يوجد منه مجلد فى المتحف البريطانى رقم ١٤٦٥٩ ، وهو يشتمل بحالته الناقصة على قاطيغورياس وبارى أرمنياس ، والكتاب الأول من أنالوطيقا منقسما إلى قسمين مع مقدمات وشروح(٣) . وعن هذه الترجمة نشر «هوفمان» نموذجا منها تحت عنوان De Hermeneuticis ص ٢٢ وما بعدها إلى جانب مقتطفات صغيرة فى ص ٢٠ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٣ . كما جمع شروحا لتراتيل أغريغوريوس النزيانزى التى وجدت مجالا واسعا للقراءة (٤) . وقد أكمل كذلك

---

(١) السمعانى ج ١ ص ٢٣ والهامش ، التاريخ الكنسى ج ١ ص ٢٩٣ ، ٣ ، ٣ رايت ص ١٥٧ ، دوفال ص ٣٧٨

(٢) رايت ص ١٥٧ ، دوفال ص ٣٧٨ ، بومشتارك ص ٢٥٧/٨

(٣) فهرس رايت ص ١١٦٣ ، دوفال ص ٢٥٩

(٤) المتحف البريطانى رقم ١٤٧٢٥ ورقة ١٠٠ — ٢١٥ ومن الواضح أنها كتبت بعد موت أتناسيوس الثانى كما هو واضح فى ص ١٣٢ أ . انظر فهرس رايت ص ٤٤٣ ع ١ . والشرح موجود فى المتحف البريطانى رقم ١٧١٩٧ ورقة ١ — ٢٥ . انظر فهرس رايت ص ٤٤١

سداسية يعقوب الرهاوى(١) ، وكتاباته الأخرى عبارة عن تفاسير للكتب المقدسة فى كاتينة لساويرس وفى كنوز الأسرار(٢) لإبن العبرى . وله شرح قصير عن الأسرار المقدسة للكنيسة ، وكيفية العماد والعشاء الربانى المقدس وتقديس الزيت المقدس(٣) . وله ترتيلة من ١٢ مقطعا موضوعة عن الزيت المقدس بكيفيتين(٤) ، وله ترتيلة أخرى عن الرهبان المتوحدين موضوعة فى الوزن ذى السبعة مقاطع (٥) . ورسالة عن التقويم فى وزن الاثنى عشر مقطعا(٦) نقلها إلياس بن شينايا (٧) .

وكما عمل يعقوب الرهاوى داوم هو أيضا على المراسلات الأدبية الواسعة التى لحسن الحظ وجد بعض نماذج منها فى المتحف البريطانى (٨)، وكثير منها معنون إلى يوحنا العمودى الأثاربى وواحد منها إلى دانيال وهو قسيس عربى لقبيلة الطائيين ملحقة بورقة ٢٩١ . وأكثرها أهمية مكتوب إلى القسيس الناسك يسوع من إينيب بالقرب من عزاز شمالى حلب ، ويشير جزء منها إلى أفراطس

---

(١) رايت ص ١٤٤ ، دوفال ص ٢٨٢ ، لاند القصة السريانية جـ ١ ص ٤.

(٢) السمعانى جـ ١ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ ، فهرس رايت ص ٩٥٩ ع ٢٠ .

(٣) فهرس رايت ص ٩٨٥

(٤) السمعانى جـ ١ ص ٢٣٢ ، فهرس الفاتيكان جـ ٣ ص ١٠٢ رقم ١٨٨ ، فهرس رايت ص ٨٨٤ رقم ٧٨

(٥) بودلين . فهرس ص ٤٢٥ رقم ٨٨

(٦) السمعانى جـ ١ ص ٤٩٥ ، فهرس الفاتيكان جـ ٣ ص ٥٣٢

(٧) فهرس روزن ص ٨٨ رقم ٢٢ ، ٣٣

(٨) رقم ١٢١٥٤ ورق ٢٢٢ — ٢٩١ مؤرخة من سنة ٧١٤ - ٧١٨

وأعماله (١) . وله ترنيمة منطوقة عن القديس كريم(٢) وبحث منظوم من اثنى عشر مقطعا عن التقويم (٣) . وأكثر خطاباته أهمية هى تلك التى وجهها إلى الآب يسوع بشأن الترانيم لافراطس(٤) .

دانيال الصلحى : كان معاصراً لهؤلاء العلماء وهو من قرية فى الشمال الشرقى من مدياد فى طور عابدين ، وكان أسقفا لتلا . ولكن حينما كتب شروحه على المزامير كان قسيسا ورئيسا للدير (٥) . توجد هذه الشروح فى ثلاثة مجلدات ألفها بناء على طلب يوحنا رئيس دير أوسابيوس فى كفر البرا بالقرب من أفاميا(٦). كذلك عمل شرحا لسفر الجامعة عرف فقط من المقتبسات الموجودة فى كاتينة ساويرس(٧)

---

(١) انظر رايت ص ٣٢ ، كما طبعها دى لاجارد . التحليل السريانى ص ١٠٨ — ١٢٤ ، وجزء منها طبعة رايت ، كما طبع ريسل ترجمة لبعض هذه المنظومات الأسقفية والخطابات تحت عنوان «جرجس أسقف العرب . منظومات وخطابات» ليبزج ١٨٩١ وطبع نصا لنظمين فى الأكاديمية الملكية بروما سنة ١٨٩٢

(٢) فهرس الفاتيكان ج ٣ ص ١٠٢ ، رايت فهرس ص ٨٤٨

(٣) فهرس الفاتيكان ج ٣ ص ٥٣٢ ، السمعانى ج ١ ص ٤٩٥

(٤) دوفال ص ٢٢٨

(٥) باين سميث . فهرس ص ٦٢ ، فهرس رايت ص ٦٠٥ ع ٢٠٢

(٦) المتحف البريطانى رقم ١٧:٨٧ ج ٢ فصله ٥١ ، فهرس رايت ص ٦٠٥ — ٦٠٦ ، ص ٨٣١ ع ١٠١ ، كما يوجد له مختصر فى المتحف البريطانى رقم ١٧١٢٥ ورقة ٨١ وما بعدها وفى كتاب النحو لنستله .

(٧) فهرس الفاتيكان ج ٣ ص ١٧ ، فهرس رايت ص ٩٠٩ ، رايت ص ١٥٩/٦٠

جرجس أسقف ميافرقاط(١) : لا يمكن أن نضيف إلا قليلا إلى التقرير البسيط الذى جمعه السمعانى(٢) وقد أخطأ السمعانى فى وضعه حوالى سنة ٥٨٠ م ومن المحتمل أن يكون بعد ذلك بقرن تقريبا .

وهناك اثنان من تلاميذه هما قسطنطين أسقف حران الذى عاش أثناء النصف الثانى من القرن السابع الميلادى وخلفه لاون الذى عاش فى أواخر أو أوائل القرن الثامن(٣) .

كتب قسطنطين عدة رسائل جدلية ضد أصحاب الطبيعة الواحدة أى استعراض لعقائد مجمعى نيقية وخلقيدونية ، ورسالة ضد سويروس الأنطاكى تتناول تعريضا بالتقديسات الثلاثة ٤) ، كما كتب رداً على رسالة سمعان الثانى أسقف حران من القائلين بالطبيعة الواحدة(٥) .

أما مجهود لاون الأدبى الوحيد فهو عبارة عن خطاب إلى البطريرك اليعقوبى إلياس طلب إليه إبداء الأسباب التى أدت إلى تحوله عن أصحاب الطبيعتين إلى أصحاب الطبيعة الواحدة . وهو فعلا كان قد انضم إلى أصحاب الطبيعة الواحدة بعد قراءته لأعمال سويروس الأنطاكى ، وأصبح قسيساً فى دير جوبا برايا ثم

---

(١) يذكر السمعانى أن أسقفيته هى تكريت .

(٢) المكتبة الشرقية ج ١ ص ٤٦٥ ، ج ٢ ص ٩٦ . انظر دوفال ص ٧٨

(٣) يضع السمعانى قسطنطين سنة ٦٣٠ ويضعه لون حوالى سنة ٦٤٠ (المكتبة الشرقية ج ١ ص ٤٦٦ — ٤٦٧)

(٤) موجودة فى المكتبة الشرقية ج ١ ص ٤٦٦

(٥) فهرس رايت ص ٦٠٧ ع ٢ ، دوفال ص ٢٧٩ ، رايت ص ١٦٠/١

أسقفا لأفاميا لمدة ١٨ عاماً ثم ارتقى إلى كرسى بطريركية أنطاكية فى عام ٧٠٨ وتوفى عام ٧٢٤(١) والعمل الوحيد الذى يؤثر عنه هو اعتذار له إلى لاون أسقف حران رداً على خطابه الذى ذكرناه سابقا .

وإلى القرن السابع — كما يرى نولدكه — كانت تنسب الترجمة السريانية المنسوبة خطأ إلى كاليستينوس عن حياة الإسكندر الأكبر(٢) . وكان يظن من قبل أن هذه الترجمة نقلت عن العربية ، وهى من نتاج القرنين العاشر أو الحادى عشر ولكن أظهر نولدكه(٣) من دراسته للغة التى كتبت بها الترجمة ، وخاصة شكل أسماء الأعلام أن السريانى لا بد وأن يكون مترجما عن البهلوى ، وأنه ليس متأخراً عن القرن السابع الميلادى .

مما سبق نرى أن تلك الحركة الأدبية الجديدة والتى كان من أبرز ممثليها سويروس سبخت ويعقوب الرهاوى تستند إلى جانب من الأدب المنقول من اليونانية إلى السريانية لمؤلفين مجهولين . وتتدرج الترجمات الجديدة الدقيقة كتلك التى قام بها سويروس الانطاكى وخاصة تلك التى لا تدخل فى مجال النصوص النثرية غير الليتورجية تحت مجالات الوعظ والشريعة وسير القديسين . ومن معالم

---

(١) السمعانى جـ ٢ ص ٩٥ ، ٣٣٧ ، ابن العبرى فى التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٢٩٧ ، وفى مقتطفات ليبشجن ص ٤٦ ، ١٢٣ . أما ديونيسوس التلمحرى فيسجل وفاته فى عام ٧٢٩ وهو فى ذلك مخطىء . انظر رايت ص ١٦١

(٢) ترجمها Budge إلى الانجليزية وطبعها تحت عنوان « قصة الاسكندر الأكبر » كمبردج ١٨٨٩

(٣) نبذة عن قصة الاسكندر (فى رسالة للمجمع القيصرى العلمى) فيينا ١٨٩٠ ص ١١ وما بعدها . انظر رايت ص ١٣٩ ، ١٤٠

النصوص الليتورجية النثرية كثير من كيغ صلوات الشكر التى حفزت إلى مزيد من ترجمات نصوص من هذا النوع عن اليونانية . كما أخذت طريقها إلى اللغة السريانية حتى قبل بداية القرن التاسع طائفة متميزة من النصوص الشعرية المتعلقة بما يعرف باسم الشريعة اليونانية . وقد استقرت هذه النصوص فى الأدب الليتورجى اليعقوبى(١) .

النساطرة :

تميزت حياة الأدب النسطورى ابتداء من حوالى منتصف القرن السابع حتى حوالى نهاية القرن العاشر بالثراء العريض والارتباط بالأرض . وقد تميز بتأثير إيرانى متصل . ودم عربى كان نافذ التأثير فى بعض الأحيان . وقد أمكن هنا تجاوز موجة جديدة من موجات التأثير اليونانى التى كانت تستهدف مراجعة عقائدية فى المجال اللاهوتى فى اتجاه المدرسة الاسكندرية . ويلاحظ أن حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية ذات طابع علمى ، والتى حفز إليها الاحتياجات الثقافية للعالم الإسلامى فى القرنين الثامن والتاسع . هذه الحركة لم تتجاوز فئة العلماء الذين شاركوا فيها ومن ثم لم تكن ذات تأثير داخلى يذكر على التطور الأدبى السريانى العام ، وهكذا ينتمى تراث أفراهاط وأفريم ونثر فيلوكسينوس وشعر يعقوب السروجى إلى هذا النوع من الأدب الكنسى النسطورى الذى يعبر أصدق تعبير عن الطابع الشرقى السامى(٢) .

وإليك أهم النساطرة فى القرن السابع :

هم عديدون خلال هذا القرن وقد قام الكثيرون منهم بإكمال مؤلفات سابقيهم

---

(١) بومشتارك ص ٢٦١

(٢) بومشتارك ص ١٩٤ ، ١٩٥

ونشر سير القديسين وكتائسهم . والتاريخ الكنسى ورسائل التصوف وعلى رأس القائمة نذكر :

بابى الأرشمندريت(١) :

ويطلق عليه باى الأكبر للتفرقة بينه وبين بابى المتأخر ابن النصيبى من قرية بيت عَيْنَاثَا أو بَاعَيْنَاثَا فى بيت زَبْدَى. خلف مارد إيشوع كرئيس للدير الكبير على جبل إزلا . حكم بابى الكنيسة النسطورية بحزم ومهارة فى عصر الاضطهاد الذى تبع موت الجاثليق أغريغوريوس الكشكرى فى سنة ٦٠٧ م . وقد وكل إليه أساقفة نصيبين وحذيب وكرخ وبيت سلوق واجبات الإشراف على الأديرة مع الأمور المستعجلة(٢) فقام بهذه الوظيفة خير قيام .

وكان بابى مكثراً فى التأليف فليس أقل من ثلاثة وثمانين أو أربعة وثمانين عملا نسبت إليه وأهمها كما عدها عبد يشوع فى فهرسه هى :

شرح على جميع نصوص الكتب المقدسة وعن أعياد العذراء مريم والقديس يوحنا وغيرهما ، وسائر الأعياد على مدار السنة ، وعن أسباب الاحتفالات بأحد الزحف وعن الاحتفال بالصليب المقدس ، ورسالة عن اتحاد الطبيعتين فى الرب فى الرد على أصحاب الطبيعة الواحدة (٣) ، واستعراض لرسائل مرقس الراهب(٤) وقوانين للرهبان ، وقوانين للقسس ، ورسائل جدلية إلى يوسف حذايا ، وتاريخ ديودوروس الطرسوسى وأتباعه ، وعن متى السائح ، وابراهام

---

(١) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ٨٨ وما بعدها . رايت ص ١٦٧

(٢) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١٠١ ، التاريخ الكنسى ج ١ ص ٥٧٣

(٣) فهرس الفاتيكان ج ٣ ص ٣٧٢ ، رايت ص ١٦٧

(٤) المتحف البريطانى رقم ١٧٢١٠ ، فهرس رايت ص ٤٨٢

النصيبيني وجبريل القطراني ونبذة عن حياة واستشهاد معاصره جرجس المرتد عن الزرادشتية الذي كان اسمه الوثني ميراجو شناسب ، وقليل من التراتيم الموجودة في المزامير النسطورية(١) .

يشوع يب الثاني (الجدلاني) :

كان القضاء على الدولة الساسانية بواسطة جحافل المسلمين قد تم في عهد يشوع يب ، هذا الذي كان شأنه شأن معاصريه برصوما وكرخا وقرياقوس النصيبيني وسورين وسلوانس الذين يدخلون من الناحية الأدبية في مجال الأدب اللاهوتي المثقف(٢) .

سمي يشوع يب الجدلاني لأنه من بلدة جدالة بالقرب من الموصل . تعلم في مدرسة نصيبين ، وكان أسقفا في مدينة بلد وارتقى إلى كرسي البطريركية سنة ٦٢٨ (٣) بعد وفاة كسرى الثاني . وفي سنة ٦٣٠ أرسلته جوران ابنة كسرى الثاني في سفارة إلى هرقل امبراطور القسطنطينية الذي قابله عند حلب لجمع وإحضار خشبة الصليب التي استولى عليها الفرس حينما استولوا على بيت المقدس سنة ٦١٤ . ولما استولى المسلمون على بابل أظهر يشوع يب نشاطا عظيما للحصول عليها لصالح المسيحيين في مقاطعته . وقد تنبأ بسقوط الملكية الفارسية التي كانت

---

(١) المتحف البريطاني رقم ٧١٥٦ ، ١٧٢١٩ انظر رايت ص ١٦٨

(٢) بومشتارك ص ١٩٥

(٣) السمعاني ج ٢ ص ٤١٦ — ٤١٨ ، مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٥ ، ٤٧٥ ، التاريخ الكنسي ص ١٣ ، هامش ١ ، ١٢٧ هامش ٣ ، مقتطفات بيشجن ص ١٢ ، ١٩ ، ١٠٨ ، ١١١

ضعيفة فى هذا العصر لذلك وضع يشوع يب شروطا بالنيابة عن رعيته مع الحاكم المسلم . ويقال إن ذلك كان بمعاونة الرئيس المسيحى فى نجران ويشوع أسقف ذلك المكان(١) . وجدد عمر بن الخطاب هذه الوثيقة التى تشتمل على شروط الاتفاق(٢) .

وخلف يشوع يب عدة كتابات تتكون من شرح على المزامير بقى لنا منها نسخة فى المتحف البريطانى رقم ١٤٦٧٥ (٣) . كما ترك خطابات وتواريخ وتراتيل ورسائل متنوعة . ولم يبق لنا شىء من كتاباته إلا الشرح السابق وتوفى سنة ٦٤٤ م (٤) .

سهدونا من هلمون : وهى قرية فى بيت نوهادر . تعلم فى نصيبين وأصبح قسيساً تحت رئاسة مار يعقوب مؤسس الدير المشهور فى بيت عابى حيث ألف رسالة فى مجلدين عن حياة الرهبنة إلى جانب قصة عن رئيسه وتأبين له (٥) . ثم أصبح أسقفاً لماحوزا فى بيت جرمى (٦) . وكان سهدونا واحداً من الكهنة

---

(١) السمعانى ج ٢ ص ٤١٨ ، مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٨ ع ١٠ ، تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ١١٥ ويذكر ابن العبرى هنا أنه كان محمداً النبي ولكن الأرجح أنه كان أبا بكر فى سنة ٦٣٢/٣

(٢) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٨ ع ١٠

(٣) فهرس رايت ص ١٣٠ ع ٢٠

(٤) دوفال ص ٢٧١ ، رايت ص ١٦٩ ، بومشتارك ص ١٩٥/٦

(٥) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ٤٥٣ ، ٤٦٢ بومشتارك ص ٢٢١/٢ السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١١٦ ع ١٠

(٦) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١١٦ ع ١٠

النساطرة الذين صاحبوا يشوع يب الثانى فى سفارته إلى هرقل . وفى أثناء توقف يشوع يب فى أفاميا قام هو ويوحنا النسطورى أسقف دمشق وسهدونا وحاولوا هداية قسس الدير اليعقوبى المجاور فكانت النتيجة أن سهدونا نفسه ارتد (١) .

كتب كثيراً فى أعمال الهرطقة ، وتسببت تلك الكتابات فى وقوع فضيحة كبرى فى الشرق كما يلاحظ من الخطابات التى وجد يشوع يب الحديفى من الواجب كتابتها (٢) .

يشوع يب الحديفى : كان ابن ثرى من مسيحى فارس يدعى باسطوهماج من كوفلانا فى حديب الذى كان غالباً ما يزور بيت عابى (٣) . تعلم فى مدرسة نصيبين ثم عين قسيسا للموصل ثم مطرانا لحسازا فى إربل والموصل . تولى البطريركية باسم يشوع يب الثالث أيام موت مار إمه سنة ٦٥٠ الذى عين فيما بين سنتى ٦٤٤ — ٦٤٧ (٤) . والحادث الرئيسى له فى الموصل يظهر فى أنه عرقل

---

(١) يذكر رايت ص ١٧١ هامش ١ أن السمعانى لم يكن لديه أى سند فى القول بأن سهدونا قد ارتد .

انظر السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ١٠٧ ع ١٠١ .

(٢) السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ١١٦ — ١٢٣ ، تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١١٣ فيها يذكر ابن العبرى أن الجاثليق يشوع يب من جداله كان هو نفسه المارق .

(٣) السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ٤٧٢ ، بومشتارك ص ١٩٧ دوفال ص ٣٧١ ، رايت ١٧١/٢

(٤) ويذكر البعض إنه سنة ٤٦٧ — ٦٥٠ . انظر السمعانى جـ ٢ ص ٤٢٠ مجلد ١١٣/٣ ، ٦١٥

اليعاقبة عن بناء كنيسة فى تلك المدينة (١) ؛ على الرغم من أنهم أمدوا بكل السطوة والنفوذ (٢) . ويذكر ابن العبرى (٣) . أنه قدم الرشاوى يمينا وشمالا ليتم له ذلك . وكان يشوع يب هذا من الذين صاحبوا يشوع يب الجدلانى فى سفارته إلى هرقل (٤) . وقد سرق علبة ثمينة جميلة تحتوى على بقايا رفاة الرسل من كنيسة فى أنطاكية وأحضرها إلى دير بيت عابى (٥) . رقى إلى مرتبة الجاثليق فى سنة ٦٤٧ أو ٦٤٨ التى ظل بها حتى سنة ٦٥٧/٨ (٦) .

أسس مدرسة فى دير بيت عابى حيث بنى كنيسة بديعة ، ولكن رئيس الدير قام إيشوع وباقى الرهبان الكسالى لم يعجبهم هذا وفضلوا أن يتركوا الدير ويذهبوا إلى القرية المجاورة حربا فى الصفصافا (٧) . وفى هذا المكان ترك الجاثليق خطته وبنى مدرسة فى قرية والده فى كوفلانا أو (كولبانا) (٨) وبعد ذلك مباشرة شغل بمشكلة أخرى جدية مع سمعان القطرانى مطران ريف

(١) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١١٤/٥

(٢) كانت تكريت دائمة التعصب لليعقوبية ولم يكن بها كنيسة للنساطره . انظر السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١١١ هامش ٤ ، تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ١٥٥ — ١٥٧ ، هوفمان . المختصر ص ١٩٩٠/١

(٣) تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ١٢٧

(٤) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٦ ع ١

(٥) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٦ ع ٢ ، ص ٤٧٥

(٦) ويذكر البعض حتى سنة ٦٦٠ ، انظر السمعانى ج ٢ ص ٤٢٠ ، مجلد ٣ ج ١ ص ١١٣ ، ٦١٥ ، ابن العبرى ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٢١

(٧) هوفمان : المختصر ص ٢٢٣ ، ٢٢٧

(٨) السمعانى مجلد ٣ ج ١ ص ١٢٤ — ١٢٥

أردشير (١) الذى رفض إطاعة هيئة الإكليروس التابعة له . وقد أدى ذلك إلى مراسلات عديدة (٢) .

أعماله : تشتمل على جدل فى الرد على الآراء الهرطقية كتبه ليوحنا مطران بيت لابات (٣) . وله بعض نبذ فى الجدل وطقس جنائزى نسطورى عن الكاثوليك الكلدانيين ، وأناشيد وتراتيل متنوعة . كما ينسب إليه بعض الأشعار أوردها القرداحى فى كتابه (٤) . وتحذير للرهبان ورتب كتاب العبادات (٥) أو كتاب العبادات لأيام الأحد ولأيام الصيام وصيام نينوى (٦) . وألف بعض مراتب العباد — ويوجد منها نسخة بالمتحف البريطانى تحت رقم ٧١٨١ — والغفران والتكريس (٧) . كما كتب مؤلفات ليتورجيه كثيرة وخطابات ، وتاريخا للراهب يشوع سابران المرتد عن الديانة الزرادشتية وهو شهيد المسيحية (٨) وقد بقيت

---

(١) السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ١٢٧ — ١٣٦ ، رايت ١٧٢ — ١٧٤

(٢) أو راشهر فى (معجم ياقوت) انظر نولدكه : تاريخ الفرس والعرب ص ١٩ هامش ٤

(٣) السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ١٢٧ هامش ١ ، ص ١٣٨ ع ١٠ ، نولدكه تاريخ الفرس والعرب ص ٤١ هامش ٢ ، هوفمان : المختصر ص ١٠٤ هامش ٣٥١

(٤) الخزانة ص ١٢٤/٥

(٥) السمعانى مجلد ٣ جـ ١ ص ١٣٩ ، ١٤٤ ع ٢

(٦) بدجر : النساطرة جـ ٢ ص ٢٢

(٧) مثل تكريس المذبح للعشاء الربانى يوجد فى فهرس الفاتيكان جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٦٨

(٨) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٨٥ هامش ٢ ، ص ٦٢٣

رسائل كثيرة فى مجموعة الفاتيكان رقم ١٥٧ (١). ومختارات ممتازة منها ما يستحق النشر (٢). وخطاباته غنية بالتعاليم عن تاريخ عصره نشر معانى بعضها (٣) وأعاد «بدج» طبعها (٤) مع غيرها كما نشرها «شابو» (٥).

ويمثل عهد يشوع يب هذا مرحلة تاريخية أدبية ذات أهمية حاسمة تميزت بحركة تأليف نشيطة كانت حاسمة الأثر على صياغة الليتورجيات النسطورية بأجمعها وقد أثمرت هذه الفترة. كتاب التراتيل وكذلك مجموعة من النصوص القداسية النسطورية. وسرعان ما تعرضت هذه الأعمال للشروح والتعليقات من جانب العالم الواسع الثقافة جبرييل القرطاجى (٦).

عنا نيشوع: من حديث، كان زميلاهو وأخوه يشوع يب ليشوع يب الحديابى فى مدرسة نصيبين وكان هو وأخوه راهبين فى الدير بجبل إزلا. قبض عليه مع جماعة السواح الرهبان. وقد زار أورشليم وصحراء إسقيط فى مصر وتعرف على حياة وطباع رهبانها وبخاصة من قرأ عنهم فى بستان الفردوس لبلاديوس وعند عودته إلى ما بين النهرين دخل دير بيت عابى هو وأخوه حيث وهب نفسه للدراسة مع يشوع يب الثالث، وساعد فى تنظيم كتاب العبادات عن مدار السنة (٧).

---

(١) كتالوج جـ ٣ ص ١٩٩.

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٢ جـ ١ من ص ١٤٠ — ١٤٣.

(٣) المكتبة الشرقية جـ ١ ص ١٢٧ وما يليها.

(٤) طبعها مع غيرها فى طبعة لكتاب (التاريخ الكنسى لتوماس المرجى).

(٥) المجلة الآسيوية يوليو — أغسطس سنة ١٨٩٦ ص ٨٩.

(٦) بومشتارك ص ١٩٥.

(٧) رايت ١٧٥. دوفال ص ٣٧٢/٤، بومشتارك ص ٢٠١.

كتب عنانيشوع مجلداً فى التعاريف والتقاسيم الفلسفية مع شرح واف أهداه لأخيه (٣) وعمل — بطلب من البطريرك جرجس — تنقيحا أو تحريراً جديدا فى مجلدين عن فردوس بلاديوس وأبروتيموس مع إضافات جمعها هو من مصادر أخرى ومن خبرته الشخصية (٤) . وأصبح هو العمل النموذجى فى هذا الموضوع فى الأديرة النسطورية . كذلك ألف كتابا فى الفلسفة ورسائل فى القواميس، كما ألف عن القراءة الصحيحة ونطق الكلمات الصعبة فى كتابات الآباء، وكان فى هذا مقلدا ليعقوب الرهاوى ورهبان دير قرقفتا. كما ألف رسالة عن الأنواع المختلفة للنطق وعن الكلمات المتحدة فى الرسم والمختلفة فى النطق . وقد ضم هذا الكتاب إضافات لحنين بن اسحق الحيرى (المتوفى سنة ٨٧٣ (٥))، وتوجد نسخة أيضا فى كمبردج عن مخطوطة فى المكتب الهندى بلندن .

وقد قامت جهود يشوع يب الثالث فى مجال تأليف الليتورجيات التى عاون فيها عنانيشوع إلى نوع من أدب الرهبان ذى مضمون وعظى . ويمثل دير بيت عابى فى النصف الثانى من القرن السابع أبرز مراكز رعاية هذا النوع من الأدب وإن لم يكن هو المركز الوحيد . ووجدت هذه النزعة الرهبانية الإنعزالية سنداً وتأييدا فى حياة وأقوال الآباء المصريين فظهرت من هذا النوع رسائل كثيرة فى هذا الوقت .

ونشير هنا بوجه خاص إلى واحد من بين الممثلين العاديين لتلك المرحلة

---

(١) هوفمان : المختصر ص ١٨٩ ، ٢٥٣ .

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٩٣، جـ ٣ ص ٤٩ ، ١٤٥ ع ٢٠، ١٥ ع ١ وصورة الكتاب موجود فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٧٢٦٣ ، ١٧٢٦٤ ، كتالوج رايت ص ١٠٧٨ — ١٠٨٠ .

(٣) نشرة هوفمان فى كتابه Opuscula Nestoriana. P. 2ا9

الايرانية هو يوحنا من بيت جرمى (الجرمقانى) الذى بز مواطنه مرجيس ويشوع زخاو مؤسس دير أفنيارن من بيت عابى . والأسلوب الذى ابتدعته هذه الفئة هو عبارة عن تراجم أشخاص . ويمكننا أن نتعرف على هذا الاسلوب فى أحد الاعمال التى وصلت إلينا من تأليف شخص اسمه سمعان (١) .

يوحنا الجرمقانى : أو يوحنا القديم . ويدعى يوحنا الأكبر . كان تلميذاً ليعقوب من بيت عابى وخلفه فى رياسة الدير ، ولكنه ترك الدير وهرب سرا من بيت عابى وذهب فوق جبل بالقرب من داقوقا (٢) فى بيت جرمى ، وأنهى أيامه فى الصومعة التى بناها حزقيال فى هذا المكان (٣) .

وأعماله كما يرويها عبد يشوع (٤) عبارة عن مجموعة الأبحاث والحكم ، وأوامر للرهبان الجدد وتاريخ مختصر ، وتاريخ أبراهام أسقف الدير الكبير على جبل إزلا وعن الراهب بر عدتا وعن مؤسس دير بيت حالى بالقرب من الحديثة عند الموصل مع خطاب وترنيمة عن الاسم الأخير (٥) .

سير يشوع رسطم : كان مواطناً من قرية تدعى جيرم فى حذيب دخل الدير الكبير على جبل إزلا تحت رئاسة رئيس الدير نرسى خاف باباى . وهناك ، بناء على طلب الأساقفة ، كتب فصلا عن حالة الاحتفال بالجمع الذهبية ، وكتب

---

(٤) بومشتارك ص ٢٠١ — ٢٠٣ . أنظر دوڤال ص ١٥٦ ، ٢٥٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١) هوفمان : المختصر ص ٣٧٣ .

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٤٧٤ .

(٣) فى المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٤) رايت ص ١٧٧ ، دوڤال ص ٣٧٣ ، بومشتارك ٤/٢٠٣ .

مجلدا ضخما عن الجدل ضد الكفرة ، وأسئلة دينية أخرى ، ثم ارتحل الى بيت عابى . ولم يمكث هناك إلا قليلا بعدها ذهب إلى بيت قوقا رئيساً له بناء على دعوة من رهبانه (١) . وألف هناك ثمانى مؤلفات عن نامس الرب، وأثر الرسل فى هداية بعض المدن ، وعن حياة الزهد والتقشف . كما كتب عن حياة يشوع زكى من دير حصنا بناء على طلب مار قرداج السنقل يشوع يب الثالث . كذلك كتب عن يشوع يب الثالث وعن إبراهيم رئيس بيت دير عابى (٢) وعن فام. إيشوع رئيس بيت عابى (المتوفى سنة ٦٥٢) وعن إبراهيم نثبار ، وعن ربن أيوب الفارسى ، وعن سبر يشوع الكبير مؤسس دير بيت قوقا (٣) . كما كتب عن حياة الأخوة يوسف وإبراهام (٤) .

جرجس : تلميذ وخليفة يشوع يب الثالث . ولد الأبوين غنيين من كفرا فى بيت جرمى . وكانا يملكان مزرعتين فى المقاطعة المجاورة لبيت عابى . دخل كقسيس فى دير بيت عابى ورسمه يشوع يب الثالث مطرانا لحذيب (٥) بدلا منه . وبعد وفاة صديقه خلفه على كرسى البطريركية سنة ٦٦١ م وبقى حتى سنة ٦٨٠ م .

ليست له أهمية تذكر فى تاريخ الأدب فقد كتب تراتيل قليلة وترانيم

---

(١) هوفمان : المختصر ص ٢٩٥ .

(٢) المكتبة الشرقية مجلد جـ ١ ص ٤٦٨ ع ١٠ .

(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤١٨ ع ٢٠ .

(٤) المرجع السابق مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٢٨ ع ١٠ ، رايت ص ١٧٧/٨ .

(٥) رايت ص ١٧٨/٩ ، دوفال ٣٧٣ بومشتارك ٢٠٨/٩ ، توما المرجى تاريخ الأديرة مجلد ٢ فصل ١٢ .

وصلوات لبعض المناسبات ونشر تسعة عشر قانونا كنسيا(١) والبارز فى كتاباته هو رسالة فى العقيدة موجودة فى مجلد الفاتيكان ٤٥٧ ص ٣٦٠.

جرجس النصيبينى : كان معاصرا لجرجس السابق ذكره . عينه البطريرك يشوع يب مطرانا لبصرى وألف ترنيمة لتكريس الكنيسة (٢).

إلياس أسقف مرو : شارك فى انتخاب البطريرك جرجس (٣) وحضر وفاة يشوع يب الثالث ألف «كتابا عن الاوائل» على الأناجيل الأربعة وكتب شروحا للتكوين والمزامير والأمثال وسفر الجامعة ونشيد الأنشاد وإشعيا والأنبياء ورسائل بولس الرسول . وقد ضاع تاريخه الكنسى وخطاباته كما فقدت له أعمال أخرى (٤).

دانيال بن مريم : ازدهر فى عهد يشوع يب الثالث من حذيب حوالى سنة ٦٥٠ م كتب تاريخا كنسيا فى أربعة مجلدات وشرحا للتقويم . وفى القرن العاشر اقتبس جرجس الإربلى هذا التاريخ(٥).

جبرييل الملقب بالتوريثى : من مقاطعة Siarzur أو Shahazur (٦)

---

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٥٣.

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٤٥٦ ، دوفال ص ٣٧٣.

(٣) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٢٠

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٤٨ ، بومشتارك ص ٢٠٨ ، رايت ص ١٧٩ ، دوفال ص ٨٣ ، ٢١٤ ، ٣٧٣.

(٥) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٢٤٠ . مجلد ٣ ج ١ ٢٣١ ، ٥٢١ ، رايت ص ١٨٠.

(٦) هوفمان المختصر ص ٤٣ ملحوظة رقم ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ص ٢٥٤ وما بعدها.

درس فى نصيبين ثم دخل الدير الكبير على جبل إزلا حيث شارك فى محاولة مع الرهبـــان من أصحاب الطبيعة الواحدة فى دير قرتمين بالقرب من ماردين ، ثم ارتحل إلى بيت عابى حيث كتب حياة مارنرسى رئيس الدير وبيان لشهداء جبل ببرين ، كما كتب ترتيلة عن غسل الأرجل . وأصبح رئيسا لدير بيت عابى فى عهد الجاثليق حنا نيشوع الأول .

- حنا نيشوع الأول(١) : يسمى بالأكبر أو الأعرج . انتخب بطريركا سنة ٦٨٦ م وعاش حتى سنة ٧٠١ م (٢) عارضه يشوع يب البصرى فوضعه فى السجن ثم أطلق سراحه لإذعانه . وكان يوحنا من داسن — المعروف باسم الأبرص وكان أسقفا على نصيبين — منافساً خطراً إذا تملق الخليفة عبد الملك بن مروان لحصل على مركز حنا نيشوع ، وشغل مكانه حوالى السنتين . أما حنان فقد أقالوه وألقوا به فى السجن حيث اقتيد إلى الجبل والقى فى حفرة حيث أوشك على الهلاك ولكنه أنقذ بفضل الرعاة الذين اعتنوا به ، ومنذ ذلك الوقت أصبح أعرجاً ، ثم انعزل فى دير يونان بالقرب من الموصل(٣) وظل هناك حتى وفاة خصمه ، ثم استولى على الكرسى البابوى واستمر بدير الكنيسة النسطورية حتى.

---

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٤٥٦ — ٤٥٨ ، فهرس رايت ص ١١٣٣ ، هوفمان : المختصر من ص ٩ — ١٦ . بومشتارك ص ٢٢٢

(٢) ابن العبرى التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٣٥ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٢٣ ، بومشتارك ص ٢٠٩ رايت ص ١٨١ ، دوفال ص ٣٧٣/٤ ، تاريخ يشجن ص ٣٨ ، ١٢٠

(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٢٤ هامش ٣

سنة ٧٠١ م(١) . ودفن هناك فى دير يونان . ويقال إن قبره فتح بعد وفاته بستمائة وخمسين سنة ووجدت جثته غير متآكلة وكأنه نائم .

وأما أعماله فتحتوى على تراتيل ومواعظ وخطابات . وقد كتب سيرة سرجيوس معاصره من دوقاره بالقرب من كشكر ، وكتب رسالة عن وجهى استعمال المدرسة أو الجامعة كمكان لتعليم الأخلاق والدير والآداب وكتب شرحاً على الأنالوطيقا لأرسطو(٢) .

وينتمى إلى هذا القرن اثنان من مؤرخى الكنيسة ذكرهم الياس بن شينايا أولهما هو الأهازخا وقد ذكره إلياس بمناسبة الأحداث التى وقعت فيما بين ٥٩٤ — ٥٩٦ ، ٦٠٦(٣) . وربما يتشابه مع ألاها زخا الذى كتب إليه يشوع يب الثالث خطابا حينما كان أسقفا وخاصة فى الجزء المبكر من هذا القرن(٤) . والثانى هو ميخا الذى جعله إلياس حجة للسنوات ٥٩٤ — ٥٩٦ ، ٦٠٦ .

نلاحظ مما سبق ازدهاراً جديداً للمؤلفات النسطورية ذات الطابع التاريخى الكنسى العام وذات الاهتمام الفقهى إلى جانب الطابع التاريخى الدينى فى منتصف القرن السابع . هذا مع عدم اهمال بعض المجالات الأخرى مثل تفسير النصوص

---

(١) يذكر الياس بين شينايا فى بيثجن ص ٣٨ ، ١٢٠ أنه توفى سنة ٧٠١ ويؤكد البعض الآخر أنها سنة ٦٩٩ م . انظر رايت ص ١٨١

(٢) ابن العبرى . التاريخ الكنسى ج ٢ ص ١٣٣ وما بعدها ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٢٢ ، مجلد ٣ ج ١ ص ٦١٥ ، ١٥٤ ، رايت . الأدب السريانى ص ١٨١

(٢) ابن العبرى ، تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ١٠٦ هامش ٣ ، ١٠٧ هامش ٣

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٤١ ملحوظة ٢٥

الدينية أو التأمل الديني أو الفلسفة والطب . وقد كان من أنصار هذا الطابع إلى جانب يشوع يب الثالث وعدوه سمعان بن روردشهر طائفة نذكر منها على سبيل المثال إلياس أسقف مرو ودانيال بن مريم وميخا من بيت جرمى باعتبارهم أبرز ممثلى هذا الاتجاه الجديد فى الأدب المثقف . هذا وقد قام حنا نيشوع الأول أكثر من خليفته المباشر جورجيس الأول برعاية الجهد الأدبى الضخم برزت فيه جهود ثلاثة من معاصريه هم سمعان الطيب ويوحنان أزرق ويوحنان بن بشكاجى. وربما أمكننا أن ندرج تحت هذه الفئة ابراهام من بيت حالى الذى كان أحد المفكرين المناوئين للاسلام .

القرن الثامن

اتسم هذا القرن بازدهار شاحب عند الغربيين من السريان ، وهو يطلق بدء تدهور الأدب السرياني ، ويكاد يعتقد أن هناك ستاراً حجب العقول أثناء الثلاثة أرباع الاولى من القرن الثامن .

الكتاب اليعاقبة

لعازر من بيت قنداس : كان يعيش حوالى سنة ٧٧٥ م(١) ، ولم يعرف إلا عن طريق تلميذه جرجس من بيت نيقية كجامع للشرح ومؤلف التعليق على العهد الجديد(٢) . وله مجلدان فى المتحف البريطانى أحدهما تحت رقم ١٤٦٨٢ يحتوى على إنجيلى مرقص ويوحنا والثانى تحت رقم ١٤٦٨٣ ويشتمل على رسائل بولس من أهل غلاطية إلى العبرانيين(٣) . والشرح على الرسائل هو اختصار لما وضعه الذهبى الفم . أما عن الجزء الخاص بالأناجيل فقد استخدم فى كتابه أعمال

---

(١) رايت ص ١٦٢ (ارجع إلى القائمة التاريخية فى نهاية الجزء الثالث من رسائل بولين التى تنتهى فى هذه السنة إلى الخليفة المهدى) .

(٢) المتحف البريطانى رقم ١٨٢٩٥ ص ٧٨

(٣) فهرس رايت ص ٦٠٨ — ٦١٢ ، بومشتارك ص ٢٧١

يعقوب السروجى وأحيانا أعمال تيودوروس المغزوستى وكيرلس الإسكندرى وافرايم وفى نهاية رسائل بولس يوجد ما يشير إلى ارتقاء المهدى الخليفة العباسى فى سنة ٧٧٥ م الخلافة وربما تحدد تاريخ الكتاب . كما يوجد للعازر شرح عن فقرة من الكتاب المنسوب لديونيسيوس الأريوباغى(١) .

وكان معاصراً للعازر دانيال بن موسى اليعقوبى الذى ذكره إلياس النصيبنى كمؤلف للتاريخ ، وروى عنه كحجة إلياس بن شينايا فى السنوات ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣١ للهجرة أى من سنة ٧٤٠ — ٧٤٩ م(٢) .

توفيل بن توما الرهاوى : تمتع بشهرة منقطعة النظير عند السريان الغربيين لهذا العصر . وهو فلكى مرموق ، وكان موضع تقدير لدى الخليفة المهدى ، ولابن العبرى قصة عن مراسلاته مع حسنة عظيمة الخليفة ، وكان ينتمى إلى المذهب المارونى فى العقيدة الدينية ، وعكف على دراسة علم التنجيم ، ويرجع تاريخ وفاته إلى عام ٧٨٥ م .

ضاعت كل مؤلفاته التى كانت تحتوى على تاريخ وترجمة سريانية للإلياذة والأوديسة ، وينسب إليه اختراع أشارات الصوائت المستخدمة عند اليعاقبة ، ويذكر البعض أنه ليس بمؤلفها بل أقر بعض التفاصيل عن الطريقة ، وساعد على إخراجها إلى حيز الاستعمال(٣) .

---

(١) فهرس رايت ص ١١٨٤ ، مخطوط المتحف البريطانى رقم ١٨٢٩٥ ، دوفال ص ٣٨٣/٤

(٢) التاريخ الكنسى ج ٢ ص١٥٢ ملحوظة ٢ ، دوفال ص ٢١٣ ، ٣٨٤ ، رايت ١٦٢

(٣) المكتبة الشرقية ج ١ ص ٦٤ ، دوفال ص ٢١٤ ، ٢٩٢ ، ٣٢٥ ، ٣٨٤ ، رايت ١٦٣/٤

من رجال اللاهوت العلماء أو المتعلمين الذين ساهموا بحظ وافر فى الحياة الادبية جيورجيس (جرجس) من بعلتـان وقرياقوس الذى أشرف على عتبة القرن التاسع . وقد برز الاول ربما بتعاونه مع لعازر البيت قنداس بنشاط أدبى جم فى ميدان تفسير الكتاب المقدس (١) .

جرجس من بعلتان وهى قرية بالقرب من حمص . درس فى قنسرين وأصبح سنقلا لتيودوروس أسقف سميساط . وبعد موت أثناسيوس الثـالث أقيم بجمع رؤساء الطائفة الدينية فى منبج عام ٧٥٨ م فاختارته غالبية الحاضرين ورفعته من رتبة شماس إلى كرسى بطريركية انطاكية ، والاقلية المعارضة اختارت من جانبها البطريرك المضاد وهو يوحنا من قالينيقوس (الرقة) فأثار ذلك الخليفة المنصور لجلده وزج به فى السجن حيث ظل به تسع سنوات حتى أخلى سبيله ابنه وخليفته المهدى ، ثم أخذ مريضا أثناء إحدى رحلاته البطريركية إلى أقصى شمال ما بين النهرين ، ومات فى دير برصوما بالقرب من ملطية سنة ٧٨٩/٩٠ م(٢) وفى أثناء سجنه ألف جرجس مواعظ وتراتيل منغمة . وكان مؤلفا لشرح على إنجيل متى والنسخة الوحيدة . وإن كانت ناقصة — فقد وصفها السمعانى فى فهرست الفاتيكان (٣) .

قرياقوس : من عائلة تكريتية (٤) . راهب من دير بزونا بالقرب من

---

(١) بومشتارك ص ٢٦٨

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٤٠ ، التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣١٩ وما بعدها ، جـ ٢ ص ١٧٥

(٣) دوڤال ص ٧٨ ، ٣٨٤ . بومشتارك ص ٢٦٩/٧ ، رايت ١٦٥

(٤) بومشتارك ص ٢٧ ، رايت ص١٦٥/٦ ، دوڤال ص٣٨٤/٥ ، التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٤٢

الرقة ، رسم بطريركا اليعاقبة سنة ٧٩٣ م وتوفى فى الموصل سنة ٨١٧ م بعد أن قضى حياة كلها أسى وهموم(١) . وفى مقالة حاول التأثير على اجتماع عقده أتباع يوليانوس الذى كان جبريل بطريركا لهم ، وقد حفظت فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٧١٤٥ ورقة ٢٧ ب . كما ألف نافورا وقوانين كنسية (٢) ، وكتب رسالة دينية عن التثليث والتجسد أرسلها إلى مرقس بطريرك الاسكندرية ولا توجد إلا فى العربية (٣) . ووضع قوانين من أجل تطوير الليتورجية ثم حفظها فى المخطوطات س ١٨٢(٤) ، وترنيمة عن حكمة تكعيبة العنب(٥) .

النساطرة : تميز هذا القرن من ناحية بمواصلة النشاط الجم الذى شهده الأدب النسطورى فى النصف الثانى من القرن السابع . كما تميز من ناحية أخرى باستكمال وتدعيم مؤلفات يشوع يب الثالث فى مجال التراتيل ، وكان من بين من تفوقوا فى هذا الاتجاه الأخير صليبا زخا الذى كان مجدداً للموسيقى الكنسية النسطورية . ولم يكن ذا إنتاج أدبى بارز ، وكذلك بابى من جبيلتا اللذين وضعا نصوص التراتيل الجديدة ، وتم نفس الشىء من جانب مطارنة الكنيسة الذين لا يقع إنتاجهم الأدبى تحت حصر .

---

(١) التاريخ الكنسى ص ٣٢٩ وما بعدها ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١١٦ ، ٣٤١ — ٣٤٤ أنظر التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٣٥

(٢) فهرس رايت ص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ص ٢٢٢ ع ٢٠ ، فهرس زوتنبرج ص ٢٨ رقم ٥٤

(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١١٧

(٤) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٣١

(٥) فهرس رايت ص ٨٨٧

داود بن بولس : كان قسيسا فى دير بيت ربن أو زكى يشوع ، ثم فى دير بيت عابى ، ثم عين مطرانا الأكراد بعد ذلك (١) . وكان هناك - فيما يبدو - نوع من اللبس بينه وبين داود بن بولس الذى كان يعيش فى القرن الثالث عشر (٢)

ألف تاريخا دينيا يسمى الجنة الصغيرة أشار إليه توما المرجى (٣) والفصل الأول منه يحتوى على قصص تنسب إلى جرجس نشرايا وناثانييل وغيرهم من رهبان بيت عابى الذين عاشوا تحت رئاسة حنا نيشوع الأول فى أواخر القرن السابع الميلادى (٤) . وكتب بحثا فى الجغرافيا (٥) . والأشعار التى يشير إليها السمعانى (٦) لا شك أنها ترجع إلى تاريخ متأخر نشر القرداحى الجزء الأول منها . وقد كتب داود اثنين وعشرين منها عن محبة الحكمة (٧) . ويذكر القرداحى أنه توفى سنة ٨٠٠ م .

بابى النصيبينى : سمى كذلك لأن أبويه كانا من نصيبين ، وكان هو من

---

(١) تاريخ الرهبان لتوما المرجى ج ٢ فصل ٢٤

(٢) دوفال ص ٢٨٠

(٣) انظر دوفال ص ١٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، رايت ص ١٨٢ ، بومشتارك ص ٢٠٥

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢١٧ ع ٢٠ ، ص ٢١٨ ع ١٠ ، ص ٤٩ هامش ١ ، ص ١٨٤ ع ١٠

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٥٥ . والبحث عن حدود المناخ أو المدن ، واختلاف الليل والنهار .

(٦) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٥٥

(٧) نشرها الأسقف إلياس يوحنا ميلوس سنة ١٨٦٨

جبيلتا فى طرهان (١) . وصفه توما المرجى بأنه رجل طويل وقوى وذو صوت جميل ، لطيف وبسيط ومتعلم كذلك . كرس جهده من أجل تطوير الموسيقى فى الكنيسة النسطورية وأسس فى سبيل تدريس طريقته الجديدة عدة مدارس فى الأسقفيات التى فى حذيب ومرجا وأهمها كان فى كفر عزّيـل (٢) فى حذيب وبشوش فى مقاطعة صفصافا فى مرجا (٣) . وقد اتخذه مسكنا له وكان يزور ويشرف على الآخرين مرة فى السنة . وفى أواخر أعوامه ذهب ليقضى بقية أيامه فى جبيلتا فى أسقفية طرهان حيث ولد ومات هناك . ازدهر تحت رئاسة الكاثوليكى صليبا زخا (٧١٣ — ٧٢٩) خليفة حنانيشوع (٤) .

كتب خلاف تاريخ الرهبان عظات وتراتيل وترانيم ورسائل ويوجد البعض من هذه الترانيم فى مكتبات لندن وباريس وميونخ (٥) .

برسهدا : من قرية كرخ بيت سلوق ، عاش كما يذكر السمعانى (٦) تحت رئاسة الجاثليق بثيون (٧٣١ — ٧٤٠ م) . ويذكر عبد يشوع أنه كتب تاريخا

---

(١) هوفمان المختصر ص ١٨١

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) هوفمان ص ٢٢٣

(٤) كما يذكر إلياس بن شينايا فى بيثجن ، مقتطفات ص ٤٢ ، ٤٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، السمعانى المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٣٠ .

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ١٩٦ هامش ٤ ، ص ١١٧ — ١٨١ رايت ص ١٨٤/٥ ، دوفال ص ٣٨٠ ، ٢٢٣ ، كتالوج رايت هى ١٣١ ع ١٠ أبو مشتارك ص ٢١٢/٣

(٦) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٣٠ ، بيثجن مقتطفات ص ٤٩ ، ١٢٥

كنسياً اقتبسه إلياس بن شيناياا(١)، كما كتب رسالة ضد الديانة الزرادشتية(٢).

فى هذا القرن وجدت المؤلفات الصوفية ممثلا بارزاً لها فى شخص أبراهام برداشنداد الذى لم يتمكن أحد فى ذلك الوقت من توجيه أى لوم إليه على ميوله الهرطقية ضد الكنيسة وذلك بسبب ما كان يتمتع به من نفوذ بالغ(٣).

ابراهام برداشنداد: كان ضعيف البنية وأطلق عليه اسم الأعراج، ومنذ طفولته تنبأ له بابى النصيبينى بمستقبل زاهر (٤). ويذكره بربهلول فى مقدمة معجمه على أنه أحد ممثلى النساطرة. كان مدرساً فى مدرسة بشوش فى صفصافا التى أتم تأسيسها بابى والتى فيها نال دراسته الأولى. وهناك قام بالتدريس للجاثليق تيموتاوس الأول ويشوع بن نون وأبى نوح الأنبارى (٥).

ألف كتاباً فى الوعظ، وتراتيل عن التوبة، ورسائل، وكتاب سلوك الملوك، ومجادلة مع اليهود، وتعليق على محاضرات مرقس الراهب (٦).

مار أبا الثانى بن بريخ صفيانه: من كشكر ويذكره البعض على أنه من ذوقارة بالقرب من كشكر (٧). وأصبح أسقفاً لتلك المدينة. انتخب بطريركا

---

(١) التاريخ الكنسى ج ٢ ص ٦٥ هامش ١

(٢) رايت ص ١٨٥، دوفال ص ٢١٣، ٢٣٨، ٣٨١

(٣) بومشتارك ص ٢١٢

(٤) توما المرجى . تاريخ الرهبان ج ٣ فصل ٣

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ص ١٩٦ هامش ٤، رايت ص ١٨٦، دوفال ص ٣٨١ . بومشتارك ص ٢١٤

(٦) فهرس رايت ص ٤٨٢

(٧) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٣١ . بومشتارك ص ٢١٤/٥

النساطرة عام ٧٤١ م . (١) قابلته في البداية بعض المتاعب مع الأمير يوسف بن عمر الثقفي ولكنها انتهت بزيارة إلى الكوفة التي ذهب منها إلى الحيرة حيث استقبل استقبالا حافلا من الأسقف المسن يوحنا الأزرق الذي اختصر اسمه إلى أبا ليفرق بينه وبين سلفه مار أبا الأول .

وفي السنة السادسة من بطركيته دخل في نقاش مع قسيسه حول إدارة المدرسة ...وق . ثم ذهب إلى كشكر ولكنه رجع إلى سلوق قبل وفاته حيث استقر هناك . ويذكره ابن العبري (٢) على أنه عالم في الأعمال الكنسية ، وعلوم الكلام ، وله تعليق على أعمال اغريغوريوس النزيانزي ، ونسب إليه عبد يشوع شروحاً ورسائل على كل منطق أرسطو (٣) ، كما نسب إليه أيضا كتاب القواعد أو الحكام المسكريين . وقد نشر شابو إحدى رسائله في أعمال مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٧ القسم السامي ص ٢٩٥ وما بعدها (٤) .

سمعان بن الطباخين : من كشكر ، كان ضابط الخزانة الأول تحت رئاسة الخليفة المنصور (٥) . وفي نفس الوقت كان زميله في الدين جرجس ابن

---

(١) بيتجن مقتطفات ص ٥٠ ، ١٢٥ ، التاريخ الكنسي ج ٢ ص ١٥٣ ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٣١ مجلد ٣ ج ١ ص ٥٧

(٢) التاريخ الكنسي ج ٢ ص ١٥٣ للآخر . أنظر المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٥٧ ع ٢٠

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٥٧ ع ٢٠

(٤) رايت ص ١٨٧ دوفال ص ٢٦٠ ، ٣٨٠

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٠٦ ع ١٠

بختيشوع — من جند يسابور أو بيت لاباط فى خوزستان - طبيباً للبلاط (١)
ومؤلفه الوحيد الذى ذكره عبد يشوع هو تاريخ كنسى يشتمل على كثير من
المعلومات (٢) .

سورين : كان أسقفاً لنصيبين ثم أسقفاً لحلوان فى بيت ماذاى (٣) ،
انتخب بطريركا عام ٧٥٤ م بأمر من الأمير العربى فى المدائن ثم ألغى الانتخاب
واحتير يعقوب أسقف جند يسابور مكانه وأحيل هو إلى المعاش من قبل الخليفة
عبد الله السفاح ، ثم أرسل إلى بصرى بصفته بطرانا ولكن سكان البلدة طردوه
وأنهى أيامه فى السجن (٤) . لقبه عبد يشوع ميفا شقانا أى شارحا الكتب
المقدسة أو مترجما لأعمال يونانية إلى السريانية . ألف رسالة ضد الهراطقة كما
قام بترجمة عربية لجزء من كتاب العناصر المنسوب لأرسطو (٥) .

كبريان : عين أسقفا على نصيبين سنة ٧٤١ (٦) . أنشأ أول كنيسة نسطورية
على دجلة مقر المطرانية اليعقوبية للشرق مقابل إستعادة اليعاقبة الملكية كنيسة مار

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٥ ع ٢٠ هامش ٤ ، مقتطفات ليشجن ص ٥٩
١٢٩ ، ٦٠

(٢) رايت ص ١٨٨

(٣) هوفمان المختصر ص ١٢٠

(٤) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٣١ ، مجلد ٣ ج ١ ص ١٦٨ ، ٢٠٥-٢٠٦

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٦٩ ، نولدكه . تاريخ الفرس والعرب
ص ٤٣٨ هامش ٤ ، بومشتارك ص ١٩٦/٨ دوفال ٣٨٢ ، رايت ص ١٨٨/٩

(٦) التاريخ الكنسى ج ٢ ص ٥٤ هامش ١ ، يشجن . مقتطفات ص ٥٠
١٢٥

دومينوس فى نصيبين . بدأ بناء الكنيسة فى تكريت سنه ٧٦٧ (١) . كما أنشأ كنيسة رائعة فى نصيبين صرف عليها حوالى ٥٦٠٠٠ دينار فى سنة ٧٥٨/٩ وتوفى كبريان سنة ٧٦٧ (٢) كتب شرحا على التراتيل اللاهوتية لأغريغوريوس النزيانزى وبحثا عن الرسامة (٣) .

أبو نوح الأنبارى : كان سكرتيراً للحاكم المسلم للموصل وكان يعيش فى عصر البطريرك تيموتاوس الأول الذى تحدث عنه باحترام فى رسائله الدورية من ٧٩٠ — ٨٠٥ (٤) . ألف كتاباً نقد فيه القرآن كما نقد أيضا الهراطقة وحياة يوحنا الديلمى (٥) .

تيموتاوس الأول : كان من بلدة حزا فى حذيب وكان تلميذا لإبراهام برداشنداد (٦) فى مدرسة باشوش فى صفصبافا . أصبح أسقفا لبيت باغش وكان ذا صلة حسنة بحاكم المسلمين فى الموصل أبى موسى بن مصعب وسكرتيره المسيحى أبى نوح الانبارى . أنتخب بطريركا سنة ٨٧٩ م . بعد الكثير من الدسائس فأثار

---

(١) التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٥٥ — ١٥٧ . بيشجن . مقتطفات ص ٥٧ ، ١٢٨

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ ، ١٢٩

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ١٠١ — ١١٣ ، رايت ص ١٨٩/٩٠ دوفال ص ٣٨٢

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٨٢ ، ١٦٤ .

(٥) المرجع السابق مجلد ٣ جـ ١ ص ٨٢ ، ١٦٤ . دوفال ص ٣٨٢ . بومشتارك ص ٢١٨

(٦) رايت ص ١٨٦ ، ١٩١/٢٠ ، دوفال ص ٣٨٣ ، المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢١٢ هامش ٢ ، ١٥٩ ع ١٠

بذلك اعتراضات جامحة من جانب كثير من المطارنة ، ولكنه لم يتول منصبه إلا فى شهر مايو سنة ٧٨٠ وجعل أساقفة الفرس يخضعون لأبرشية سلوق ورسم عليهم سمعان مطرانا وتوفى فى ٩ يناير سنة ٨٢٣ (١) .

كتب رسائل مجمعية ومجلداً عن أسئلة فى القانون الكنسى وآخر عن أسئلة فى مواضيع مختلفة ، وثالث يحتوى على جدل مع هرطقة حوالى مابقى رسالة عن البطريرك اليعقوبى جرجس فى جزئين ، وله مجادلة مع الخليفة المهدى أو خليفته الهادى عن أمور الدين ، ومؤلف فلكى عن النجوم ، وله ترانيم من أجل أعياد ربانية على مدار السنة ، وشرح فى الفلك ، وشرح عن التاولوجوس أى أعمال إغريغوريوس النزيانزى (٢) .

يتميز عصر تيموتاوس هذا بأهمية خاصة من الناحية الكنسية حيث تم فيها التغلب الرسمى الكامل على تيار الأدب الصوفى للقوى الذى كان قائما : وهذا التيار هو الذى كان يمثل استمرار الروح التى زرعها حنانا على امارض النسطورية والتى كانت تمثل تهديداً للمعتقدات النسطورية القديمة .

ونستطيع أن ننسب إلى هذا القرن بعض المؤرخين الذين وضعهم إلياس ابن شينايا فى تاريخه ، والذين لم تعرف أسماؤهم أو مؤلفاتهم إلا عن طريق راو متأخر . ومنهم كاتب مجهول كان رئيسا للدير الكبير على جبل إزلا وقد ذكره

---

(١) هوفمان . المختصر ص ٢٢٧ وما بعدها . المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٣٤ ، مجلد ٣ جـ ١ ص ١٦٠ بومشتارك ص ٢١٧/٨

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ١٦٢/٣ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٧٩

إلياس فى سنة ٧٤٠/١ م (١) . ومؤرخ كنسى يدعى بثيون (٢) ، ومؤرخ آخر ذكره السمعانى فى المكتبة الشرقيه (٣) تحت إسم يشوع دنح أسقف قصرا (٤) . وألف هذا الأخير التراتيل العاديه والرسائل المنظومة مقدمة للمنطق ووضع كتاباً تحت عنوان كتاب « العفه » جمع فيه حياه ومجموعات الرجال المقدسين ومؤسسى الاديرة كما وضع تاريخا كنسيا فى ثلاثه مجلدات (٥) ولم يعرف هذا العمل إلا عن طريق اقتباسات قليله فى ابن العبرى وإلياس بن شينايا .

---

(١) بيشجن . مقتطفات ص ٢ رقم ٣ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٥٢ هامش ٢ ، ١٥٤ هامش ١

(٢) أنظر رايت ص ١٩٥

(٣) مجلد ٣ جـ ١ ص ١٩٥

(٤) انظر رايت ص ١٩٥

(٥) المكتبه الشرقيه مجلد ٣ جـ ١ ص ١٩٥

القرن التاسع

شهد النصف الأول من القرن التاسع ازدهاراً كبيراً للأدب الكنسي السرياني اليعقوبي المذهب ، فنجد في تلك الفترة — من ناحية — المؤلف التاريخي الكبير الذى وضعه الأب ديونيسيوس التلمحري ، وإن كان ما يؤسف له أننا لم نلمس عظمته إلا عن طريق غير مباشر فقط، بينما نجد — من ناحية أخرى — أنه تجمعت حول الأب ديونسيوس مجموعة من كبار الكتاب الذين تفوقوا في النثر اللاهوتي بشكل خاص ، وإن لم يقتصر عملهم عليه وحده .

اليعاقبة :

ديونيسيوس التلمحري : يعتبر ديونيسيوس الرائد الأول لسلسلة الكتاب اليعاقبة في هذا العصر . وهو من قرية تلمحرى التى تقع بين الرقة وحصن مسلمة بالقرب من نهر بليخ أحد روافد نهر الفرات ، وهو لا يبعد كثيراً عن قالينيوس (الرقة) ثم تلقى تعاليمه فى دير قنسرين (١) الذى كان يقع بالقرب من هذه المنطقة . وعلى إثر الحريق التى هدمت الدير فى عام ٨١٥م(٢) تشتت الرهبان

---

(١) التاريخ الكنسي جـ ١ ص ٣٤٧ — ٣٤٩ ، رايت ص ١٩٦ ، دوفال ص ٣٨٧ .

(٢) المكتبة الشرقية جـ٢ ص٣٤٥ ع١٠ ، التاريخ الكنسى جـ١ ص٣٥٥ .

هو إلى دير مار يعقوب فى قيسوم ناحية سميساط ، ووهب نفسه كلية للدراسات التاريخية (١) التى يظهر أنه تناولها فى سلام وهدوء حتى سنة ٨١٨ م . انتخب بطريركياً لليعاقبة بعد موت البطريرك قرياقوس فى أغسطس سنة ٨١٨م وذلك بعد اجتماع المجمع فى يونيه سنة ٨١٨ م . وأصبحت حياته منذ ذلك الحين قلقة مضطربة .

قام بكفاح متصل ضد أعدائه وضد الحكام المسلمين وذلك إلى جانب أسفاره المتعددة والتى بسببها لم يجد سبيلا إلى الراحة . وكانت السنوات الأخيرة لديونيسيوس مريرة من المضايقات والأحوان التى قاساها المسيحيون على أيدى المسلمين(٢). ذهب الخليفة المأمون إلى دمشق وتبعه ديونيسيوس كما رافقه إلى مصر فى مهمة إلى الأقباط المتمردين، وفى هذه الرحلة شاهد ديونيسيوس مسلات هليوبوليس والأهرام ومقياس النيل بالروضة وتوفى فى ٢٢ أغسطس سنة ٨٤٥م، ودفن فى دير قنسرين . وترك لنا ابن العبرى ترجمة كاملة لحياة هذا البطريرك التعس (٣).

أعماله : له حوليات شملت تاريخ العالم بأكمله من بدء الخليقة إلى أيامه عمل لها تنقيحان أحدهما كبير والثانى صغير . أما التنقيح الأكبر فقد أهدى إلى يوحنا أسقف دارا وهو ينتهى عند سنة ٨٣٧ م أو ربما بعدها بقليل ، وطبع

---

(١) التاريخ الكنسى ج١ ص٣٤٧

(٢) شابو . تاريخ ديونيسيوس التلمحرى باريس ١٨٩٥ . المقدمة ، رايت ص ١٩٦، دوفال ص ٣٨٩

(٣) بومشتارك ٢٧٥، رايت١٩٦ ، دوفال ٣٨٩، التاريخ الكنسى ص٣٨٥ التاريخ الكنسى ج١ص٣٤٣-٣٨٦، شابو. تاريخ دنيس التلمحرى المقدمة ص/١

السمعانى ملخصاً لها(١) وكتبت فى مجموعة من فصول تتناول موضوعات خاصة. أما التنقيح الأصغر فبقى فى مخطوطة واحدة ناقصة. قسمه ديونيسيوس إلى أربعة أقسام جزء أول يمتد من الخليقة إلى حكم قسطنطين واعتمد فى هذا الجزء على كتاب تاريخ لأوسابيوس ومذيل ببعض الاقتباسات من مراجع يونانية أخرى مثل التاريخ الكنسى لأوسابيوس وتتابع السنين ليوليوس الأفريقى، كما استقى معلومات روحية من كتب أخرى مختلفة مثل تاريخ الرها(٢) وكهف الكنوز، وتاريخ الإسكندر الأكبر المنسوب إلى كاليستينوس وقصة النوام السبعة وحرب اليهود ليوسيفوس فلافيوس.

والقسم الثانى من كتاب ديونيسيوس يمتد من قسطنطين حتى تيودوسيوس الثانى وفيه يتبع التاريخ الكنسى لسقراط(٣).

والقسم الثالث يمتد من تيودوسيوس الثانى حتى يوستينيانوس الثانى، وفيه استقى معلوماته من أهل قريته مثل يوحنا الأسيوى(٤).

والقسم الرابع الذى يمتد حتى سنة ٧٧٤/٥ م هو جزء من وثائق استطاع الحصول عليها وجزء من النقل الشفهى عن المسنين من الرجال وجزء من ملاحظاته(٥).

تيودوسيوس: وهو شقيق ديونيسيوس. عاش تحت رئاسته وكان أسقفاً

---

(١) توجد فى مجموعة الفاتيكان، وفى المكتبة الشرقية جـ ٢ ص٧٢ — ٧٧ أنظر فهرس الفاتيكان جـ ٣ ص ٢٥٣

(٢) رايت ص١٠١، ٢٠١

(٣) مجموعة الفاتيكان ١٤٥

(٤) أنظر رايت ص ١٠٥ وما بعدها.

(٥) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٩٨— ١١٦

للرها وتعلم اليونانية فى قنسرين . تجرع الآلام من جراء المضايقات التى كان يلقاها من محمد بن طاهر حاكم الرها الذى هدم الكنائس بينما سمح شقيقه عبد الله ابن طاهر بإعادة بنائها ، وسافر بصحبة شقيقه إلى مصر فى ٨٢٥/٦م لطلب النجدة من عبد الله الذى كان قد أرسل إلى هذه المنطقة فلاقت مهمته النجاح(١) .

أما عن أعماله فقد ترجم تيودوسيوس ترتيلة جرجس النزيانزى عن معجزات النبى ايليا(٢) ، كما ترجم إلى السريانية شعراً لنفس المؤلف(٣) وهذه الأشعار محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٤٥٤٧ ورقم ١٨٨٢١(٤) .

أنطونيوس البليغ : راهب من تكريت(٥). عاصر البطريرك ديونيسيوس التلمحرى(٦) . ومن مؤلفاته كتاب يتكون من أربعة أجزاء عن العناية الإلهية ، ورسالة فى البلاغة فى سبعة فصول، ورسائل تعزية إلى جانب الأناشيد والصلوات(٧)

---

(١) رايت ٢٠٣ ، دوفال ص ٣٨٩ ، بومشتارك ص ٢٧٦، التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٦١ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٤٥

(٢) موجودة فى فهرس الفاتيكان جـ ٢ ص ٥٢١ أنظر المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٤٩

(٣) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٦١ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٤٥

(٤) فهرس رايت ص ٤٣٣ ، ٧٧٥

(٥) فهرس رايت ص ٦١٤ ، دوفال ص ٣٨٩ ، رايت ٢٠٣/٤ بومشتارك ص ٢٧٨/٩

(٦) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٦٣

(٧) موجودة فى المتحف البريطانى تحت أرقام ١٧٢٠٨، ١٤٧٢٦، ١٧٢٠٨

وقد طبع « روديجر » Roediger جزءاً من ترنيمته عند النميمة(١) . وكان أنطونيوس من أوائل الذين استخدموا القافية فى الشعر(٢) ولكنه لم يلتزم الشعر فى كل أعماله بل استعمل أيضا النثر .

لعازر برسابتا : كان يدعى أسقف فيلوكسينوس وباسيليوس(٣) ، وكان مطراناً لبغداد فى أوائل القرن التاسع ، ولكن ديونيسيوس التلمحرى عزله سنة ٨٢٩(٤) .

ألف ليتورجية ، وله كتاب فى نظام التعميد يظن أنه جزء من العمل الأكبر عن وظائف الكنيسة الذى منه نقل ابن العبرى التعليمات عن الخدمات الموسيقية والى اقتبسها السمعانى(٥) .

يوحنا الدارى : كان هو الآخر معاصرا لديونيسيوس التلمحرى ، وكان مطراناً لدارا ، وإليه وجه ديونيسيوس الجزء الأكبر من مقدمة تاريخه(٦) .

ألف ليتورجية(٧) . وله شرح على الكتابين المنسوبين إلى ديونيسيوس

---

(١) Roediger, Hrestomatica syriaca, p. 110

(٢) دوفال ص ٢٥ هامش ١

(٣) فهرس رايت ص ٤٩٦ ع ٢٠ ، المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ٢ ص١٤٣ رايت ص ٢٠٤ ، دوفال ص ٣٨٩/٩٠ ، بومشتارك ص ٢٧٨

(٤) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٦٥

(٥) أنظر المكتبة الشرقية جـ ١ ص ١٦٦

(٦) بومشتارك ص ٢٧٧ ، رايت ص ٢٠٤/٥ ، دوفال ص ٣٩٠

(٧) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٢٣

الأريوباغى(١) ، وله دراسة تتكون من أربعة أجزاء عن الكهنوت ، ودراسة أخرى مكونة أيضا من أربعة أجزاء عن قيامة الأموات(١) . وله مؤلف هام يتحدث فيه عن الروح ، كما كتب بحثاً خاصاً عن الصعود وهو يعتبر عملا ذا أهمية كبرى ومعرفة واسعة فهو يحوى فصلا عن خلود الجنة وعن الجحيم(٢) .

نونوس : كان رئيس شمامسة الكنيسة اليعقوبية فى نصيبين ، عزله المجمع الذى عقد فى رأس العين عام ٨٢٧/٨ لتقديمه شكوى ضد الأسقف فيلوكسينوس الذى مال ناحية البطريرك المخلوع ابراهام(٣) . كتب أعماله ضد توما أسقف مرجا ومطران بيت جرمى أثناء وجوده فى السجن ، وتتكون هذه الرسالة الجدلية من أربعة أقسام . وإلى جانب ذلك كان نونوس كاتباً لرسائل مختلفة من نفس النوع(٤) .

رومانوس الطبيب: سمى نفسه تيودوسيوس(٥). وكان قسيساً لديرقرتمين.

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، فهرس الفاتيكان جـ ٢ ص ٥٣٩.

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١١٩ — ١٢١

(٣) محفوظة فى مخطوطات ١٠٠ ، ٣٦٢ من محفوظات الفاتيكان ، كما حفظت إجراء تتعلق بالبحث عن الروح فى مخطوطة الفاتيكان ص ١٤٧ . أنظر دوفال ص ٣٩٠ ، رايت ص ٢٠٥

(٤) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٦٣ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٤٦ ع ١٠ .

(٥) فهرس رايت ص ٦١٨ — ٦٢٠ أنظر رايت ص ٢٠٥/٦ ، دوفال ص ٣٩٠ ، بومشتارك ص ٢٧٧/٨.

(٦) تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٣٩١ ، جـ ٢ ص ٢١٣

ثم أصبح بطريركا لليعـــاقبة فى آمد (ديار بكر) سنة ٨٨٧ م وتوفى سنة ٨٩٦م (١).

له رسالة كنسية باقية فى العربية مكتوبة إلى البطريرك القبطى ميخائيل الثالث (٢)، وتراتيله بالعربية أيضا موجودة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٧٢٠٦ورقة ٧٣ (٧) كما ألف مجموعة من مائة إثنتى عشرة قاعدة فيثاغورية، وأمثال مع شروح مختصرة بالسريانية والعربية ويخاطب بها شخصاً يدعى جرجس (٤) وكتب كناشة طبية ذات شهرة واسعة (٥)، كما كتب شرحا للكاتب المنسوب لهراتيوس الذى يدعى (الأعاجيب المخفية عن بيت الله) وأهداه للعازر أسقف كيروس. والكتاب مقسم إلى خمسة كتب، أتم الاول والثانى فى آمد قبل أن يذهب إلى الشرق، وأتم الثالث فى سميساط وموجود فى المتحف البريطانى تحت رقم ٧١٨٩ (٦).

موسى بر كيفا: ولد حوالى سنة ٨١٣م فى قرية بلد التى منها أمه مريم، وأبوه سمعان كيفا من قرية مشهد الكحيل على دجلة تجاه الحديثة. كتب تاريخ حياته مؤلف سريانى مجهول الإسم. ودرس منذ حداثته على رين قرياقوس رئيس

---

(١) بومشتارك ص ٢٨٠، رايت ٢٠٦، دوفال ص ٣٩١

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص١٩٣

(٣) انظر فهرس روزن ص ١٠٣

(٤) فهرس زوتنبرج ص ١٤٧ ع ١٠، ص ١٦٦ ع ١٠، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٢٥

(٥) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٣٩١

(٦) انظر رايت ص ٢٠٧

دير مار سرجيوس على جبل صاهيا أو الجبل الجاف بالقرب من بلد ، وهناك انتخب أسقفا لبيت ريمان وبيت كيوتايا (١) والموصل حوالى سنة ٨٦٣ واتخذ لنفسه إسم سويروس وظل يزور أبرشيات تكريت عشر سنوات ثم توفى سنة ٩٠٣ م وكان يبلغ من العمر تسعين عاما (٢) ودفن فى دير ما سرجيوس .

أعماله : هو من أغزر الكتاب اليعاقبة إنتاجا فى هذا العصر . له مؤلفات كثيرة منها : شروح على العهدين وضعها ابن العبرى فى كتابه مخزن الاسرار (٣) وشروح على سفر التكوين ، وقد وصلت إلينا ناقصة ، فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٧٢٧٤ (٤) ومنها مقتبسات فى مكتبتى باريس واكسفورد (٥) . أما شروحه على الأناجيل ورسائل بولس فناقصة وهى موجودة فى مخطوطة المتحف البريطانى تحت رقم ١٧٢٧٤(٦) . وله رسائل عن المكساميرون فى خمسة مجلدات(٧). وكتاب عن الجنة فى ثلاثة أقسام وكان إهداؤه لصديقه أغناطيوس،

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢١٨ هامش ١ ع ٢٠ ، هوفمان المختصر ص ٣٠ واسمه فى فهرس رايت ص ٦٢٠ ع ٢٠ هو كيونا وفى المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٢٧ هو كينا. انظر رايت ص٨/٢٠٧ ، دوفال ص ٣٩١، بومشارك ص ٢٨١/٢

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢١٨ وما بعدها ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٢١٧

(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٣٠ هامش ٣ ، ص ٢١٨ ع ٢٠

(٤) فهرس رايت ص ٦٢٠

(٥) فهرس باين سميث ص ٤٦٢

(٦) فهرس رايت ص ٦٢٠

(٧) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٢٨

وعرف فقط من الترجمة اللاتينية لأندرياس ماسيوس سنة ١٥٦٩(١). وله رسالة عن الروح تقع في أربعين فصلا، بالاضافة إلى فصل عن فائدة القرابين المقدمة للموتى. وله مناظرات ضد الهراطقة، وترانيل الأعياد على مدار السنة. وتعليق على مذهب أرسطى الجدلى، وخطب في مواضيع شتى، وله كتاب يتكون من أربع مقالات عن الجبر والاختيار.

وإلى جانب ذلك يوجد له أربعة قداسات جنائزية، وخطاب تحذيرى لأطفال الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة موجودا في المتحف البريطـــانى تحت رقم ٢١٢١٠(٢). وله خطاب يبين فيه لم سمى المسيح بكنى وأسماء كثيرة. وكتب عن مقدسات الكنيسة وعن العماد مهداة إلى صديقه أغناطيوس في أربعة وعشرين فصلا. وشرحا لليتورجية وشروحا أخرى عن العجيب في الرسامات المتنوعة، وعن رسامة الأساقفة والقسس والشمامسة، وعن حلق الشعر للرهبان، كما ألف ترتيلتين إحداهما ترجمها «رينودوت»، كما كتب شرحا على أعمال أغريغوريوس النزيانزى، وتاريخا كنسيا (٣). ومما يؤسف له ضياع هذا الكتاب الأخير.

ومن أقواله في فضيلة التواضع

إن محاسن النفس طرا حين تكون محتفظة بطبعها، هى جميلة رائعة، بيد أن أكثرها زهورا ولألاءة، هو جمال التواضع والوداعة الذى يميزنا عن البهائم.

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ١٢٨

(٢) أنظر كتالوج رايت ص ٨٧٩

(٣) بومشتارك ص ٢٨١/٢، رايت ص ٢٠٧/٨، دوفال ص ٣٩١، المكتبة الشرقة جـ ٢ ص٢١٨

ويبين لنا أننا بشر ، بل يشبهنا بالملائكة . ذلك الجمال الذى كثيرا ما تحدث عنه المسيح ، موصيا ايانا بأن نكون ودعاء متواضعين . كيف لا وقد حقق هذا الأمر بنفسه إذ كان يهان ويتحمل ، المكاره من الذين كان يؤتيهم الخيرات . وبعد أن كان يلطم ويتحمل ، كان يعود فيتقدم من أولئك الأعوام .

أن التواضع هو النهج السوى إلى الارتفاع . به تجمل آباؤنا الأولون اعنى بهم الأنبياء والرسل والشهداء .

بالتواضع تستحق أن تصير هياكل ومساكن لله .

به أيضا تستأهل النعم التى وعد بها مخلصا قائلا : طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض ، إن الأرض التى هى ثمرة الطوبى ، ليست هذه مولدة الأوجاع التى تسكن على سطحها ، ولا هى أرض الفردوس أو القلب ، لكنها تلك التى فوق ظهر السماء والتى لم تقبل الآلام بل جعلت لنعيم الصالحين وحياتهم . وعنها قال داود (النبى) « انى آمنت أن أعاين جودة الله فى أرض الأحياء » وبعد القيامة العامة سيرقى الصالحون إليها - فوق هذا الرقيع الذى يرى فوقنا — وهناك سيتنعم المتواضعون . .

النساطرة : كانت نهاية القرن الثامن وبداية التاسع هى لحظه الانتشار الأعظم للمسيحية النسطورية التى يعتبر أثر Sin - gan - fo (١) (سن يان فو)

---

(١) أنشأه أحد البطارقة وتم تدشينه فى الرابع من فبراير سنة ٧٨١ م . ولا ينتمى إلى تاريخ الأدب السريانى لا بمعنى محدود للغاية وليس من شىء له قيمة أدبية حقيقية إلا ذلك الجزء الصينى المطول من النص المحفوظ عليه . ويصور هذا الجزء باختصار تاريخ الارسالية النسطورية فى الصين منذ ظهور الداعية يب الاها فى علم ٦٣٦ م والمكتوب بالسريانية عبارة عن كلمة اهداء قصيرة وقائمه باسماء سبعين من الكهنة النسطوريين فى الصين .

الصينى السريانى أبرز علاماته اتجاه الشرق . وقد تم فى عهد الامبراطور تيموتاوس الأول إنشاء هذا الأثر الصينى الضخم فى سنوات حكمه الأولى . ويرتبط بعهده معاصروه أبو نوح وإفريم من عيلام وتيودوروس بن قونى وخليفته يشوع بن نون وتلميذه دنحا الذين يمثلون جماعة من كتاب النثر يغلب عليهم الطابع اللاهوتى ، ويكفى للتدليل على أهمية هذه الجماعة أن تعتبر إنشاء هذا الأثر ثمرة الازدهار الأدبى الذى كان موجوداً آنذاك . ويتميز هذا العهد بكثرة التأليف فى ميدان التشريع الكنسى . والاهتمام متفاوت بالفلسفة الارسطاطالية ، وهو اهتمام مميز لاتجاه هؤلاء اللاهوتيين . ويمثل مكاناً بارزاً بين هذه الجماعة تيودوروس المفروستى القبادوقى وجرجس الزيانزى (١) .

كذلك يتميز القرن التاسع عند السريان بازدهار الدراسات العلمية والتاريخية وفى المرتبة الأولى لكتاب النساطرة فى هذا العصر يظهر الأطباء الذين يتمتعون بعطف الخلفاء العباسيين وهم جبريل بختيشوع ، ويوحنا بن ماسويه ، وحنين ، ويوحنا بن سرابيون (٢)

وكما تميز عصر تيموتاوس الأول — بالنظر إلى الماضى — بالتغلب الرسمى على التيارات الهرطقية التى ترجع إلى حنانا ، كذلك تميز هذا العصر أيضا — بالنظر إلى المستقبل بسمة حاسمة مميزة ، إذ بدأ الأدب السريانى المسيحى لأول مرة وبدرجة متزايدة يحقق أهم واجب اضطلع به على طول تاريخه الفكرى ألا وهو نقل التراث الفكرى العلمى لليونان القدماء إلى الثقافة الإسلامية الناشئة ، وهو نقل التراث الفكرى العلمى لليونان القدماء إلى الثقافة الإسلامية الناشئة ، وهو التراث الذى سيثرى بعد ذلك الغرب المسيحى — عن طريق وساطة

---

(١) بومشتارك ص ٢١٦

(٢) دوڤال ص ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥

يهودية فى معظم الأحيان — على أن هذه الحركة لم تكن عديمة التأثير على المؤلفات السريانيه ذلك أن فئات الأطباء المسيحيين الذين لعبوا دوراً بارزاً فى عملية النقل هذه قد استخدموا على طول الخط تقريبا اللغة العربية عند وضع مؤلفات أصيلة خاصة بهم . وكان نقل المؤلفات اليونانيه المثقفة إلى الحضارة الإسلاميه يتم بالضرورة عن طريق اللغة العربية . ومن بين هؤلاء الأطباء جبرئيل بختيشوع . أبرز هذه الفئة على الإطلاق هو حنين بن اسحق الذى لم يقتصر فى مؤلفاته على استخدام اللغة السريانية فحسب وإنما ساهم مساهمة فعالة فى حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية .

ومن بين الظروف الخاصة التى أملتها طبيعة العصر ، والتى أصبحت اللغة السريانية بالنسبة له لغة ميتة تدريجيا حركة وضع المعاجم التى ساهمت فيها طبقات الأطباء مساهمة واضحه ، وأسهم فيها من ناحيه أخرى حنا نيشوع بن ساروشواى الذى مزج نشاطه المعجمى بجوانب لاهوتيه وتاريخيه (١) .

جبرئيل بختيشوع : هو الابن الأصغر لجرجس بن بختيشوع من جند يسابور وهو من عائلة طبيه مشهورة ، مارس الطب فى بغداد سنه ٧٩١ م ، وقام على خدمه جعفر ابن يحيى البرمكى . ثم أصبح طبيب البلاد فى بغداد فى عصر هارون الرشيد والأمين والمأمون ، كان هو ويوحنا بن ماسويه أساتذة لحنين ابن اسحق ، وظل يزاول هذه المهنه حتى وفاته سنه ٨٢٨ م (٢) .

كتب معجما سريانيا (٣) . كما كتب المختصر العربى لأعمال ديوسقوروس وجالينوس وبولس ويحيش الوارد غالبا فى معجم بربهلول (٤) .

(١) بومشتارك ص ٢٢٧
(٢) بومشتارك ص ٢٢٧ ، رايت ص ٢١٤ ، دوفال ص ٢٨٥
(٣) المكتبه الشرقيه مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٥٨
(٤) دوفال ص ٢٧٥

يوحنا بن ماسويه(١) : أو يحي بن ماسويه، ولد فى نهاية القرن الثامن بالقرب من نينوى وتلقى علومه تحت إشراف يشوع بن نون الذى أصبح بطريركا على أثر موت تيموثاوس، وكان يوحنا رئيساً لمدرسة من أكثر المدارس ازدهاراً فى العاصمة ومات عام ٨٥٧م (٢) .

ألف كتباً كثيرة فى الطب سواء بالسريانية أو بالعربية . وقد أضافت ترجمته للأعمال اليونانية شهرة فوق شهرته ككاتب. والكتاب المنسوب إليه فى الترجمات العبرية واللاتينية والموضوع تحت عنوان « الكتاب عن الحمى » هو عبارة عن مختصر للمعلومات الطبية السريانية والعربية (٣) .

أبو زيد حنين بن اسحق العبادى : ولد فى الحيرة، وكان ينتمى لجماعة النساطرة العباديين . بدأ دراسته تحت إشراف يوحنا بن ماسوية فى بغداد، ولكنه لم يحظ بإعجاب أستاذه وسافر إلى الغرب فى الاسكندرية لدراسة اليونانية وأمضى هناك سنتين تعلم اللغة والأدب، ونالت معلوماته الطبية — حين عودته إلى بغداد — تقدير وتبجيل بختيشوع الذى عقد صلحاً بينه وبين أستاذه القديم . أختير طبيباً للمتوكل، ولكنه حرم من الكنيسة بسبب زميل مسيحى من نفس المهنة وهو اسرائيل بن الطيفورى. ومات حنين بعد ذلك مباشرة سنه ٨٧٣م(٤).

---

(١) دوفال ص ٢٧٦ ، ٣٨٥

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج١ ص ٥٠١ ، بومشتارك ص ٢٢٨ ، دوفال ص ٣٨٥

(٣) دوفال ص ٢٧٦

(٤) المسعودى . مروج الذهب ج ٩ ص ١٧٣ وما بعدها، التاريخ الكنسى ج٣ ص١٩٧ — ١٩٩ ، رايت ص ٢١١/٢، دوفال ص ٣٧٦ ، بومشتارك ص ٢٢٧/٨ ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٢٧٠ هامش ٣

قاد حنين فى هذا القرن حركة تأسيس القواميس ، وكان ذا شهرة واسعة عند المسيحيين والمسلمين على السواء من أجل ترجماته السريانية واليونانية ، وكان مؤرخاً وفيلسوفاً وطبيباً ونحوياً وفقيهاً وقد تناول الكثير من الموضـــوعات العلمية (١).

أعماله : وضع حنين كتبه الأساسية بالعربية . والكثير من ترجماته من اليونانية ، وقد ذكر عبد يشوع ثلاثة من كتبه (٢) . الأول كتاب عن مخافة الله الذى كتبه وهو شماس بالكنيسة . والثانى نحو سريانى عنوانه «كتاب «النقط» وضعه ابن العبرى فى كتابه مخزن الأسرار ، كما وضعه إلياس الطير هانى فى كتابه النحو (٣) . والثالث قاموس سريانى وكان القاموس ذا فائدة جليلة لبر على وبر بهلول .

اشتهر حنين بترجماته السريانية والعربية لأعمال ديوسقورس وهيبوقراط وجالينوس وبولس ، كما اشتهر بإعادته لترجمات سرجيوس الرأسعينى . وإن شروح ديوسقورس عن النباتات التى استعارها بربهلول من حنين أكثر صحة من تلك التى أخذت عن جبريل بختيشوع . ونسب ابن العبرى لحنين خلاف ترجماته أعمالا أخرى مكونة لخمسة وعشرين مجلداً ، كما نسب إليه أيضاً نظريات عربية كثيرة فى الطب(٤). وكتب حنين رسالة عن المترادفات وجدت مقتطفات

---

(١) دوفال ص٢١٤، ٢٦٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٨٦ . بومشتارك ص٢٢٧ وما بعدها ، رايت ٣/٢١٢

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج١ ص١٦٥

(٣) بيثجن : مقتطفات . ص ٣٢

(٤) دوفال ص ٧/٢٧٦

منها عند جامع متأخر أفادنا كذلك بقوانين عنانيشوع الحذيبي(١). وله اقتباسات من رسالة طبية ولكن بدون عنوان(٢). ويذكر شنيدر أن عمل حنين الأكثر شيوعا والأكثر شهرة هو مقدمة فى العلوم الطبية على نمط كتاب جالينوس ووضع هذا الكتاب على طريقة الأسئلة والأجوبة تركه حنين غير كامل وأكمله ابن أخيه حبيش بن الأعصم(٣).

وكان حنين وابنه اسحق وابن أخيه حبيش بن الحسن الأعصم من بين الأوائل القادرين من هؤلاء المسيحيين — وبالأخص النساطرة الذين أثناء القرنين التاسع والعاشر اتخذوا بغداد عاصمة لهم — ومدوا المسلمين المتعلمين بكل شيء تقريباً مما عرفوه من علوم اليونان من طب ورياضة وفلسفة . وقد ترجموا اليونانية أولا إلى السريانية ثم بعد ذلك إلى العربية ، ولكن أغلبية هذه الأعمال ظهرت فيما بعد تحت اسم حنين أو نسبت مؤخراً إلى حنين(٤).

يشوع ماروزايا : ويسمى فى العربية عيسى المروزى وهو من مدينة مرو . ألف قاموساً سريانياً اعتمد عليه بر على فى قاموسه . عاش فى الجزء الأخير من القرن التاسع ، أى أنه كان معاصراً لبر على(٥).

يوحنا سرابيون : ويدعى سرابيون الاكبر . عاش تقريباً فى نهاية القرن التاسع أو بداية العاشر وكان أبوه ينتمى إلى بيت جرمى وكان له ولدان يوحنا

---

(١) المكتبة الشرقية جـ٢ ص٣٠٨ع٢٠

(٢) رايت ص ٢١٣ ، دوڤال ص ٣٧٦

(٣) دوڤال ص ٢٧٧

(٤) رايت ص٢١٣، دوڤال ص٢٧٧، ٣٨٦، بومشتارك ٢٢٩/٢٠

(٥) رايت ص ٢١٥ ، دوڤال ص

وداود وقد أصبحا طبيبين مثله (١).

ألف بالسريانية ديوانين : الأول فى إثنى عشر كتاباً . والثانى هو الاكثر ذيوعاً فى سبعة كتب ، الآخير منها عبارة عن نظريات ترياقية. ترجمت المجموعة الثانية إلى اللغة العربية بواسطة كتاب كثيرين مثل موسى بن ابراهيم الحديث وبر بهلول وربما أبى بشر متى ، وإلى اللغة اللاتينية بواسطة جيرار دى كريمون تحت عنوان Practica sive Briviarium ، وبواسطة أبراهام دى تورتوز(٢)

يشوع بر على أو عيسى برعلى : تلميذ حنين بن اسحق . اختاره أبوه وعمه الجاثليق سبريشوع الثانى (٨٣٢ —٨٣٦) لحراسة الكلية التى أسسها فى دير ماربيون فى بغداد(٣)

له أبحاث عديدة فى اللغة وبالرغم من هذا فإن شهرة ذلك البطريرك النسطورى ترجع على الاخص إلى كتاباته اللاهوتية ، وألف بناء على طلب الشماس ابراهام معجماً جديداً مستخدما شروح حنين وزخارى دى مرو. (٤) ويذكر يشوع فى مقدمة معجمه أن كتابه ليس كاملا ويرجو أبراهام وغيره من القراء الذين سوف يلاحظون النقص أن يكملوه ، ولم يقصر أبراهام فى هذا العمل بل أضاف إلى هذا المعجم . ومن بين المخطوطات العديدة لبرعلى المحفوظة

(١) أبن أوسابيوس جـ١ ص١٠٩ ، د . ليكلرك ، تاريخ الطب العربى جـ١ ص١١٣ — ١١٧، أنظر دوفال ص ٣٨٦

(٢) دوفال ص ٢٧٧/٨

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٥٧، دوفال ٣٨٧ ، رايت ص/٢١٥

(٤) هو أبو يحي المروزى والذى سماه هذا الاسم هو بن بهلول فى مقدمة معجمه .

فى المكتبات الاوربية توجد بعض المخطوطات التى أوردت بعد المقدمة ملحوظة تتصل بهذه الإضافات ، ومخطوطات أخرى على العكس ليس فيها هذه الملحوظة ، وإنما تعطى نصاً قريباً من الأصل . وتنتمى مخطوطة جوته إلى هذا القسم الأخير الذى نشر القسم الأول منه هوفان (١) .

يشوع برنون : من قرية بيت جبّارى بالقرب من الموصل . تتلمذ على يد ابراهـــام برداشنداد مع أبى نوح الأنبارى وتيموثاوس سلفه فى رتبة الجاثليق (٢) وأثناء إقامته فى الدير الكبير على جبل إزلا ، ركز جهوده على دحض تعاليم تيموثاوس الخاصة بعقيدة التجسد وسماه « الخاطىء فى الله » ونتيجة الجدال الذى حدث مع الرهبان ترك جبل إزلا وذهب لبضعة أشهر إلى بغداد حيث مكث فى بيت جرجس ماسويه وعلم إبنه يحيى (٣) ، ثم عاد إلى الموصل واستقر فى دير مار إلياس وظل به مدة ثلاثين عاماً حتى وفاة تيموثاوس (٤) ، وانتخب بطريركا فى ١٨ يونيو سنة ٨٢٣ م وكان ذلك أثناء رياسة جبريل بن بختيشوع وإبنه المتبنى ميخائيل برماسويه طبيب الخليفة المأمون وبقى فى هذه الوظيفة لمدة أربع سنوات فقط ودفن فى دير كليليشوع فى بغداد بالغا من العمر أربعة وثمانين عاماً (٥) .

أما عن أعماله فيذكرها عبد يشوع (٦) على أنها : رسالة فى اللاهوت وأسئلة

---

(١) انظر دوفال ص ٣٠٢

(٢) رايت ص ١٨٦ ، ١٩١ ، ٢١٦ ، دوفال ص ٣٨٧ بومشتارك ص ٢١٩

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٢ جـ ١ ص ٥٠ وما بعدها .

(٤) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٣٥ التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٨١

(٥) رايت ص ٢١٦ ، بومشتارك ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٦) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ١٦٥/٦

عن نص الكتب المقدسة فى مجلدين ، ومجموعة من القوانين والقرارات الكنسية، ونصوص قانونية وترجوم ، ورسالة عن إنقسام الخدمات وفصلة عن تأثير التراتيل والأناشيد ، وخطابات تعزية موجودة بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٧٢١٧ (١) . وتعليق على أعمال إغريغوريوس النزيانزى (٢) ، وإجابات على أسئلة القس مكاريوس التى يظن أنها تنتمى إلى الرسالة الموضوعة عن إنقسام الخدمات (٣) .

دنحا : كان تلميذاً ليشوع بن نون ويطلق عليه فى بعض المخطوطات إيفا . أو إيهيفا أو إياس (٤) .

كان دنحا مؤلفا لمواعظ وأبحاث فى القوانين الكنسية وتعليقات على المزامير وعلى أعمال اغريغوريوس النزيانزى ومنطق أرسطو (٥) .

الأب صليبا بن داود : من جوزارته . وقد حدد القرداحى زمن وفاته بسنة ٩٠٠ . وألف قصيدة عن الأطباء اليونان كما ألف ثلاث قصائد عن الذنب (٦) .

توما بن يعقوب المرجى : من مقاطعة سَلَـخ . دخل دير بيت عابى بالقرب

---

(١) أنظر فهرس رايت ص ٦١٣

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٧٩

(٣) انظر رايت ص ٢١٨ هامش ٣

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ١٧٥

(٥) رايت ص ٢١٩ ، دوفال ص ٨٤ ، ٢١٣ ، ٢٦٠ ، ٣٨٨ ، بومشتارك ص ٢٢٠

(٦) انظر دوفال ص ٣٨٨

من مَرْجا سنة ٨٣٢ م . اتخذه مار أبراهام — الذى وسم بطريركا للنساطرة من سنة ٨٢٧ — ٨٥٠ م — سكرتيراً له ، ثم رقاه إلى مرتبة الأسقفية لمرجا ، وبعد بضعة سنوات أصبح مطرانا لبيت جرمى (١) .

وكان توما من صغره مغرما بالأساطير وتواريخ القديسين وخاصة تلك التى تتعلق بديره فى بيت عابى فكتب ثمانمائة وأربعين قصة عن ديره دونها تلبية لرغبة الراهب عبد يشوع الذى أهدى إليه كتابه تاريخ الرهبنة . ذلك الكتاب الذى انتشر كثيراً تحت عنوان « كتاب الحكام » (٢)

وهذه القصص لم تكن عن بيت عابى وحده وإنما ضمنها كذلك قصة حياة مارناما مطران حذيب (مع موعظة طويلة موزونة بجد بها هذا المطران) ، وبابه ورهبان كثيرين مشهورين من الدير الكبير على جبل إزلا . وهذا العمل كما يقول « بدج » ، هو قصة المذهبية والرهبنة للنساطرة الكائنين شرقى دجلة أثناء ما يقرب من ثلاثة قرون . وبها ملحق قيم لقصة الكنيسة النسطورية أثناء فترة وجوده التى لا نعلم عنها إلا القليل . وهى تعرف بشىء من التطويل وبكثير من الوضوح كيف كانت الظروف تجعل الكنيسة النسطورية تتجاوب أو تختلف مع ملوك الفرس ، وتلقى ضوءاً جديداً على الأحداث المعاصرة وتشتيت رهبان دير جبل إزلا ، وإيفاد البطريرك النسطورى إلى هراقليوس ، وكفر ساهدونا ، وركود الكنيسة النسطورية فى القرن السابع ، وتأسيس المدارس الستينية ، وإدخال الموسيقى الكنسية فى مرجا ، والرجوع إلى مسيحية شعوب الأديان الشرقية

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٤٨٨ ، بومشتارك ص ٢٢٣ ، رايت ص ٢١٩ ، دوفال ص ٢١٦

(٢) عرف عن طريق المكتبة الشرقية للسمعانى وبه تحليل ، نشره M.Budge مصحوبا بترجمة انجليزية ومقدمة مزودة بإضافات للناشر ذات قيمة .

والجنوبية لبحر الخزر ، والإرساليات التبشيرية التى تروج للنسطورية فى المملكة العربية فى الحجاز وبلاد فارس والصين وزوال الامبراطورية الفارسية ، وازدياد النفوذ العربى (١) .

كتب توما كذلك شعراً من اثنى عشر مقطعا عن حياة وأعمال عمه مطران حذيب (٢) .

يشوع دذ الماروزى : أسقف الحديثة . كان منافسا لثيودوسيوس على البطريركية عام ٨٥٢ م . وكان عمله الأساسى شرح على العهد الجديد ، وقد امتد كذلك على ما يظهر إلى العهد القديم حيث وجدت أجزاء تختص بالتكوين والخروج (٣) .

تيودوروس برقونى : اختاره عمه يوحنا الرابع لاسقفية لاشوم سنة ٨٩٣ م (٤) وقد ألف شروحا على الكتب المقدسة ، وله تاريخ كنسى للأوامر والمواعظ وهذا الكتاب موجود فى الشرق وفى ستراسبورج وهو مؤلف من أحد عشر كتابا ، تعالج العشرة الأولى منها مواضيع لاهوتية ، والحادى عشر يعالج عقائد مختلفة ومذاهب رهبانية (٥) .

نرى مما سبق أن نشاط التأليف العلمى للسريان النساطرة - فى خدمة الثقافة الإسلامية العربية الجديدة — لم يؤد إلى إصابة حركة التأليف الكنسى النشيطة

---

(١) دوفال ص ٢١٦

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٤٨٥

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢١٠ — ٢١٢ ، بومشتارك ص ٢٣٤ ، رايت ص ٢٢١ ، دوفال ص ٨٤ ، ٢٨٨

(٤) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٤٠ ، مجلد ٣ جـ ١ ص ١٩٨

(٥) أنظر دوفال ص ٢١٤ هامش ٤

بالشلل . على أنه من الملفت للنظر مع ذلك أننا لم نجد لأى من أباطرة القرن التاسع الميلادى أى نشاط تأليفى أكثر من القوانين الرسمية التى كان يصدرها . كما أن مؤلفات بعض آباء الكنيسة الآخرين التى وصلت إلينا لا تمثل أكثر من تلخيصات عامة لبعض المؤلفات التى سبق إنجازها فعلا . وقد رأينا من ممثلى هذا الاتجاه الجديد بالنسبة لتاريخ الرهبنة توما المرجى ، وبالنسبة لتاريخ الرهبنة أيضا وتاريخ الكنيسة العام يشوع دنح من بصرى . وبالنسبة للتفسير نذكر يشوع ذد ، وبالنسبة للقانون الكنسى والمدنى نذكر جبرائيل من بصرى ويوحنان الخامس الذى يمثل فى نفس الوقت بداية القرن العاشر . ونذكر أخيراً من الأعمال التوثيقية تدوين سيرة القديس أوجينوس الذى كان يتمتع بتقديس الرهبان السريان الشرقيين (١)

(١) أنظر بو مشتارك ص ٢٣٢/٣

القرن العاشر

أصيب هذا القرن بجدب كلي فى الإنتاج عند الكتاب اليعاقبة ، وأغلبية أحبار الكنيسة ألفوا الرسائل المجمعية والكتابات الأخرى القانونية بالعربية . ويمكن أن يقال نفس الشيء عن العلماء مثل أبى الحسن على عيسى بن اسحق بن زرعه (٩٤٣ — ١٠٠٨) وأبى زكريا يحى بن عدى الذى توفى سنة ٩٧٤ فى سن الواحدة والثمانين (١) .

والوحيد الذى نستطيع أن نذكره من كتاب اليعاقبة فى هذا القرن هو جيزا ، فارسى مسيحى ترك بلدته أشنوخ أو أشنو فى أذربيجان . ثم استقر بعد عدة تنقلات فى مقاطعة جوجوس أو جوباس وهى إحدى الأبرشيات السبعة فى مقاطعة ملطية . وبنى هناك كنيسة متواضعة حيث وضع بها آثاراً متنوعة للقديس سرجيوس والقديس باخوس وصوامع له ولأصدقائه الثلاثة وكان ذلك فى سنة ٩٥٨ (٢) . ولما كبرت أهمية ذلك المكان لجأ رهبان آخرون إليه ومن بينهم مار يوحنا المارونى أو مار يوحنا بن مارون وهو رجل متخصص فى كلا الادبين الدينى والدنيوى الذى درس على مار مقيم الرهاوى (٣) . وتوفى جيزا مؤسس

(١) رايت ص ٢٢٢ ، دوفال ص ٣٩٣ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ١٢٦

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢٦٠

(٣) أنظر رايت ص ٢٢٤/٤

الدير بعد اثنى عشرة سنة . وقد نجح كرتيس دير بواسطة تلميذه إلياس الذى جمّل الكنيسة ، وفى نفس الوقت اتسعت شهرته كمنبع للتعليم تحت رئاسة يوحنا بن مارون ووجد كتاب كثيرون عملا هناك ، وكان البطريرك يوحنا السابع السارجى (١) . واحداً من زوارها . وعين الياس — عند تقاعده — يوحنا المارونى خلفا له . وقد ساعد يوحنا هذا عمانويل الراهب الحرانى وتلميذ المفريان قرياقوس على اعادة بناء الكنيسة على مجال أوسع وأجمل (٢) .

النساطرة : زادت — فى هذا القرن — أهمية اللغة العربية كلغة حية للمسيحية النسطورية زيادة كبرى ، على أن هذا لم يؤد الى قضاء سريع أو كامل على المؤلفات السريانية القديمة بل على العكس كان الشعر التعليمى لإلياس الانبارى وعمانويل يمثل ظاهرة جديدة من وجهة النظر السريانية فى العصور الوسطى ، وان لم يكن كذلك من وجهة النظر الحديثة آنذاك . كما نجد الى جانب هذا من مؤلفى — الأدب اللاهوتى المنثور سواء من طبيعة فقهية أو ليتورجية أو جدلية نذكر من هذه المجموعة على سبيل المثال جرجس الإربلى وعبد يشوع الأول — الذى عاصر أوائل القرن الحادى عشر — اللذين لم يكونا وحدهما بين كبار رجال الإكليروس . كما وجد النثر الصوفى آخر رعاية واهتمام كبير من جانب يوحنا بن كلدون وعبد مشيحا من الحيرة . ويمكن أن ندرج ضمن التراث النسطورى لهذا القرن أعمال المؤرخ هرون وهو الذى قدم الشيء الكثير بالنسبة لميدان وضع المعاجم (٣) .

حنا نيشوع سارشوى : عاش فى باكورة القرن العاشر كما ذكر إلياس

---

(١) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ١٣٢ ، ٣٥١

(٢) رايت ص ٢٢٤

(٣) بومشتارك ص ٢٢٧

الأنبارى بأنه عاش حوالى سنة ٩٢٢ م (١) . كان أسقفا الحيرة . طبع أسئلة عن نص الكتب المقدسة كما وضع معجم مفردات مع تعليقات وشروح وضعها خلفه ، وكان أسقفاً الحيرة . طبع أسئلة عن نص الكتب المقدسة كما وضع معجم مفردات مع تعليقات وشروح وضعها خلفه بربهلول فى دائرة المعارف. كذلك ألف أبحاثاً فى المسائل الخطية وقد فقدت مؤلفاته (٢) .

يشوع بربهلول : وفى العربية أبو الحسن عيسى (٣) بن البهلول . وهو أعظم مؤلف المعاجم السريانية وتاريخه محدد بتاريخ انتخاب الجاثليق عبد يشوع الأول سنة ٩٦٣ (٤) .

وهو من أوانا فى أبرشية طرهان ، ووفقا لما ورد في بعض المخطوطات فإن هـــذا الكاتب ألف معجمه فى بغداد حيث كان يدرس فى المدارس ويطلق

---

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦٠ ع ٢٠ فى الآخر

(٢) رايت ص ٢٢٨، دوفال ص ٣٩٢ . المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦١

(٣) بومشتارك ص ٢٤١ ، رايت ص ٢٢٨ ، دوفال ٣٠٣ ، ٣٩٢ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٩٥١ ، المكتبة الشرقية جـ ٣ ص ٤٤٢ ، مجلد ٣ جـ ص ٢٠٠ ع ٢٠

(٤) اسم عيسى أو يشوع الذى أطلق عليه السمعانى خطا فى المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٥٧ إنما جاء من الالتباس الحاصل بين بربهلول وبر على إذ أن بربهلول ليس له اسم يشوع فى مخطوطات أكسفورد أو كمبردج كما يقول جرتيوس . أنظر دوفال ص ٣٠٣

عليه وصف الطبيب الماهر . ويعد قاموسه من أكبر المعاجم (١) وهو على شكل دائرة معارف جمع فيها الكاتب أعمالا مختلفة من فقه اللغة مع العديد من التراجم المأخوذة من الكتابات السريانية فى العلوم الطبيعية والفلسفة واللاهوت وشرح الكتاب المقدس . والمزية الرئيسية لبر بهلول هى فى إشارته إلى أعماله . ولكن وصلنا عمله محرفاً تحريفا جسيما وليس عجيبا أن نجده مذكوراً من بين أعمال كتاب عصر لاحق مثل ابن العبرى — على سبيل المثال — الذى ينتمى إلى القرن الثالث عشر .

أفرون : كان مدرسا فى مدرسة أو كلية . ألف رسالة تشتمل على أدلة واضحة عن موضوعات متنوعة مرتبة ابجديا ومهداة إلى صديقه قورنا ، وله إلى جانب ذلك كتاب التعريفات ، وفصلة عن الإنسان كعالم صغير (٢) .

إلياس أسقف الأنبار : (أو فيروز شابو) كان يعيش سنة ٩٢٢ م كما يظهر من مجادلاته مع الجاثليق أبراهام (٩٠٥ — ٩٢٧) ويدعوه « يشجن » إلياس التصبيئى (٣) ، ألف مجموعة من القصائد تقع فى ثلاثة أجزاء موجودة ضمن مخطوطات الفاتيكان تحت رقم١٨٣ . وله كذلك رسائل وتراتيل واعتذار(٤) .

جرجس مطران الموصل وإربل : رقاه إلى هذه الوظيفةالجاثليق عمانويل حوالى عام ٩٤٥ م ، وتنازع على البطريركية ثلاث مرات ولكن بدون جدوى

---

(١) نشرة دوڤال تحت اسم
Lexicon syriacum. auctoro Hassano Bar Bahlule, Paris,1888-1896

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦١ ، دوڤال ص ٢٩٢ ، انظر رايت ص ٢٢٩

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٣٥٨

(٤) دوڤال ص ٢٢٩ ، رايت ٢٣٠

ففى سنة ٩٦١ م انتخب اسرائيل ، وفى سنة ٩٠٣ م كان عبد يشوع الأول هو الخصم الناجح وفى سنة ٩٨٧ م وقع اختيار المجمع على مارى برطوبى (١) وتوفى عام ٩٨٧ م .

ترك بيانا بقداسات العام قسم إلى سبعة أقسام أورد عنها السمعانى تحليلا فى مكتبته الشرقية (٢) . وله مقتطفات من ترجومة أو ترتيلة ، كما أثر عنه بعض الأناشيد ومجموعة قوانين . (٣) .

عمانوئيل برشاهارى : كان مدرسا فى مدرسة مار جبرائيل فى دير يدعى دير الآيتا بالموصل . وقد تحدد تاريخه بحضور رسامة عبد يشوع الأول سنة ٩٦٣ م ويذكر القرداحى وفاته بسنة ٩٨٠ م (٤) وله رسائل إيضاحية . وإلى جانب بعض الرسائل الشرحية الصغيرة كتب عملا ضخما عن ستة أيام الخليقة(٥) ، وتحتوى مخطوطة الفاتيكان رقم ١٣٢ على ثمانية وعشرين خطابا الثانى منها ناقص والتاسع والعشرون يضم العماد وهى مؤرخة بعام ١٧٠٧ . كذلك تشتمل مخطوطة المتحف البريطانى . شرق ١٣٠٠ لسنة ١٦٨٥ على ثمانية وعشرين خطابا الثانى منها ناقص وبعضها على سبعة مقاطع والبعض الآخر منظوما على ١٢ مقطعا . ويقال ان ذلك هو المجلد الوحيد الرابع لأيام الخليقة الستة (٦) .

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٤٢/٣
(٢) مجلد ٣ جـ ١ ص ٥١٨ — ٥٤٠
(٣) أنظر رايت ص ٢٣١ ، دوفال ص ٣٩٣
(٤) أنظر رايت ص ٢٢١/٢ ، دوفال ص ٢٩٣
(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٧٧
(٦) أنظر رايت ص ٢٣٢ ، دوفال ص ٣٩٢

وينتمى الى هذا القرن أيضا اخوه ابن عبد يشوع برشاهارى المتوفى عام ٩٧١ م وقد ترك قصائد حازت تقديراً أقل من قصائد أخيه .

وبعد أندراوس فى خاتمة الكتاب النساطرة لهذا القرن . أما مؤلفاته فهى بحث فى الترقيم وبعض الأناشيد التى تسمى تورجاما (١) . أو ترجوما (تراتيل من نوع خاص) وقد أفسح له عبد يشوع مكانا فى فهرسه وشبهه السمعانى بأندراوس الشهير أسقف سميساط . (٢)

نلاحظ مما سبق أن الإنتاج الأدبى فى اللغة السريانية توقف عند نهاية الألف الأول الميلادية ، كما نلاحظ أن أدب الألف الأول يتميز بآثار الدخول فى تبعية المؤلفات العربية ، وهو ما أصبح فيما بعد أحد الملامح البارزه للحياة الأدبية التى دبت فيها قوة جديدة ، كما نلاحظ أخيراً أن الفقر الأدبى التدريجى للكتاب اليعاقبة قد جعلهم بطبيعة الحال أكثر تقبلا للمؤثرات النسطورية . وقد ترتب على هذا وضع جديد مؤداه أن الحوافز العقائدية قد فقدت الكثير من أهميتها بالنسبة لتطور الحياة الأدبية التى شهدت معارك عقائدية فى القرنين الخامس والسادس . وظهر من المؤلفين على الخصوص النحويون والفقهاء (٣) .

---

(١) هوفمان : المصنف النسطورى ص ٧ ، ٨ أنظر دوڤال ص ٢٩٣

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٠٢

(٣) بومشتارك ص ٢٥٢ ، دوڤال ص ٢٧٠ ، رايت ص ١٣٤

القرن الحادى عشر

خبا نور الإنتاج الأدبى فى هذا القرن كما حدث ذلك فى القرن العاشر ، ولم تتخلل التدهور الأدبى فى هذه الفترة إلا ومضات قليلة من النور ، فبعد فترة صمت دامت طويلا ظهر طبيب عالم حاول مجاهداً إشعال جذوة الدراسات من جديد بعد أن كادت تخبو ، ولكن جهوده اتجهت فى الغالب لصالح العلم العربى . وقد استمر الكتاب النساطرة فى هذا القرن يحتلون مركز الصدارة من حيث غزارة وقيمة هذا الإنتاج . أما اليعاقبة فظلوا على حالهم كما كانوا فى القرن الماضى قليلى الإنتاج .

اليعاقبة :

إلياس برجاغى : راهب من تكريت أسس ديراً بالقرب من ملطية ولكنه توفى قبل أن يتمه وقد جذب تعليمه عدداً كبيراً من التلاميذ . وبعد إثنى عشر عاماً عاد إلى ديره مار آرون بالقرب من الرها — وكان فى الدير وقتئذ مائة وعشرون راهباً — حيث توفى بعد أربع سنوات أى حوالى سنة ١٠١٧ م . وله شرح على كتاب الحكمة وضعه ابن العبرى فى مخزن الأسرار (١) .

مرقس بن كيكى : كان رئيس شمامسة كنيسة اليعاقبة فى الموصل سنة ٩٩١م ورقى إلى مفريان تحت اسم إغناطيوس (٢) . أسلم بعد أن تولى تلك الوظيفة مدة

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢٨٣ . أنظر رايت ص ٢٢٤

(٢) التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٢٥٧ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٤٢

خمس وعشرين سنة وكان ذلك سنة ١٠١٦ م ولكنه أرتد قبل وفاته وكان يعيش في فاقة كبيرة . ألف شعراً عن سقوطه وبؤسه وتوبته المتأخرة احتفظ لنا ابن العبرى فى تاريخه الكنسى (١) ببعض أشعار منها . وقد حدد القرداحى تاريخ وفاته بسنة ١٠٣٠ أو ١٠٤٠ (٢) .

يشوع بن شوشان اوسوزانا : كان سنكلا ليوحنا التاسع اختاره الأساقفة الشرقيون بطريركا تحت أسم يوحنا العاشر معارضة لأثناسيوس السادس الذى اختاره الأساقفة الغربيون سنة ١٠٥٨ م (٣) . ولكن يشوع تنازل عن منصبه وانعزل داخل دير نتيجة تعرضه لإهانات أعدائه ووهب نفسه للدراسة . ولكنه انتخب ثانيا بطريركا فى سنة ١٠٦٤ وذلك بعد وفاة أثناسيوس ، وقد احتفظ بمنصبه حتى وافته منيته فى سنة ١٠٧٣ م (٤) .

أما عن أعماله فقد وضع مجموعة من أربعة وعشرين قانونا . وكتب رسائل عدة فى الجدل (٥) وألف أنافورا .وكتب رسائل بالعربية إلى بطريرك الاسكندرية خرستودولوس عن الزيت والملح (٦) . ورسالة إلى جاثليق أرمينية ، وله أربع منظومات عن سلب ملطية من الأتراك سنة١٠٥٨م . وجمع ورتب أعمال إفرايم

---

(١) ص ٢٨٩

(٢) أنظر رايت ص ٢٢٤/٥ ، دوفال ص ٣٩٦ ، بومشتارك ص ٢٩١

(٣) التاريخ الكنسى ج ١ ص ٤٣٧ وما بعدها ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ١٤١

(٤) التاريخ الكنسى ج ١ ص ٤٣٧ — ٤٤٧ ، المكتبة الشرقية ج ١ ص ١٤٣ وما بعدها ، بومشتارك ص ٢٩١/٧ ، رايت ص ٢٢٥/٦ ، دوفال ص ٣٩٦

(٥) التاريخ الكنسى ج ١ ص ٤٤٦

(٦) فهرس زوتنبرج ص ٧١

واسحق الأنطاكى ولكن الموت حال دون إتمام هذا العمل (١) .

سعيد بن الصابونى : كان عالماً مشهوراً عاش فى الجزء الأخير من القرن الحادى عشر وكان يكتب باللغتين اليونانية والسريانية ، وكان مشهوراً كأديب وخاصة ككاتب تراتيل (٢) . رشحه البطريرك أثناسيوس السابع أبو الفرج بن خمارى (١٠٩١ — ١١٢٩) لوظيفة أسقف ملطية فى أكتوبر سنة ١٠٩٤ م ، وتم تكريسه مطراناً تحت اسم يوحنا فى قنيقراث بالقرب من آمد . وقد اقترن دخوله ملطية باليوم الذى أوصدت فيه أبواب المدينة لصد الأتراك الذين حاصروها تحت إمرة قيلج أرسلان (داود بن سليمان) وقتل أثناء الحصار فى يوليو ١٠٩٥م على يد جبريل القائد اليونانى (٣) .

كان ابن الصابونى مؤلفاً لكثير من الأناشيد منها نشيد على طراز الأناشيد الفرنسية التى تقرأ بطريقة عمودية : ويتعلق موضوع هذه القصيدة بالقداس الخاص بالاستيلاء على ثياب الرهبنة (٤)

النساطرة : إن حركة التأليف السريانية على يد النسطوريين قد مرت منذ نهاية الألف الأول الميلادية بنوع من الازدهار يمكن أن نتتبع سماته بدرجات متفاوتة فى المؤلفات الأرمينية والجيورجية والقبطية . ويبدو بصفة عامة أن الشرق المسيحى كان يستجمع قواه مرة أخرى قبل أن يلاقى مصيره المحتوم تحت نير

---

(١) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٤٤٧ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٥٥ ، بومشتارك ص ٢٩٢ ، رايت ص ٢٢٦ ، دوڤال ص ٣٩٧

(٢) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٤٦٣ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢١١ — ٢١٢ ، فهرس رايت ص ٣٧٢ رقم ٢٢ ، فهرس زوتنبرج ص ٧٤

(٣) بومشتارك ٢٩٢/٣ ، رايت ص ٢٢٧ ، دوڤال ص ٣٩٧

(٤) دوڤال ٣٩٧

الترك . وكانت الانتصارات التى أحرزتها الجيوش البيزنطية ضد المسلمين بمثابة إشارة البدء لهذه الحركة .

كما نلاحظ تأثيراً يونانيا جديداً ظهرت صوره فى إغراق الأدب النسطورى بمفردات يونانية . ونلاحظ احتشاد المؤلفات السريانية بالمفردات اليونانية والعربية معا بشكل مستمر طوال تلك الفترة . وكان من النتائج الطبيعية لذلك محاولة الرجوع إلى ذخائر القديم ، وهو رجوع يدل على نمو الإحساس الأدبى الشعبى بصفة عامة .

وقد كان الاحتكاك بالثقافة الافرنجية فى عصر الحروب الصليبية أمراً غير بعيد بالنسبة للمسيحيين السريان كما نلاحظ بالنسبة للأرمينيين أيضا . ولقد كان من عواقبه إزكاء الوعى الذاتى . وقد اتخذ الحكام المغوليون بعد انهيار الحكم العربى فى آسية الصغرى موقفا متسامحا من المسيحيين السريان بحيث فكروا فى تنصيب قسطنطين جديد من بين صفوفهم .

وقد بدأت اللغة العربية فى السيطرة على الجانب النسطورى فى هذا القرن والقرن الذى يليه . فخصصت الحركة الأدبية — من ناحية — لتأثير الحياة الفكرية العربية الإسلامية أو خصصت — من ناحية أخرى — للثقافة الكنسية القومية ، مما أبرز الحاجة إلى العناية الفنية والاهتمام بسلامة الاستخدام اللغوى. وقد تجلى ذلك فى ظهور بعض الدراسات النحوية . ومن أظهر ممثلى هذه الحركة الجديدة إلياس الأول فى القرن الحادى عشر وإلياس الثالث فى القرن الثانى عشر واثنان من معاصرى الأول هما عبد يشوع بر بهريز وإلياس بر شينايا . وإلى جانب هؤلاء نجد عمانويل من بيت جرى الذى شارك علاوة على ذلك بنصيب واضح فى الأدب الغنائى . وقد ارتبط اسم سبر يشوع بن بولس بتاريخ تفسير الكتاب المقدس .

إلياس الأول : أو جاثليق نسطورى . كان من بلدة كرخ جدّان فى بيت جرمى (١) تعلم فى بغداد والمدائن وأصبح أسقفا بطرهان فمطرانا لها ثم انتخب بطريركا سنة ١٠٢٨ م وظل بها حتى توفى عام ١٠٤٩ م (٢) .

وقد ركز إلياس جهوده ، فى الفترة التى كان فيها مطرانا — على الأعمال النحوية . ولما أصبح بطريركا كتب أبحاثا فى الحقوق المدنية (القانون) وكتب مجموعة من المصنفات عن مبادىء الدين فى اثنين وعشرين فصلا (٣) ، كما كتب عن القداس . ولإلياس ملخص عن النقط المميزة وعلامات الترقيم اقتبسها واستعملها يوحنا بن زغبى ، وألف إلى جانب ذلك ليتورجيه (٤) .

أبو سعيد عبد يشوع بر بهريز : كان رئيسا لدير مار الياس فى الموصل ، وكان أحد المرشحين للكرسى البطريركى فى سنة ١٠٢٨ م ولكن اختير الياس الأول بدلا منه فى هذا المنصب ، أما أبو سعيد فقد أصبح مطرانا لكل من اربد والموصل (٥) .

كتب عن قانون الميراث ، وجمع قوانين وقرارات كنسية ، وكتب شرحا

---

(١) بومشتارك ص ٢٨٦ ، رايت ص ٢٣٣ ، دوفال ص ٣٩٤

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣/٢٦٢ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٧

(٣) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦٥ وقد طبعه بيثجن مترجمة من مخطوطة فى برلين .

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦٥ هامش ٧ ، فهرس رايت ص ١١٧٦ ع ٢٠ ، رايت ص ٢٣٤ ، بومشتارك ٣٨٧ ، دوفال ص ٣٩٤

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٢٦٣/٤

الوظائف الكنسية وبحثا عن الخلافة (١) .

إلياس برشينايا : ولد عام ٩٧٥ م . وقضى حياته الرهبانية فى دير ميخائيل بالموصل تحت رئاسة رئيس الدير يوحنا الأعرج ، ثم فى دير سمعان على دجلة واختير أسقفاً لبيت نوهادر سنة ١٠٠٢ م ثم مطراناً لنصيبين فى عام ١٠٠٨ م (٢)

وعمله الأكبر هو الحوليات أو كتاب التاريخ الذى لاتوجد منه إلا نسخة واحدة ناقصة طبع « بيثجن » مقتطفات منه سنة ١٨٨٤ م تحت عنوان « مقتطفات تاريخية سريانية وعربية » . وللإلياس أيضاً كتاب فى النحو وهو من أحسن الكتب النسطورية فى هـــذا الموضوع تضمه مخطوطة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢٥٨٧٦ (٣) . وله كذلك معجم للسريانية والعربية ويسمى « كتاب الترجمان فى تعليم لغة السريان » طبعه دى لاجارد (٤) . أخذ عنه توما توفاريا فى كتابه « الخزانة العربية السريانية اللاتينية » سنة ١٦٣٦ م . وهو إلى جانب هذا كله ، كان جامعاً لترانيم يوجد بعضها فى كتب الخدمة النسطورية . كما أن له ميامر وتراتيل مقفاة ، وطبع أربعة مجلدات من القرارات فى القانون الكنسى وضعها عبد يشوع النصيبينى فى كتابه « مجموعة القوانين المجمعية » .

أضف إلى ما سبق رسائل لبعض الأساقفة ومجادلة فى سبعة فصول مع الوزير أبى القاسم الحسن بن على المغربى مختتمة بخطاب إلى الكاتب أبى العلاء سعيد بن

---

(١) بومشتارك ص ٢٨٧ ، رايت ص ٢٣٤ دوفال ص ٣٩٥ ، المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٧٩

(٢) التاريخ الكنسى ج ٢ ص ٢٨٣ ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٤٤٦ ، بومشتارك ص ٢٨٧ ، رايت ص ٢٣٥ ، دوفال ص ٣٩٤ ، بيثجن . مقتطفات ص ١٠١ ، ١٥٢ ، فهرس روزن ص ٨٩

(٣) أنظر رايت ص ٢٣٧ هامش ٢ ، بومشتارك ص ٢٨٨ هامش ١

(٤) أنظر رايت ص ٢٣٧

سهل . وله بعض المباحث العربية ، وكتاب « البرهان على صحة الإيمان » وقد قام السمعانى بتحليل ستة من بحوثه المكتوبة باللغة العربية فى المكتبة الشرقية (١) وأهمها فيما يظهر هى رقم خمسة . وله كذلك كتاب تحت عنوان « تطبيق صحة الإيمان » (٢) .

ويمكن أن تنسب إلى هذه الفترة ، وهى فترة ركود الأدب فى القرنين العاشر والحادى عشر بعض الأعمال الأدبية التى لا يمكن نسبتها إلى مؤلف بعينه أو كاتب بالذات . فمنها مثلا ترجمة كليلة ودمنة من العربية إلى السريانية وهى مخطوطة وحيدة فى مكتبة كلية ترنتى طبعها « رايت » سنة ١٨٨٤ م . ويتضح منها أنها من عمل كاهن مسيحى عاش فى وقت كانت فيه حال الكنيسة السريانية فى انحطاط وقوة الخليفة آخذه فى التضاؤل لذلك كانت حالة المجتمع فى فوضى تامة وتدهور شنيع ، وهو وصف ينطبق تماماً على القرنين العاشر والحادى عشر . والقيمة الحقيقية لهذه الترجمة السريانية الأخيرة أنها تلقى الضوء على النص الأصلى العربى لكليلة ودمنة (٣) .

وظهرت فى هذه الفترة الترجمة السريانية لكتاب السندباد — إذ أنهما تتميز بنفس الأسلوب واللغة — وهى تحمل اسم « قصة السندباد والفيلسوف الذى كان معه (٤) . طبعها « بيشجن » مع ترجمة ألمانية وملاحظات من المخطوطة الوحيدة الموجودة فى المكتبة الملكية ببرلين . ويمكننا أن ننسب إلى هذين القرنين الترجمة السريانية لقصص إيزوب الخرافية التى طبعت تحت اسم يهودى (٥) .

---

(١) مجلد ٣ ج ١ ص ٢٧٠ — ٢٧٢ . أنظر دوڤال ص ٣٩٥

(٢) رايت ص ٢٣٨/٩ ، بومشتارك ص ٢٨٨

(٣) رايت ص ٢٣٩/٤٠

(٤) رايت ص ٢٤١

(٥) أنظر رايت ص ٢٤٢ وهامش ٢١ ص ٢٤٣

القرن الثانى عشر

وصلت النهضة الأدبية اليعقوبية فى هذا القرن إلى ذروة مرحلية تجلت بصورة واضحة فى أعمال المفكر ديونيسيوس بن الصليبى . وهى ذروة لم يبلغها الأدب اليعقوبى منذ أيام يعقوب الرهاوى . وعلاوة على هذا الازدهار تابعت حركة التأليف بشكل متصل نموها فى مجال الكتابة التاريخية ارتبط باسم البطريرك ميخائيل الأول وتيودوروس بن وهبون .

اليعاقبة :

يوحنا الماردينى : كان مطراناً لحران وماردين وكثير من المدن التى تقع فى منطقة ما بين النهرين وقد رشحه لهذا المنصب البطريرك أثناسيوس السابع سنة ١١٢٥ م . وكان قبل ذلك راهبا فى الرها ، يرعى الكنائس اليعقوبية فى الشرق ، وأسقفيته تشتمل على تل بسما ، وكفر توثا ، ودارا ، ونصيبين ، ورأس العين وخابورا أو خابور ، وهب نفسه أساسا لحماية الكنائس المهدمة وصوامع أبرشيته (١) . ولقى يوحنا مصرعه نتيجة سقوطه من فوق الحصان سنة ١١٦٥ م

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢١٧ وما بعدها ، رايت ٢٤٤/٥ ، دوفال ص ٣٩٩

وقد بلغ من العمر سبعين عاما (١)، ومما يؤثر عنه أن عدداً من الأسرى الذين قادهم زنجى، يدينون له بفديتهم بعد الاستيلاء على الرها (٢).

كان يوحنا مغرما بالمخطوطات التى جمعها وأصلحها وجلدها، ونقل نسخا كثيرة من الأناجيل بحروف من فضة وذهب. وقد اكتسب سمعة حسنة كمخطط الأراضى ومهندس عملى وقد أوحى له سقوط مدينة الرها، بنظم قصيدة أنكر فيها وجود الله، فأثار إلحاده هذا استنكار سائر المطارنة. ومن أعماله كذلك ليتورجية (٣).

يعقوب بن الصليبى: كان يعقوب هذا أشهر نجم عند اليعاقبة فى هذا القرن. وهو من ملطية وقد تلقب باسم ديونيسيوس عندما نصبه البطريرك أتناسيوس الثامن أسقفا لمرعش سنة ١١٥٤. ثم عينه البطريرك فى العام التالى مطرانا على أبرشية منبج. ثم نقله إلى آمد سنة ١١٦٦ م حينما خلفه ميخائيل الكبير على البطريركية وظل هناك حتى توفى سنة ١١٧١ م (٤).

---

(١) هذا كما يذكر دوڤال فى ص ٣٩٩ أما رايت فى ص ٢٤٤ فيذكر أنه توفى وله من العمر ثمانية وسبعين عاما ويستند فى هذا إلى التاريخ الكنسى ج ١ ص ٥٣١ والمكتبة الشرقية ج ٢ ص ٢١٦، ٢٦٦

(٢) التاريخ الكنسى ص ٥٠١

(٣) التاريخ الكنسى ج ١ ص ٥٢٥ — ٥٢٧، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٢٢٦، رايت ص ٢٤٠، دوڤال ص ٣٩٩

(٤) التاريخ الكنسى ج ١ ص ٥١٣ — ٥١٥، ص ٥٥٩، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ١٥٦ — ٢١١، بومشتارك ص ٣٩٥ — ٣٩٨، رايت ص ٢٤٦/٧، دوڤال ص ٣٩٩ — ٤٠٠

وليعقوب قائمة كبيرة من المؤلفات تناولها السمعانى بإسهاب فى مكتبته الشرقية (١) منها :

١ — شرح للعهد القديم ويوجد منه مخطوطة واحدة كاملة (٢) . وكل جزء له شرحان ، شرح حرفى أو مادى وشرح روحى . وكثير من الأسفار له شرحان أحدهما عن الترجمة البسيطة وآخر عن النص السداسى . أما إرميا فله ثلاثة شروح واحد على السداسية واثنان عن البسيطة .

٢ — شرح على العهد القديم اقتبس منه السمعانى كثيراً من المختارات (٣)

٣ — أبحاث كثيرة فى اللاهوت توجد بعض منها فى مخطوطات المكتبة الوطنية بالفاتيكان (٤) .

٤ — ليتورجيات وبحث ضد الإلحاد وقصص كثيرة ضد الهراطقة (٥) .

٥ — تعليق على مؤلفات الأطباء وتعليقات على المذهب الجدلى (٦) .

٦ — كتاب يتضمن رسائل ويختص بتاريخ الآباء والقديسين والشهداء ومجموعة قوانين رسولية .

٧ — قصة عن العناية الإلهية موجهة ضد يوحنا أسقف ماردين وقوانين عن العقيدة والغفران ، وعن عذاب الرب ، وعن منع العشاء الربانى ، وعمن امتنعوا عن تناوله أكثر من أربعين يوما .

---

(١) جـ ٢ ص ١٥٧ — ٢٠٨
(٢) انظر رايت ص ٢٤٦ هامش ٨
(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٥٧ — ١٧٠
(٤) رايت ص ٢٤٨ ، دوفال ص ٣٦١ ، ٤٠٠
(٥) المكتبة الشرقية جـ ١ ص ١٧٠ — ٢١١
(٦) دوفال ص ٣٦١ ، ٤٠٠

٨ — مدح وتقريظ لميخائيل الكبير

٩ — دراسة عن بناء الجسم الإنساني .

١٠ — تراتيل وقصيدتان عن الاستيلاء على الرها وثلاث قصائد عن استيلاء الارمن على أرض مرعش سنة ١١٥٦ م . وراثتان عن حادثة أخرى سنة ١١٥٦م

١١ — صلوات مختلفة وافتتاحية وسدرات .

١٢ — شرح عن القرون الوسطى لإيواغريوس .

١٣ — تظلمان عن سقوط الرها سنة ١١٤٤ م

١٤ — شروح عن تقديس الخبز المقدس وعن الاعتراف اليعقوبي للعقيدة، وعن العشاء الرباني .

١٥ — عدة رسائل منها اثنتان بالعربية .

١٦ — كتاب فى الخدمات لأيام الأسبوع .

١٧ — قصيدتان عن مطاردة المفريان الذى وجه إليه الاتهام بأنه زوج مسلمة إلى مسيحى سنة ١١٩٥ (١) .

ميخائيل السرياني الكبير : ولد فى ملطية سنة ١١٢٦ م وكان أبوه إيليا أحد قساوسة ملطية من عائلة قنداسى (٢) . بدأ حياته راهبا بدير برصوما بالقرب من ملطية ، وكان عمله تزويد الدير بالماء وذلك أثناء أسقفية يوحنا ماردين سنة ١١٦٣ م ، ثم عين رئيسا لدير برصوما الذى اتخذه مقراً له فيما بعد (٣) . ثم

---

(١) رايت ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، دوفال ص ٣٩٩ — ٤٠٠ ، بومشتارك ص ٢٩٥ — ٢٩٨

(٢) تاريخ ميخائيل السريانى ص ٧٠٣ ع ١٠ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٦٣ ع ١٠ ، بومشتارك ص ٢٩٨

(٣) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٦٣ ع ١٠ ، دوفال ص ٤٠٠

اختير بالإجماع بطريركا للكرسي الرسولي سنة ١١٦٦ م . وانتقل بعد ذلك إلى دير مار حنانيا وجعل من ماردين مقراً للبطريركية بدلا من آمد التي نقل إليها ابن الصليبي . ويقول « بومشتارك » (١) أنه حدثت خصومة عابرة بين ميخائيل وبين المفريان يوحنا وكذلك بينه وبين رهبان ديره أدى إلى تعكير العلاقات مع الكنيسة الأرمينية في عهد ترسيس وتوفي سنة ١١٩٩ م (٢) .

وللميخائيل أعمال كثيرة منها :ـ

١ ـ كتاب في الاستعداد لتناول القربان (٣)

٢ ـ مجلد به حسابات بخطه كتبه سنة ١١٩٠ يبدأ بتقديس البيعة وينتهي عند العنصرة وأعياد العذراء والرسل والملافنة .

٣ - ليتورجية على حروف الأبجدية بقي منها نسخة محفوظة بمكتبة الفاتيكان ونسخة أخرى بالمكتبة الأهلية بليدن نقلها «رينودوت» من السريانية إلى اللاتينية (٤) .

٤ ـ أنافورا نشر « رينودوت » ترجمة لاتينية لنصها السرياني في الجزء الثاني من كتابه في صفحه ٤٣٨ (٥) بقيت منها نسخة في مخطوطه وادي النطرون جـ ٣ ورقة ١٢٦

---

(١) ص ٢٩٩

(٢) التاريخ الكنسي جـ ١ ص ٥٣٥ ـ ٦٠٥ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٥٤ ، بومشتارك ص ٢٩٨ ، دوفال ص ٤٠٠

(٣) رينودوت ، ليتورجيات شرقية جـ ٢ ص ٥٠

(٤) المرجع السابق ص ٤٣٧ دوفال ص ٤٠٢ هامش ٤ ، برصوم ص٣٩٦

(٥) رايت ص ٢٥١ هامش ٤ ، بومشتارك ص ٣٠٥ هامش ، المكتبه الشرقيه ص ١٥٥ ع ٢٠

٥ — رسالة عن رسامة القساوسة بالسريانية ترجمت إلى اللاتينية وأضيفت إلى نشرة مختصرة لتاريخ ميخائيل ظهرت فى القدس سنة ١٨٧٠ م.

٦ — مواعظ لبعض الأعياد وأيام الآحاد بالسريانية.

٧ — قائمة من الأوامر والتعليمات الكثيرة تشتمل على مذكرة من مفاوضات الاتحاد مع اليونانيين،

٨ — اعتراف بالعقيدة بقى منه ترجمة باللغة الأرمينية.

٩ — تسعة وعشرون قانونا وضعها بالسريانية فى دير مار حنانيا.

١٠ — شرح قانون الإيمان اليعقوبى كتب باللغة اليونانية.

١١ — جمع وراجع الطقوس الكنسية والطقوس الكهنوتية اليعقوبية ورتب محتوياتها فى كتاب يشتمل على ستة وأربعين موضوعا على الصورة التى توجد بها مخطوطة الفاتيكان رقم ٥١.

١٢ — نسخ إنجيلا بالخط الاسطرنجيلى وشى صفحاته بماء الذهب وجلده بالفضة يوجد منه مجلدان بخطه فى مكتبة باريس رقم ١٦٧، ١١٣.

١٣ — رسالة فى الجدل على مارق قبطى يعقوبى اسمه مرقص بن قنبر.

١٤ — مقالة نقض بها بدعة الألبيجيين التى ظهرت فى فرنسا.

١٥ كتاب فى التاريخ العام كتبه من بدء الخليقة حتى سنة ١١٩٥ م وهو أهم كتاب بقى لنا.

١٦ — كتاب فى التاريخ الكنسى بالسريانية.

١٧ — مقالتان عن عمه أثناسوس زكى وابنه إيليا.

١٨ — ميمر فى وصف مناقب المعلم ديونيسيوس بن الصليبى ومصنفاته.

١٩ — أعاد كتابة سيرة مار أخاى أسقف نيقية سنة ١١٨٥ م.

٢٠ — قصيدة سروجية من اثنى عشر مقطعا كتبها سنة ١١٦٧ م عن مآثر

يوحنا مطران ماردين رثاه فيها ، يوجد منها نسخة في دير الزعفران تحت رقم ٢٠٦ ونسخة أخرى في المكتبة البطريركية في أنطاكية .

٢١ — قصيدة أخرى سروجية في مدح القديس برصوم بقي منها ٢٨ ورقة بمكتبة البطريركية بأنطاكية .

٢٢ — ميمر على الوزن الخماسي في قضية الفتاة التلعفرية تنقية .

٢٣ — جمع ميامر افريم والسروجي كلها ودونها في نسخ (١) .

وإليك شيء مما كتبه ميخائيل في كتابه التاريخ :

الاتراك السلاجقة

١٣٦١ يونانية الموافق ٢٠٢٣م ميلادية ٤٣٠ هجرية

في هذا العام تولى الخلافة أبو العباس أحمد القادر بالله ، وفيه أيضا كان قيام دولة الأتراك السلاجقة في فارس وتولى أمرتها طغرليك في عام ٤٣٠ للهجرة وقام السلاجقه بشن غاراتهم على أطراف الدولة البيزنطية وكانت هذه القوات تنهب وتسبي وتحرق ما في طريقها دون مقاومة تعترضها حتى وصلوا مدينه ملطية في شتاء ١٣٦٩ وكان عدة الجيش ثلاثة الاف وكانت المدينة غير مسوره لان رومانوس عندما أستردها من العرب هدم أسوارها .وعندما حاصرها السلاجقة هرب عنها أهلها إلى الجبال فكانوا يموتون من الجوع والبرد وكان السلاجقة يقتلونهم دون رحمة حتى أن الأحياء كانوا يختفون بين جثث القتلى . وضرب السلاجقة خيامهم بجانب تل خارج المدينة وآوى الجيش في مخيمات طوال الليل وكانوا يوقدون بالليل شموع الكنائس .

---

(١) انظر تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٥٢٥ وما بعدها ، المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٣٦٣ وما بعدها ، بومشتارك ٢٩٨ وما بعدها ، رايت ص ٢٥١ وما بعدها ، دوڤال ص ٤٠١ وما بعدها .

وفى اليوم الثانى عذبوا الكثير من الناس حتى أرشدوهم على المخابىء ومن أولئك الذين حل بهم العذاب بطرس الشماس وهو كاتب ومعلم صبيان أمسكوه وهو مشغول فى كتابته وكان يمتلك مكتبة قيمه حسبوه لذلك أنه رئيس على جميع المسيحيين ففرضوا عليه أن يطأ الصليب فامتنع فضربوه وأحرقوه بالنار ولما اشتعلت النار بشعر رأسه جروه على الأرض وأفرغوا عليه قارا مغليا ووضعوا جمرا فى قصعةووضعوها فوق صدره حتى أشرف على الموت فنظر إلى رجليه والنار موقودة بهما فقال : طوبى لكما لاتكما تتطهران . ثم مات .

حاصر السلاجقة تلك المدينة التعسة عشرة أيام نهبوا منها ما نهب وقتلوا من قتل ثم أضرموا فيها النيران فما أنقضى يوم حتى كانت كأن لم تكن . ومن الاماكن التى نهبت ثم خربت دير ابن جاجى .

وعندما عزموا على العودةضلوا الطريق فاجتازوا جبالا غير مطروقةوعبروا أنهارا غير معروفة إلى أن وصلوا واديا قريبا من جبل السناسنة فسقطت عليهم الثلوج الكثيرة أقعدت بهم عن المسير فاحتاطتهم السناسنةفسدوا الطرق والمسالك فى وجوههم فقرسهم الجوع وأماتهم البرد ومن كان فيه رمق من الحياة أخذبسيف السناسنة حتى أنتهى الجيش عن آخره .

أما عن أهل ملطية فمن كان أسيرا أو من تركه القتل فقد عاد إلى مدينته المسكنية وكذلك الذين هربوا فى الجبال أطمأنوا ورجعوا إلى بلدتهم ومن بين تلك الفئة الأولى التى وقعت فى الأسر يوسف الراهب وكتب مذكراته عن هذه الغزوة فى ثلاث مقالات وكتب كذلك ابن شوشن مار يوحنا أربع مقالات فى خراب ملطية ؟ أثنين منها بلحن مار بالاى واثنين بلحن مار أفرام .

ولما وقف الامبراطور وحجابه على أخبار مدينته المؤلمه اصابته الحسرةفمات فى نفس العام .

وقد تولت الحكم بعده ابنته يودورا ولكنها لم تقض أكثر من عام فخلعها ميخائيل العجوز الذى قضى عاما واحدا أيضاً وقد اتصف بالحلم والاهمال ولعدم اكتراثه تسلط السلاجقة على بلاد الروم وأمتدت سلطتهم إلى بحر الحبشة وهم يسبون وينهبون ويحرقون وكان هذا الامبراطور شفوقا على المسيحيين فأرسل إليهم الخيل والعجلات تحمل أثقالهم وتقلهم عن طريق البحر وتركوا جميعا المدن والقرى فى بلاد الحبشة خالية حيث تملكها الأتراك السلاجقة وأصبحت مركزا لسلطانهم .

تيودوروس بن وهبون : كان تلميذ ميخائل الكبير ولكنه تمرد عليه فيما بعد عندما أعرض عن مذهب أصحاب الطبيعة الواحدة وتقرب إلى المذهب الأرثوذكسى (١) . وتحت اسم يوحنا انتخبه أنصاره بطريركا على آمد عام ١١٨٠ م بينما كان ميخائيل يشغل كرسى أنطاكية . ولكن الحظ لم يحالفه فهرب إلى دمشق ثم ذهب إلى أورشليم وصاحب أغريغوريوس ديجا الجاثليق الأرمنى وذهب معه إلى قيلقيا فرسمه الملك لبور بطريركا لليعاقبة فى مقاطعته . وتوفى سنة ١١٩٣ م . وكان ابن وهبون تلميذاً مجداً استطاع أن يتكلم ويكتب ثلاث لغات أجنبية اليونانية والأرمينية والعربية (٢) .

كتب ثيودوروس ليتورجية وترجمها « رينودوت » إلى اللاتينية ، ووضع شرحا للقداس . وأصدر كتابا باللغة العربية ضد ميخائيل ، وكتب شرحا لخدمة

---

(١) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٥٧٥ وما بعدها ، ص ٥٨٤ هامش ٤ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ١٣

(٢) التاريخ الكنسى جـ ١ ص ٥٨١ ، رينودوت جـ ١٠ ص ٤٠٩ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢١٦ فهرس باين سميث ص ٢٤١ ، بومشتارك ص ٣٠٠

العشاء الربانى (١) .

النساطرة : فى تلك الفترة نجد اتجاها ذا طبيعة لغوية أساسا ، يتضح فى المؤلفات النثرية لجماعة من الرجال . وقد أسهموا علاوة على ذلك فى تقديم بعض الألحان الليتورجية أو عرض بعض المواد العلمية المتخصصة الجافة فى صورة شعرية موزونة . وينتمى إلى تلك الجماعة سليمان من البصرة ويشوع يب ابن ملكون وشمعون من شنقلاباذ ويوحنا بن زعبى الذى كان ذا اهتمامات فلسفية ، كما يندرج تحتها يعقوب أو سويروس بن شقو الذى كان تلميذاً ليوحنا بن زعبى والذى يمثل إنتاجه ظاهرة غريبة فى نوعها . وغير هؤلاء لايوجد أحد يستحق الذكر لأن المؤرخ مارى بن سليمان كتب بالعربية (٢) . ويوجد عمله فى مكتبة الفاتيكان، كذلك أبو حليم بن الحديثى من ميافرقاط(٣) مطران نصيبين أستعمل نفس اللغه فى تراتيله وخطاباته ، وهو جدير بالذكر لجمعه وترتيبه الصلوات فى كتاب من كتب الخدمات الذى دعى باسمه « أبو حليم » . وسوف نذكر فقط المؤلفين الذين أستخدموا السريانية لغة للتأليف .

يشوع يب برملكون : نصب أسقفا على نصيبين سنة ١١٩٠ م وقد رشحه لهذا المنصب الجاثليق يب ألاها الثانى (١١٩٠ – ١٢٢٢) وتوفى فى عهد خلفه البطريرك سبر يشوع الخامس (٤)

ألف بحثا نحويا على هيئة أشعار سريانية (٥) وله بحث فى الإيمان وكذلك

---

(١) بومشتارك ص ٣٠٠/١ ، رايت ص ٢٥٣/٤ ، دوفال ص ٤٠١

(٢) أنظر رايت ص ٢٥٥ هامش ١ ، بومشتارك ص ٣٠٩ وهامش ٩

(٣) أنظر رايت ص ٢٥٦

(٤) رايت ص ٢٥٧ ، دوفال ص ٢٩٧ ، بومشتارك ص ٣٠٩

(٥) دوفال ص ٢٩٤/٥ ، ٣٩٧

ترتيل وخطابات ورسائل كتبت بالعربية (١) .

شمعون شنقلاباذى أو مشنقلاوى : من شنقلاباذ أو شنقلاوه بالقرب من إربل ، كان معاصراً لبرملكون وهو أستاذ يوحنا بن زغبى (٢) الذى كتب له تاريخاً فى صورة أسئلة وأجوبة .

له قصيدة منظومة بالسريانية ولكن أسلوبها غامض وغير مفهوم ، فقام ابن عبد يشوع بعمل تعليق عليها استجابة لطلب تلميذه أبراهام (٣) ثم نشرها القرداحى دون أن يضيف شرح ابن عبد يشوع فأدى ذلك إلى أن فقد هذا النص قيمته . واشمعون شرح لمختلف العصور والتقاويم منه مخطوطة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢٥٨٧٥ (٤) ومخطوطات كثيرة فى برلين . وينسب لشمعون أيضاً أبحاث عن القربان المقدس والتعميد نشرها السمعانى (٥) .

يوحنا بن زغبى : عاش حوالى نهاية القرن الثانى عشر وبداية الثالث عشر كان قسيساً فى دير سبريشوع فى بيت قوقا فى حذيب . كما كان تلميذاً لشمعون شنقلاباذى (٦) .

ألف يوحنا ترانيل منغمة عن الايمان يوجد مخطوطة عنها فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢٣٠٥ بعضها مؤلف من سبعة مقاطع وبعضها من ١٢ مقطعاً ذكر

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٢٩٥ — ٣٠٦ انظر رايت ص ٢٥٧ بومشتارك ص ٣٠٩

(٢) بومشتارك ص ٣١٠ ، رايت ص ٢٥/٨ ، دوفال ص ٢٩٨ ، ٢١٢

(٣) أنظر رايت ص ٢٥٨ هامش ٣

(٤) فهرس رايت ص ١٠٦٧

(٥) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٥٦٢

(٦) بومشتارك ص ٣١٠ — ٣١١ ، رايت ص ٢٥٨/٩ ، دوفال ص ٢٩٨

السمعانى واحدة منها فى مكتبته الشرقية (١) وأخرى عن أربع مشكلات فلسفية، والمخطوطة موجودة فى برلين (٢) . وله كتابات فى النحو الأكبر منها ما هو مؤسس على أعمال الكتاب السابقين مثل سويروس سبقط ودنحا وإلياس الأول الجاثليق وإلياس برشينايا أسقف نصيبين . أما كتاب النحو الأصغر فملخص منظوم مصحوب بنبذة شعرية عن العلاقات الأربع الرئيسية للترقيم موجود فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢٥٨٧٦ ، وله قصيدة شعرية عن الأربع مسائل للفلسفة (٣)

---

(١) مجلد ٣ ج ١ ص ٥٦٢

(٢) مجموعة زخاو رقم ٧٢ ص ١٥

(٣) المرجع السابق ، بومشتارك ص ٣١١ ، رايت ص ٢٥٩ ، دوفال ص ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، المكتبة الشرقيه مجلد ٣ ج ١ ص ٣٠٩

القرن الثالث عشر

مثل المصباح الذى يتوهج قبل أن ينطفىء ، هكذا كان القرن الثالث عشر شاهد صحوة ضعيفة للأدب السريانى قبل انقراضه ، إذ بدأ الكيان الشعبى السريانى يذوب وسط الكيان الاسلامى التركى بما أدى بشكل مباشر إلى اندثار نهائى ، ولم يستطع الاتصال الجديد بالثقافة الغربية أن يوقفه فى فجر الكنيسة الكلدانية الموحدة .

اليعاقبة :

داود بن بولس : يدل طابع أو شكل قصائده على أنه عاش فى مستهل القرن الثالث عشر . ذكره ابن العبرى فى كتابه مخزن الأسرار وكان يلقبه تارة بقسيس وتارة بمطران (١) .

كان ناظماً ذا ثقافة كبيرة ، ترك نظماً عن حروف الهجاء السريانية يوجد فى مخطوطة الفاتيكان ص ١٦٤ ، ٢٠٨ (٢) . وله حوار جدلى بين الملكانيين واليعاقبة عن ترتيل الثالوث. كذلك وضع نبذة دينية بالعربية فى النزاع بين اليعاقبة

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢٤٣

(٢) انظر رايت ص ٢٦١

والملكانيين . وله نظم أخلاقى فى اثنى عشر مقطعاً وآخر عن التوبة ترجم إلى العربية ومحفوظ فى مخطوطة الفاتيكان رقم ٥٨ ، وله مذكرة عن الحروف الشبيرة (١) . وله مقتطفات عن النحو (٢) . وقد نشر القرداحى بعضاً من قصائده

يعقوب برشقناقو أو شقو : أو عيسى بن مرقس من برطلاى أو برطولا بالقرب من الموصل . كان قسيساً لدير مار متى قبل أن يصبح مطراناً . درس النحو تحت إشراف برزغبى فى دير بيت قوقا فى حذيب (٣) . درس المنطق والفلسفة على كمال الدين موسى بن يونس فى الموصل (٤) وكان كمال الدين فيلسوفاً عربياً ذائع الصيت . توفى برشقو عام ١٢٤١ م أثناء الزيارة التى كان ينوى القيام بها إلى البطريرك الحسن أغناطيوس الثانى .

ويمتلك برشقو مجموعة كبيرة من الكتب سلمت كلها إلى ديموسين حاكم الموصل (٥) ومؤلفاته عبارة عن عمل موسوعى عن العلوم التى درست للسريان . وهى كما يلى :

١ — كتاب الكنوز : وهو عبارة عن منتخبات لاهوتية كتبت عام ١٢٣١م وهى مكونة من أربعة أقسام : القسم الأول عن الثالوث ، والقسم الثانى عن تجسد ابن الله ، والقسم الثالث عن العناية الالهية ، والرابع عن خلق العالم والملائكة

---

(١) رايت ص ٢٦٠ ، دوفال ص ٤٠٥

(٢) دوفال ص ٢٩٧

(٣) هوفمان : المختصر ص ٢١٥ ، بومشتارك ص ٣١١ ، رايت ٢٦٠/١ دوفال ص ٤٠٦/٧

(٤) التاريخ الكنسى ج ٢ ص ٤١١

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠٩ — ٤١٢

والأنواع المختلفة للحياة وروح الانسان والبعث والحساب الأخير وهى محفوظة فى المتحف البريطانى وفى فهرست الفاتيكان (١) .

٢ — محاورات فى كتابين : الكتاب الأول وهو عبارة عن محاورة عن النحو متنوعة بملخص عن نفس الشيء فى إثنى عشر مقطعاً شعرياً ، ومحاورة ثانية عن البلاغة وأخرى عن فن الشعر ، ورابعة عن عالم البلاغة وغزارة اللغة السريانيه

الكتاب الثانى وهو عبارة عن محاورة عن المنطق والقياس ، وثانية عن الفلسفة بأنواعها وأقسامها وتجزئة الأقسام فى خمسة فصول (أ) عن تعريفات الفلسفة وأقسامها (ب) عن الحياة الفلسفية والسلوك جـ) عن الطب وعن وظائف الأعضاء (د) عن الأنظمة الأربعة : الحساب والموسيقى والهندسة والرياضة . (هـ) العقليات واللاهوت . وهى موجودة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢١٤٥٤ وفى فهرس رايت ص ١١٦٥ (٢) .

٣ — رسالتان فى المتحف البريطانى تحت رقم ٧١٩٣ (٣) منظومتان من سبعة مقاطع الرسالة الأولى منها موجهة إلى فخر الدولة مرقس بن توما . وأما الرسالة الثانية فركيكة والفرق بين الرسالتين أن الأولى تبتدىء وتنتهى بالحرف (ف) والثانية بالحرف (ت) وموجهة إلى تاج الدولة أبى طاهر سعيد أخى فخر الدولة مرقس (٤) .

---

(١) رايت ص ٢٦٢ ، دوفال ص ٤٠٧

(٢) انظر رايت ص ٢٦٢ ، دوفال ص ٤٠٧

(٣) التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٤٠٧

(٤) وضعها برشقاقو نفسه فى كتاب الكنوز جـ ٢ فصل ١٤ كما وضع شرحا للخدمات ، وصلوات الكنيسة التى خصصها لنفس العمل جـ ٢ فصل ٣٠ انظر المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢٤٠ . بومشتارك ص ٣١١/٢

أما سائر كتابات برشقاقو فهى إقرار بالإيمان الصحيح عن الثالوث المقدس والتجسد بالإضافة إلى شرح القداس والصلوات (١) .

هرون بر معدنى : عين أسقفاً على ماردين تحت اسم يوحنا ، وفى سنة ١٢٣٢ م رقاه البطريرك اليعقوبى إلى مركز مفريان الشرق (٢) . ولما وجد أن مظهره الخارجى غير ملائم ، وأنه يفتقر إلى الفصاحة انعزل فى بغداد حيث حظى برعايه أبناء توما الثلاثة وهم شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة الذين كانوا أطباء ذوى نفوذ فى بلاط المستنصر بالله . وهناك أتقن دراسة العربية ، ثم عاد إلى الموصل واستقبل بكل آيات الاحترام وكان ذلك فى سنة ١٢٤٤ م . وبعد موت إغناطيوس سنة ١٢٥٢ وانتخب ديونيسيوس هرون العنجورير بطريركاً ، وانتخب فريق من الشعب بر معدنى (٣) . وهكذا حكم الاثنان فى كنيسة منقسمة حتى قتل ديونيسيوس فى دير برصوما بالقرب من ملطية فى سنة ١٢٦١ م واستمر بر معدنى بطريركاً حتى سنة ١٢٦٣ م (٤) .

وتتكون مؤلفات بر معدنى من عدة قصائد . ومن أشهر قصائده قصيدة عن الروح معنونة باسم « الطائر » . وقصيدة عن طريق الكمال ، وأخرى عن استيلاء السلطان السلجوقى على الرها وأماكن أخرى فى سنة ١٢٣٥ م (٥) . وله

---

(١) بومشتارك ص ٣١٢ ، رايت ص ٢٦٣ ، دوفال ص ٢٨٤ ، ٤٠٧

(٢) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٤٥٤ ، بومشتارك ص ٣٠٧ ، رايت ص ٢٦٣ ، دوفال ص ٤٠٨

(٣) تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٧٠٧ ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٣٧٧ ، انظر رايت ص ٢٦٤

(٤) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٤٠٧ — ٤١٦ ، أنظر دوفال ص ٤٠٨

(٥) رايت ص ٢٦٥ ، دوفال ص ٤٠٨

كذلك ليتورجية إلى جانب تراتيل لأعياد السنة . كما تحتوى مخطوطة الفاتيكان ص ٩٧ على تراتيل مختلفة بالعربية (١) .

ويذكر ابن العبرى فى سنة ١٢٢٨ م جبرائيل طبيب الرشا الذى ألف بالسريانية كتبا فى الطب وفى الفلسفة (٢) .

ابن العبرى : يدخل الكتاب السابقون دائرة الظل إلى جانب الشكل المهيب لابن العبرى حيث قام بإنعاش اللغة والأدب من ناحية وإنشاء أثر يعتبر خلاصة شامله للحضارة فى الماضى من ناحية أخرى ، فتناولت مؤلفاته المتعددة جميع فروع العلوم وهو يعتبر فى نفس الوقت عالم موسوعى ويعد تأليفه تاريخ السريانى والتاريخ الكنسى فى طليعة مؤلفاته بغير منازع ، كما تتميز قصائده بسهولتها وعذوبتها وهى تخالف أعمال النساطرة المنظومة والتى تبدو جليا مظاهر الصنعة ، وقد أودت بالأدب إلى حالة يرثى لها .

وابن العبرى يمثل طرازاً فريداً من الرجال يتميز عن أى كاتب سريانى آخر بأنه مزج التراث الفكرى الإسلامى بالتراث الكنسى القومى مثقافة المسيحية . ولا يمكن أن نقارنه من حيث تنوع إنتاجه إلا بمعاصره الأوروبى « ألبرت الكبير » ، بل إنه تفوق على ألبرت فى كتاباته فى جميع مجالات اللاهوت والفلسفة والعلوم المتخصصة الدنيوية بأنواعها المختلفة . كما كتب القصص والشعر والنثر

---

(١) موجودة فى مخطوطة الفاتيكان ٩٧ ، ٢٢٠ انظر دوفال ص ٤٠٩

(٢) فهرس باين سميث مجموعة ٢٨٢ ، ٦٤١ ، برلين مجموعة زخاو رقم ٨٠٦١ . انظر القرداحى ص ٦٦ ، رينودو الأدب الشرقى مجلد ، ص ٥١٢ دوفال ص ٤٠٨/٩ ، رايت ص ٢٦٦ ، بومشتارك ٣٠٧/٨ انظر دوفال ص ٢٧٨ هامش ٢

على السواء . وقد تميز إنتاجه إلى جانب الاتساع بالتعمق فى نفس الوقت بحيث أنه تجاوز مجرد دور المترجم ، وأصبح إنتاج معاصريه من اليعاقبة يمثل بالنسبة إليه إنتاجا ضعيفا تافه القيمة .

وقد عرفنا تاريخ حياته من خلال المعلومات التى تركها فى تواريخه (١) أن اسمه المدنى جريجوري أبو الفرج واسمه فى العماد يوحنا ويكنى بابن العبرى ولد فى ملطية عام ١٢٢٦ م ، وهو حفيد أسرة يهودية . كان أبوه طبيبا مشهوراً فى ملطية وكان يهوديا مرتداً يدعى هرون وهب نفسه من صغره لتعلم اليونانية والعربية ، ثم شغل نفسه بالكهنوت والفلسفة إلى جانب مزاولة الطب تحت إشراف والده وأطباء آخرين ، وكانت حياته مشوبة بالبؤس والتعاسة .

فى سنة ١٢٤٣ م هرب أبوه مع الهاربين من ملطية إلى حلب قبل تقدم جماعات هولاكو والتتار . ولم يهرب ابن العبرى مع أبيه إلى حلب . وقد سنحت له الفرصة فعالج القائد المغولى الذى كان مريضا ، ثم ذهب بعد ذلك هو وأولاده إلى أنطاكية التى كانت لاتزال فى أيدى الفرنسيين . وهناك أكمل ابن العبرى دراساته وبدأ حياة الرهبنة . ثم ذهب إلى طرابلس حيث درس الطب والفلسفة على مدرس نسطورى يدعى يعقوب .

وفى سنة ١٢٤٦ م فى شهر سبتمبر كان قد بلغ من العمر عشرين عاما فعينه البطريرك اليعقوبى أغناطيوس الثانى مطرانا على جوباس بالقرب من ملطية ، وفى العام التالى جلس فى كرسى مطرانية لاقافين وهى أبرشية أخرى متاخمة لملطية

---

(١) التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٤٣١ وما بعدها ، المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٢٤٤ وما بعدها ، بومشتارك ص ٣١٢ — ٣١٦ ، رايت ص ٢٦٦ — ٢٨١ ، دوفال ص ٤٠٩ وما بعدها .

وبعد وفاة أغناطيوس تعصب ابن العبرى لديونيسيوس ضد بن معدنى فأرسله إلى حلب سنة ١٢٥٣ م ثم عزله صديقه القديم صليبا . ولم يسترجع هذا المنصب حتى سنة ١٢٥٨ م ورشح لمنصب المفريان سنة ١٢٦٤ م . ومنذ ذلك الوقت أصبحت حياته نشيطة ومملوءه عملا . ثم وافته منيته فى أذربيجان فى ٣٠ يوليو سنة ١٢٨٦م ونقل جثمانه إلى دير مار متى بالقرب من الموصل : وقد أظهر اليونان والأرمن والنساطرة احتراماً كبيراً لذكراه فأغلقوا الحوانيت فى ذلك اليوم .

عاش ابن العبرى منذ دخوله فى نظام الرهبنة حتى وفاته حياة مضطربة تتقاذفها الدسائس التى كانت قائمة بين الأحزاب السياسية والدينية ، ذلك بالإضافة إلى الكوارث الناجمة عن غزوات المغول ، وأسفاره المتعددة التى كانت تفرضها عليه مسئولياته . وقد عرف هذا الأسقف كيف يحظى باحترام وتكريم الجميع لما كان له من مركز علمى ممتاز وخلق كريم وتواضع طبيعى وتسامح نادر (١) .

تناول فلسفة أرسطو متتبعاً خطى ابن سينا وغيره من كتاب العرب . وله من الكتب ما يأتى :

١ ــ كتاب مختصر لفن المنطق أوعلوم الكلام يشتمل على مقدمة عن فائدة المنطق وسبعة فصول (٢) .

٢ ــ كتاب الكلام عن الحكمة ، وهو مختصر لعلوم الكلام والطبيعة والعلم الإلهى واللاهوت (٣) .

٣ ــ دائرة معارف كبيرة تشتمل على النظام الأرسطالى بأكمله . المجلد

---

(١) بومشتارك ص ٣١٢/٤ ، رايت ص ٢٦٦/٨ ، دوفال ص ٤٠٩/١٠

(٢) موجود فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠١٧

(٣) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٣٠٧ ، رايت ص ٢٧١

الأول يحتوى على المنطق والتفسير والمحاورات وفن الشعر . والمجلد الثانى يشتمل على الطبيعة أى الثقافة الخارجية والطبيعة والكون والفساد والنبات والحيوان . والمجلد الثالث يتناول فى قسمه الأول ما وراء الطبيعة أى الأساس ، وكتاب الفلسفة واللاهوت ، ويتناول القسم الثانى علم الأخلاق والاقتصاد والسياسة .

٤ — اختصار لدائرة المعارف السابقه يسير على نفس المنوال ولكن بعبارات مختصرة .

٥ — ترجمة سريانية لكتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا .

٦ — ترجمة لكتاب زبدة الأسرار لمعاصره أثير الدين مفضل بن عمر الأبهرى

٧ — مجموعة من القوائم الفلكية أو التقويم الفلكى لاستعمال المبتدئين .

٨ — مؤلف كامل عن الفلك والكون تحت عنوان « تقدم العقل » ألفه سنة ١٢٧٩ م (١) .

٩ — شرح بالسريانية عن الأسئلة الطبية لحنين بن أسحق ، كما طبعه فى ترجمة سريانية مختصرة (٢) .

١٠ — شرح لقاعدة هيبوقراطس بالعربية (٣) .

١١ — ترجمة سريانية ناقصة لكتاب « القانون فى الطب » لابن سينا .

١٢ — كتاب « الأشعة فى النحو » وهو أكبر كتاب فى النحو .

١٣ — كتاب « الجراماتيقا » نشره « بركو » سنة ١٨٤٣ م ولكن بدون الفصل الخامس ، موجود فى المخطوط الشرقى رقم ١٨ بمكتبة جامعة جوتنجن

---

(١) انظر رايت ص ٢٧١

(٢) المكتبة الشرقية ج ٢ ص ٢٧٠ رقم ١٦ ، رايت ص ٢٧٢

(٣) التاريخ الكنسى ج ٢ ص ٢٦٨ . انظر رايت ص ٢٧٢

ولكن أعاد « مارتن » نشره فى كتابه (١) .

١٤ — كتاب « الشرارة » وهو كتاب صغير فى النحو تركه ناقصاً .

١٥ — كتاب « مخزن الأسرار » . وهو شرح فقهى مضبوط على نص الكتاب المقدس للعهدين القديم والجديد مؤسساً على البشيطتا .

١٦ — كتاب « مصباح المحراب » مؤلف عن الأسس أو المبادىء التى تقوم عليها الكنيسة وهو يتناول اثنتى عشرة قاعدة فى الموضوعات الآتية :

١ — معلومات عامة ٢ — طبيعة العالم ٣ — اللاهوت ٤ — التجسد ٥ — معرفة المواد السماوية مثل الملائكة ٦ — عن الكهنوت ٧ — الأرواح الشريرة ٨ — الروح العاقلة ٩ — عن الإرادة المطلقة والحرية والحظ والتصيب ١٠ — البعث ١١ — نهاية العالم وحساب الآخرة ١٢ — عن الجنة .

١٧ كتاب « الإشعاعات » وهو ملخص للاهوت وهو يجرى على نفس منوال الكتاب السابق ويقع فى عشرة فصول .

١٨ — كتاب « الحمامة » ويعنى عناية خاصة بفائدة النساك الذين يعيشون فى وحدة كالمتوحدين وينقسم إلى أربعة فصول .

١٩ — اقتباس وترتيب وشرح على كتاب هيراثيوس « المعجزات الخفية لبيت الله » .

٢٠ — أنافورا واعتراف بالعقيدة والأول موجود فى المتحف البريطانى رقم ٧١٨٩

٢١ — كتاب « الإرشادات » وهو ذا أهمية كبيرة .

---

(١) « الكتب النحوية لأبى الفرج » ج ٢ ويشتمل على الفصل الخامس ويوجد فى مخطوطه باريس رقم قديم ١٦٧

٢٢ — تاريخ عالمي في ثلاثة أقسام . القسم الأول ويحتوى على تاريخ العالم السياسي من الخليقة حتى عصره . والقسم الثاني تاريخ الكنيسة من هرون فازلا والقسم الثالث عن تاريخ انقسام الكنيسة السريانية الشرقية من مارى توما الرسول فصاعداً .

٢٣ - تنقيح بالعربية للتاريخ السياسي أكمله قبل مرضه الأخير بشهر ويسمى هذا الكتاب « مختصر تاريخ الدول » .

٢٤ — مجموعة من الهزليات بالسريانية ولهذا نسخه بالعربية تحت عنوان « دفع الهم » .

٢٥ — كتاب تفسير الأحلام .

٢٦ — قصائد شعرية كثيرة في مواضيع مختلفة .

وقد جاوزت مؤلفاته التاريخية كل ما كتبه في القيمة والأهمية (١) .

ومن أقواله في أسباب المحبة

للمحبة ، أيا كان نوعها ، خمسة أسباب وهي : القوام الذاتي ، وفعل الخير ، والجمال الظاهر ، والجمال الباطن ، والشبه الخفي . وبالنسبة إليها جميعا ، تستوجب محبة الله . وذلك واضح من أنه إذا أحب الإنسان قوامه الذاتي ، فمن الضرورة أن يحب موجد هذا القوام وهو الله الذي به نوجد ونحيا ونتحرك .

وإذا أحب الإنسان من أحسن إليه دون أن يرجو منه أي مقابل ، فالأولى أن يحب الله الذي أعد له خيرات تفوق العد ، أعني بها ضياء الشمس والقمر والكواكب ، واعتدال المناخ ، ومياه السحب والأنهر والينابيع ، وثمار الأرض

---

(١) انظر رايت ص ٢٦٩ — ٢٨١ ، بومشتارك ص ٣١٢ وما بعدها ، دوفال ص ٤٠٩ وما بعدها .

والحيوانات والبهائم ، وما إليها من أمور لا حد لها . وإذا أحب الجمال الطاهر، فكيف لا يحب من يتحلى للانقياء القلب بلباس أبيض بارق كالثلج ، وشعر (أى شعر رأسه) كالصوف النقى ، متربعا على عرش ملتهب وعجلات مضطرمة ومركبة ذات الوجوه الأربعة والحقوان من وفق إلى رؤيته ، بنبذ حب كل مخلوق وتلهف إليه وحده وإذا كان الجمال الباطن المقرون بمعرفة الأسرار الخفية ، وبتجنب اهواء الخطيئه : وبالاقتراب من أعمال البررة ؛ باعثا للمحبة . فمن ذا الذى لا يحب مقدس القديسين ومطهر الدنسين ، الذى ، معرفة جميع المخلوقين ليست بمعرفة بالنسبة إلى معرفته .

وإذا كان الشبه الخفى باعثا للمحبه ، فما أشقى الإنسان الذى لا يحب ربه الذى صنعه على صورته ومثاله .

دانيال بر خطاب . كان معاصراً لابن العبرى ولو أنه كان أصغر منه ألف مختصرات بالعربيه لكثير من أعمال ابن العبرى مثل مختصر القوانين والنحو الأكبر . وله بالعربيه « المبادىء الأولى للعقيدة وتقربة قلوب الصادقين » . وله مقالتان فى المكتبه الشرقيه ولابن العبرى أشعار مرسلة إلى دانيال هـذا وإجابات عليها (١) .

وبدانيال تنتهى قائمة الكتاب اليعاقبة فى سوريه .

النساطرة : إذا كان القرنان الحادى عشر والثانى عشر قد تركا لشكل ملحوظ فى الكنيستين السريانيتين الإحساس بالإحياء وخاصة بالنسبة للإنتاج الشعرى فقد بدأ القرن الثالث عشر مرحلة إزدهار كبيرة للأدب النسطورى على الأقل . ويلاحظ هذا الازدهار فى الحان الليتورجيات المختلفة إلى جانب لون من الشعر

---

(١) حـ ٢ ص ٢٤٤ ، ٤٦٣

التعليمى واضح الملامح . ومن ممثلى النوع الأول جرجس وردا فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، وكان الطبيب مسعود بن القس من أبرز ممثليه فى أواسط القرن . ودنحا وسبر يشوع الخامس فى النصف الثانى من ذلك القرن . بينما يمثل الجانب التعليمى على الجانب النسطورى يوحنان الموصلى وعلى الجانب اليعقوبى الآب يوحنان بر معدنى .

سليمان خيلاط أو أخلاط : لايعرف إلا القليل عن حياته . فهو من مدينة تقع على الضفة الغربية من بحيرة فان . عين مطراناً للبصرة وشاهد تكريس الجاثليق سبر يشوع فى سنة ١٢٢٢ (١) . كتب رسائل عن شكل السموات والأرض (٢). كتب بعض الصلوات ، وله أحاديث قصيرة ، وكتاب تحت عنوان « كتاب النحلة » وهو عبارة عن مصنفات تاريخية ولاهوتية تحوى كثيراً من الأساطير عرف السمعانى بهذا الكتاب ووضع تحليلا له فى مكتبته الشرقية (٣) . كما قام شونفلدر Shönfelder سنة ١٨٦٦ بنشره مع ترجمة ألمانيه له ولكن بها كثير من الأخطاء . كما قام Badger بطبعه مع ترجمة انجليزية سنة ١٨٨٦ م . وأهدى سليمان هذا الكتاب إلى صديقه نرسى أسقف خونى على الراب الأصغر (٤) .

جرجس وردا الاربلى : أحد مشاهير شعراء هذا العصر ، وقد دخل شعره كثيراً فى استعمال الكنيسة النسطورية حتى أن كتاباً من كتب الخدمة يسمى حتى

---

(١) المكتبة الشرقية جـ ٢ ص ٥٣ ، رقم ٧٥ ، التاريخ الكنسى جـ ٢ ص ٣٧١ دوفال ص ٤٠٢

(٢) المكتبة الشرقية مجلد ٣ جـ ١ ص ٣١٠ ، رايت ص ٢٨٢/٣ ، دوفال ص ٤٠٣

(٣) مجلد ٣ جـ ١ ص ٣٠٩ — ٣٢٤

(٤) هوفمان ، المختصر ص ١٨٩ ، ٢٩٦

اليوم « وردا » وترجم Budge أحد هذه الأناشيد إلى الانجليزية ، كما نشر القرداحى جزءاً من النشيد الخاص بالبشارة . وقد أخذ على وردا أنه استخدم كثيراً من الكلمات اليونانية ، وتحدد تاريخ هذه القصائد من خلال الكوارث التى تكلم عنها والتى حدثت فى السنوات ١٢٢٤ — ١٢٢٧ (١) .

مسعود بن القس : ومن عائلة بيت قشا وفى العربية ابن القس، كان طبيباً للخليفة المعتصم وعاش فى عزلة بعد موت الخليفة ثم توفى سنة ١٢٨٠ م قام بتأليف قصائد بمناسبة عيد الغطاس وتوجد إحدى هذه القصائد فى مخطوطة الفاتيكان ١٨٤ كما نشر القرداحى نسخا منها فى كتابه (٢) .

خامس بر قرداحى الاربلى : كان أصغر معاصر لابن العبرى كما يبدو من مراسلاته مع دانيال برحطاب . وهو الإبن الخامس لأبويه ومن هنا جاءت تسميته بالخامس .

قدم كثيراً من الأعمال البارزة فى أكثر من مجال . وفى مجال الشعر نجد عند خامس إلى جانب الإنتاج المألوف فى خدمة الليتورجيات نجاحاً علمانياً قوياً ، وإن كان هناك بعض المؤلفين الآخرين الذين ساروا فى نفس هذا الاتجاه وإن كانت إسهاماتهم أقل شأناً من خامس . وهو صاحب مجموعة الأناشيد وهى عبارة عن عرض لحياة وحكم وعجائب المخلص ، كما تناولت بعض الأناشيد الأخرى موضوع العقاب . وقد حددت أناشيده تاريخ موته لسنة ١٣٥٠م (٣) .

---

(١) بومشتارك ص ٣٠٤/٥ ، رايت ص ٢٨٣/٤ ، دوفال ص ٤٠٢

(٢) بومشتارك ص ٣٠٦ ، رايت ص ٢٨٣/٤ ، دوفال ص ٤٠٣

(٣) فهرس باين سميث ج ٢ص ٣٠٢ ، مجلد ٣ ح١ ص٥٥٦ انظر بومشتارك ص ٣٢٠ ، رايت ص ٢٨٤ ، دوفال ص ٤٠٣

جبرييل قمصا : كان راهباً من دير قوقا ثم أصبح فيما بعد مطراناً للموصل ولذا استطاع بوصفه مطراناً حضور الاحتفال بتكريس يب ألاها الثالث بطريرك النساطرة سنة ١٢٨١ م .

له قصيدة طويلة فى مخطوطة الفاتيكان رقم ١٨٠ (١) . وهى تتناول الخلق والتجسد وحياة المسيح وتبشير الأنبياء ومدح آباء الكنيسة . ويختتمها بمدح مبر يشوع مؤسس بيت قوقا (٢) .

يوحنا الموصلى : كان قسيسا لدير القديس ميخائيل الذى يقع بالقرب من الموصل . وترك مجموعة من القصائد التربوية التى تحث على الفضيلة تحت عنوان « كتاب الرجل الصالح » نشرها إلياس مطران أكرا فى روما سنة ١٨٦٨ م تحت عنوان « اتجاهات الروح » وذلك إلى جانب قصائد سريانية أخرى . وتوفى سنة ١٢٧٠ (٣) .

عبد يشوع بربريخا : مطران نصيبين . وهو آخر كتاب النساطرة الذين يستحقون الحديث عنهم أو ذكرهم . قام بحراسة الكنيسة النسطورية التى عملها ابن العبرى فى مقابل ما لليعاقبة . عاش تحت حكم يب ألاها الثالث ، وكان أول أسقف لسنجار وبيت عربايا حوالى سنة ١٢٨٥ م (٤) . ثم مطرانا لنصيبين وأرمينية سنة

---

(١) فهرس الفاتيكان ج ٣ ص ٣٧٦ ، المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٥٦٦ انظر رايت ص ٢٨٤

(٢) دوفال ص ٤٠٣

(٣) رايت ص ٢٨٥ ، دوفال ص ٤٠٣/٤

(٤) المكتبة الشرقية ج ١ ص ٥٣٩

١٢٩٠ م . وتوفى سنة ١٣١٨ م (١) .

قام عبديشوع نفسه بكتابة قائمة مؤلفاته الكثيرة فى نهاية فهرسه الذى نقل إلينا العديد من مؤلفات النساطره التى فقدت اليوم وقد اتخذ السمعانى هذا الفهرست أساسا للمجلد الثالث الجزء الأول من مكتبته الشرقية (٢) .

كان مجهود عبد يشوع الرئيسى فى الشعر فألف « جنة عدن » وهى مجموعة من خمسين بيتاً عن الأمور الدينية كتبها سنة ١٢٩١ م . (٣) . وفى سنة ١٣١٦ م أضاف المؤلف إليها اثنين وعشرين بيتا تتناول محبة الحكمة والمعرفة تضمها مخطوطة فى الفاتيكان (٤) .

أما عمله الأصغر فهو عبارة عن مقالات تعزية وخطابات وشروح على رسالة أرسطو إلى الاسكندر ، وله شرح على شعر سمعان شنقلاوى (٥) . وله الفهرست الذى ذكرناه آنفا وهو ينقسم إلى أربعة أقسام (١) الكتب الدينية للعهد القديم مع الأبوكريفا (٢) الكتب الدينيه للعهد الجديد (٣) الآباء اليونانيون (٤) الآباء السريان .

---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٥٣٨/٩ ، مجلد ٢ ج ١ ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) طبعه ابراهام الاكلينيكى فى روما سنة ١٦٥٣ م وترجم إلى الإنجليزية Burger

(٣) حللها السمعانى فى المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٣٢٥ — ٣٣٢ ونشر القرداحى الجزء الأول منها مع بعض الملاحظات القصيرة كما نشر جيزمونتى بعض المقتطفات مع ترجمة لاتينية .

(٤) فهرست الفاتيكان مجلد ٣ ص ٣٥٩ ؛ فهرس باين سميث ص ٥١٠

(٥) رايت ص ٢٥٨

ولعبد يشوع كذلك كتاب عن الناموس الرائع أو حياة سيدنا على الأرض ، وكتاب مدرسى ضد كل المراطقة ، وكتاب معجزات الفلاسفة اليونان ، واثنتا عشرة مقالة تحتوى على جميع العلوم والقرارات والقوانين الكنسية ، وله بالعربية كتاب تحت عنوان « الملك اللؤلؤ » وله عمل دينى فى خمسة فصول تتناول الله والخلق والتجسد المسيحى ، وتكريس الكنيسة (١) . وقد حلل السمعانى مجموعة القوانين المجمعية فى المكتبة الشرقية (٢) .

وفى هذه الفترة يوجد عمل هام بقلم أحد الشراح عن حياة الجاثليق يب آلاها الثالث (١٢٨١ — ١٣١٧) وهى رواية بسيطة فى أسلوب جميل عن حياة يب الذى كان مواطنا من الصين وارتفع من بيئة متواضعة إلى رئاسه الكنيسة النسطورية ، وهى قيمة لذلك الضوء الذى تلقيه على العلاقات بين أمراء منغوليا وبين رعاياهم المسيحيين (٣) .

تيموثاوس الثانى : أصبح مطرانا للموصل واربل بعد يب آلاها فى سنة ١٣١٨ م . ألف عدة قوانين لمجمع رؤساء الطائفة الدينية الذى انعقد فى نفس العام الذى رشح فيه للكرسى البطريركى . كما ألف كتابا عن القوانين المقدسة (٤) .

---

(١) له تحليل دقيق فى المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٣٥٢ — ٣٦٠

(٢) مجلد ٣ ج ١ ص ٣٣٢ — ٣٥١ انظر بومشتارك ٣٢٣/٤ ، رايت ص ٢٨٧ ، دوڤال ص ٤٠٤/٥

(٣) رايت ص ٢٨٩/٩٠ ، بومشتارك ص ٣٢٥/٦

(٤) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ١ ص ٥٦٧ — ٥٨٠ أنظر دوڤال ص ٤٠٥ ، رايت ص ٢٩٠ ، بومشتارك ص ٣٢٥

بعد الحديث عن الكتاب النساطره فى القرن الثالث عشر نستطيع أن نقرر بأن التأليف النسطورى المعاصر لتلك الفترة لم يعرف أحداً قارب ولو عن بعد من ابن العبرى . ولو أن الخط الصاعد للتطور الأدبى على الجانب النسطورى طوال الألف الثانى الميلادى وصل إلى قمته فى أواخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر . وقد قدم كثيراً من الأشياء البارزة فى أكثر من مجال .

من القرن لرابع عشر

حتى العصر الحديث

بدأ التدهور الحقيقي للتأليف القومي بالنسبة لليعاقبة مع أوائل القرن الرابع عشر ، وبالنسبة للنساطرة مع النصف الثاني من القرن نفسه ، وإن كانت هناك بعض المؤلفات الكنسية والعلمية ، وبعض التآليف في الشعر أحيانا وفي النثر اللاهوتي أحيانا أخرى . وعلاوة على ذلك نجد بعض العناية بكتابة التاريخ على يد مؤلفين مجهولين استمرت حتى أواخر القرن السادس عشر إلى جانب النصوص الحديثة من الأدب الليتورجي اليعقوبي التي ترجع إلى ذلك الوقت (١) .

أما التراث الأدبي النسطوري فقد وجد نوعا مستمراً من الرعاية حتى أعقاب القرن الثامن عشر . فكان هناك اهتمام بالتأليف الليتورجي إلى جانب التأليف النحوي والأدب التعليمي اللاهوتي .

هذا وقد مثل فترة التحول من اللغة السريانية القديمة إلى لهجة شعبية حديثة عرفت باسم فلليخن مجموعة من الأدباء كانوا ينتمون إلى ما يشبه المدرسة في بلدة قوسمن التي تحول الدير القديم الموجود فيها — وهو دير بن هورميزد —

---

(١) بومشتارك ص ٣٢٦

إلى قلعة فكرية للثقافة الكلدانية . وهذه اللهجة هى وغيرها من اللهجات مثل لهجة طورعبدين ولهجة بحيرة أورميا كلها لغات يتكلمها غير المثقفين وليست لغات أدبية (١) .

وقد حاول المبشرون الأمريكيون فى القرن الماضى إلى استخدام هذه اللهجة فى الكتابة فترجموا إليها بعض الكتب وبخاصة الأناجيل وألفوا فيها ، ولكن هذه الحركة قد باءت بالفشل (٢) .

الملكانيون

قامت فى عصر الحكم العربى على الأرض السورية فى عهد بطاركة القدس وأنطاكية منظمة كنسية للأرثوذكس الخلقيدونيين عرف أتباعها باسم الملكانيين وتسموا بهذه التسمية بسبب علاقاتهم الدينية مع الإمبراطورية البيزنطية المجاورة ومع الكنيسة الأم .

وكانت اللغة السريانية بالنسبة لهم كما كانت بالنسبة اليعاقبة والنساطرة . وقد استخدم بعض المؤلفين اللاهوتيين التعبيرات المحلية الشائعة فى خدمة القضية الخلقيدونية بينما استخدم الفلسطينيون المسيحيون فى الأجزاء الغربية من أنطاكية اللهجة الآرامية الغربية كما استخدمتها بعض الجاليات السورية الأرثوذكسية فى أرض مصر (٣) .

وقد ساهم المؤلفون الملكانيون بدور كبير فى نقل النصوص غير الليتورجية من اليونانية إلى السريانية ، كما خلفوا لنا بعض المخطوطات ولكنها ليست كثيرة

---

(١) بومشتارك ٢٢٩ ، اسرائيل ولفنسون . تاريخ اللغات السامية ص ١٥٩

(٢) تاريخ الأدب السريانى ص ١٦

(٣) بومشتارك ص ٢٢٥ — ٢٢٩

فلم نعثر إلا على أربعة عشر مخطوطا مؤرخاً نسخت قبل نهاية القرن السادس عشر، كتب أقدمها فى دير أو صومعة مار إلياس على الجبل الأسود بالقرب من أنطاكية سنة ١٠٤٤ م ويشتمل على مقطوعات إلقائية من الأناجيل وتقويم لذكرى القديسين طوال العام ودروس مختارة بمناسبات خاصة .

وكان من أهل فلسطين ملكية ترجموا الكتاب المقدس إلى لهجتهم وكانت ترجمتهم حرفية دقيقة لم يراعوا فيها المعانى ولا ترتيب الكلمات فى الجملة على قواعد اللغة الآرامية . ولم يبق لنا من كتبهم إلا القليل ، وكان إملاؤهم غير واضح وغير مشكل بحيث يمكن الاختلاف فى نطق كلماته . وهذا هو السبب فى أن هذه اللهجه لم تلق عنايه كافيه . وقد ظل أصحابها يتكلمون بها فى فلسطين حتى انقرضت أيام الفتح العربى (١) .

الموارنة

بنت هذه الطائفة لنفسها قلعه فى دير قديس يدعى القديس مارون فى جبال لبنان : وهذه الطائفة هى الجماعة الموحدون أتباع الرأى القائل بوحدة الإرادة فى شخص المخلص ذى الطبيعتين :

وقد ارتبطت هذه الطائفة بالحروب الصليبية ارتباطاً وثيقا عن الفروع السريانية المسيحية الأخرى فعقدتا اتحاداً شكليا فى عام ١١٢٨ م مع الكنيسة الكاثوليكية الغربيه . على أن هذه الطائفه قد تناست بمرور الوقت الإيمان التوحيدى القوى الذى كانت تتمسك به بشدة فى بادىء الأمر .

وقد انصب القسط الأعظم من مؤلفات المارونيين كلية على مجـــال الليتورجيات (٢) .

---

(١) هاتش ص ٢٨ ، ٢٩ ، تاريخ الأدب السريانى ص ١١

(٢) بومشتارك ص ٣٣٥ ، ٣٣٩ — ٤٤٣

ومازال المارونيون موجودين فى لبنان حتى الآن . ولهم مطبعة سريانية فى دير الشرفة تقوم على طبع الكتب الدينية باللغتين السريانية والعربية .

١ — **تيوفيلوس الرهاوى** : كان من علماء التنجيم المشهورين وعمل فى خدمة الخليفة المهدى حيث حظى لديه بمكانة عالية ، وتوفى فى ١٥ يوليو عام ٧٨٥ م :

ومن أعماله كتاب فى التاريخ اتهم فيه بالتعصب ضد الموحدين ، وصل إلينا أجزاء غير قليلة منه فى أحد كتب التاريخ المارونية وهى تغطى الفترة من الإسكندر الأكبر إلى سنة ٦٦٣ م بشكل متفرق .

٢ — **يوحنان المارونى** : كان مؤلفا لرسالة تدور حول العقيدة ، ورسالة جدلية موجهة ضد الموحدين والنسطوريين ، ونص ليتورجى واحد على الأقل .

٣ — **يوسف سمعان السمعانى** : درس السريانية فى روما وبها تعلم ثم أوفده البطريرك فى بعثة إلى مصر — وكانت الكتب السريانية تشترى من دير السريان بوادى النطرون — لمحاولة شراء بعض الكتب . وقد نجح فى استخلاص كثير من الكتب الهامة التى تعج بها الآن مكتبة الفاتيكان . ونشر تبعا لذلك كتابه « المكتبة الشرقية » الذى نشر فيه بعضا من الكتب السريانية . كما حلل بعضا آخر .

٤ — **جبريل القرداحى** : عاش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، وكان مدرس العربية والسريانية بالمدرسة الأوروبية وترجمان شرف فى مجمع نشر الإيمان .

له عدد من الكتب فى تعلم النحو والمعانى والشعر السريانى ، فله كتاب الاحكام فى صرف السريانية ونحوها وشعرها . وكتاب أحكم الاحكام . وكتاب المناهج فى النحو والمعانى عند السريان .

٥ — الرزى : وله كتاب يسمى « الكتاب » جريا على منوال « الكتاب » فى النحو العربى الذى ألفه سيبويه .

٦ — يوسف دزيان : وله كتاب الاتقان فى علوم السريان .

٧ — برصوم أغناطيوس افريم الأول : له كتاب تحت عنوان « اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية » .

٨ — يوحنا شقير الصددى : له ترجمة كتاب تاريخ ميخائيل السريانى الكبير الخط القرشونى (مخطوط) محفوظ فى المتحف البريطانى بلندن .

بعد هذه الدراسة الشاملة للغة السريانية والعرض التاريخى لكتاب السريان ومؤلفاتهم نستطيع أن نتبين بجلاء كيف انتشرت السريانية انتشارا واسعا، وكيف كانت عاملا أساسيا من عوامل اثراء العربية بالثقافة الفارسية واليونانية . كذلك نستطيع أن نذكر آسفين كيف اندثرت تلك اللغة ، وتوارت داخل الكنائس ، واستقرت فى الكتب ، ولم يبق منها إلا بعض اللهجات القليلة التى تقوقعت فى عدة قرى بسوريا والعراق والتى نالها الكثير من التحريف والتغيير نتيجة احتكاكها بلغات أخرى كالعربية والفارسية والتركية والاردية .

بعض المراجع الهامة

(1) J. S. Assemanni, Bibliotheca orientalis clementino — Vaticana t. I — 3 Rome, 1719—1728.

(2) Badger, The Nestorians & their rituals, t. I — 3, Londres 1852.

(3) Baethgen, Fragmente Syrischer und Arabischer historiker Leipzig, 1884.

(4) Bar—Hebraenus. Chronicon ecclesiastique, Louvain, 1872—1877.

(5) Bar—Hebraeus, Chronicon Syriacum, Leipzig, 1781.

(6) Baumstark (Anton), Geschichte der syrischen, Literatus, Bonn, 1922.

(7) Brockelmann, die syrische und die chustlische Literatur.

(8) J.B. Chabot, Les Langues et les Litteratures arameenes, Paris, 1910.

(9) J.B. Chabot, Litterature Syriaque, Paris,1935.

(10) M. Chabot, Notes sur la litterature Syriaque dans le Revue Semitiques, p. 254, 1896.

(11) R. Duval, La litterature Syriaque, Paris, 1899.

(12) Hoffmann, Auszüge aus syrishen Akten persichen Märtyrer, Leipzig, 1880.

(13) Maclean, East Syrian daily affices.

(14) W. Wright, A short history of Syriac literature, London, 1894.

CATALOGUS

(1) Hatch, William Henry Pains, An Album of dated Syriac Manuscripts.

(2) Payne Smith, Catalogi codicum ms. Bibliothecae, Bodleianae. Oxford, 1864.

(3) Rosen et J. Forshal. Catalogus codicum ms. orientalium Londres, 1838.

(4) W. Wright, catalogue of the syriac manuscripts Londres, 1870—1872.

(5) W. Wright & Stanly Cook, Catalogue of the syriac manuscripto of the University of Cambridge, 1901.

(6) H. Zotenberg, Manuscrito orientaux. Catalogues des Manuscrits syriaques, Paris 1874.

PERIODIQUES

(1) Journal asiatique, Paris, 1822 sqq.

(2) Journal of the royal asiatic Society, Londres, 1934 sqq.

(3) Journal of the Royal asiatic Seciety, Londeres, 1827—1835.

(4) Zeitschrift der deutchen mogenländischen Geselscaft, Leipzig. 1846 ssq.

(5) Zeitschrift für Assyriologie und verwandle Gebiete, Weimar, 1885 sqq.

الفهرست

أرشامى — اسطفان بن صديلى — يوحنا بن قرقوص — يعقوب البردعى — بطرس أسقف الرقة — يوليانوس — أحوذمة — الأدب المنظوم : يعقوب السروجى — سمعان الفخارى

كتّاب النساطرة : اليشع بن قوزبايا — ابراهام بن سهدا — يوحنا البيت ربانى مار أبا الأول — تلاميذ مار أبا : بولس مطران نصيبين — توما الرهاوى — قيورى — تيودور المروزى — جبريل الهرمزدشير — سرجيس بن ساحيق — إيشى — الجاثليق يوسف يشوعيب — ابراهام ابن القرداحى — حنانا الحذيبى سبر يشوع — ميخائيل المعلم — ناثنيال السرزورى — جريجور الكشكرى — ابراهام الكشكرى — دذ يشوع — زبى — ابراهام النثفرانى — أيوب — بابى برنصيبينايا — بابى المصرى — شوبحا لمارن — باعوث — حنا نيشوع

٢١٤ — ٢٢٢ النقل عن اليونانية فى القرن السادس

بولس أسقف الرقة — موسى الاجيلى — برالاها — يوحنا فيلبونس — يوحنا لافامى — سرجيوس الراسعينى

٢٢٣ — ٢٢٦ النقل عن الفارسية

أبا الكشكرى — بود — قصة الاسكندر

٢٢٧ — ٢٤٩ تدوين التاريخ

تاريخ فيضان نهر ديصان — مغارة الكنوز — تدوين السير — تاريخ يشوع العمودى — تاريخ الرها — تاريخ يوحنا الأفزوسى — قورا — قصة جوليان المرتد — تاريخ زكريا البليغ — تاريخ

مار أيا الثانى بن بريح صفيانه — سمعان بن الطباخين — سورين — كبريان — أبو قوح الأنبارى — تيموتاوس الأول —

القرن التاسع

٣٠٩ — ٣١٨ اليعاقبة

ديونيسيوس التلمحرى — تيودوسيوس — أنطونيوس البليغ — لعازر برسايتا — يوحنا الدارى — نوتوس — رومانوس الطبيب — موسى بركيفا

٣١٨ — ٣٢٩ النشاطرة

جبريل بختيشوع - أبو زيد حنين بن اسحق العبادى - يشوع ماروزايا - يوحنا سرابيون — يشوع برعلى - يشوع برنون — دنحا — الأب صليبا بن داود — توما بن يعقوب المرجى — يشوع دذ الماروزى

القرن العاشر

٣٣٠ — ٣٣١ اليعاقبة

جيزا — يوحنا المارونى

٣٣١ — ٣٣٥ النساطرة

حنا يشوع سارشوى — يشوع بر بهلول — افزود — الياس أسقف الأنبار — جرجس مطران الموصل واربل — عما نويل برشاهارى

القرن الحادى عشر

٣٣٦ — ٣٣٨ اليعاقبة

الياس برجاهى — مرقس بن ليكى — يشوع شوشان — سعيد بن الصابونى

٣٣٨ — ٣٤٢ النساطرة